اعداد
مكتب العقيدة والثقافة

دراسات
في
ميثاق حركة أمل
للأساس للأول

(الايمان بالله - الايمان بالانسان)

الكتاب الأول

DS
٨٧
/٥٣

اعداد
مكتب العقيدة والثقافة

دراسات
في
ميثاق حركة امل
للأساس للأول

(الايمان بالله ـ الايمان بالانسان)

DS
٨٩
١٤٤
ن.ن

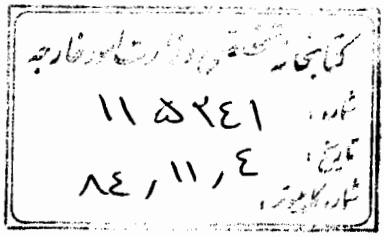

الإهداء

إليك يا إمَام المحرومين
يا من حملت المشعل المضيء لتنير درب المستضعفين
يا صاحب الفكر المؤمن الرسالي
يا موحِّد القلوب على محبَّة قِيَم
الخير والعدل والكمال والجمال
يا واضع ميثاق أمل
دليل جهاد المجاهدين من أجل حقوق المحرومين
يا أبا الأيتام والفقراء والمساكين
يا معلم التعايش بين أبناء الوطن الواحد
يا من طاف البلاد
وركب المخاطر من أجل لبنان الواحد الحُرّ السيّد
يا من عمل على بعث روح العمل والجهاد في الشباب المتوثب
لرفع الظلم والحرمان عن كل محروم من أيّ مذهب كان
يا حامي الجنوب
والمدافع عن أهله ضدّ أعداء
الإنسانية والمسلمين والعرب ولبنان
أيها الفدائي الأكبر في سبيل القدس وفلسطين
والقضية المقدسة
إليك يا من غيبته يد العمالة السوداء
إليك خلف القضبان ووراء حجب السجون
نهدي
ثمرة ما انتج أبناؤك من شروح لكلماتك البانية.

DS
A4
I>E

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :
بقلم : سماحة الشيخ
محمد مهدي شمس الدين:

الامام الصدر
الإنسان القضية.

كثيرون من الذين يعتبرون أنفسهم خارج المجال الذي كان يعمل فيه الإمام الصدر، لا يدركون الآن لماذا تحول اختفاؤه إلى قضية. القاسم المشترك بين هؤلاء، انهم جميعاً يقفون خارج الدائرة الثقافية التي تحرك الامام إنطلاقاً من قيمها وتقاليدها، وخارج الدائرة الاجتماعية التي تحرك الإمام إنطلاقاً من واقعها ومطالبها وحقوقها. لذلك فهم غير قادرين فعلاً على تقدير قيمة التحولات العميقة التي بدأها، والتي ما تزال تتفاعل مرتبطة بشخصه، رغم مرور هذا الزمن الطويل على إختفائه.

إن فهم هذه التحولات وتفاعلاتها في وعي وواقع الإنسان الآخر (أي ذلك الذي يعتبر نفسه موضوعاً مباشراً لعمل الإمام) يلزمنا بالعودة إلى فهم موقع عالم الدين المسلم من جمهوره، والمشكلة الاجتماعية المزمنة لهذا الجمهور، بالإضافة إلى تأثيرات الحرب الأهلية ومضاعفاتها، ودور الإمام في ذلك كله.

لم يكن عالم الدين القيادي، في كثير من الأحيان، بعيداً عن هموم الناس ومخاوفهم وآمالهم أن تربيته وثقافته وهدف حياته تدفعه إلى أن يكون إنساناً ملتزماً بقضايا مجتمعه.

وقد كان ثمة، ولا تزال حتى الآن، حالة ثقافية تتعارض مع

هذه الوضعية لعالم الدين المسلم، هي بقية من الفهم الصوفي لوظيفة الدين وعلمائه.. هذا الفهم الذي كان سائداً في العالم الإسلامي في عصور انحطاطه وانهزامه وتوقف حركته التاريخية.

وقد جاء الفهم الغربي للدين مع الإستعمار وثقافته، ليعزز هذه الحالة الثقافية في العصر الحديث، ويعطيها مبررات ليست من الإسلام في شيء، وليست من الحقيقة في شيء.

هذه الحالة الثقافية تعفي عالم الدين من أي التزام سياسي، ومن أي اهتمام اجتماعي، بل لقد كان الإهتمام السياسي يشكل في بعض الحالات طعناً في مصداقية عالم الدين، وتعلّم المجتمع أن يعفي عالم الدين من حمل هموم الناس ومخاوفهم وآمالهم. ولا نريد أن ننفي أن عالم الدين، في بعض الحالات، أو في كثير من الحالات، كان يستجيب لهذا الموقف فيعفي نفسه كما كان المجتمع، وفي كثير من الحالات أيضاً، يستجيب لهذه الثقافة، فيعفي عالم الدين من الإهتمام السياسي.

وبالمقابل، كانت هذه الحالة الثقافية تحصر وظيفة عالم الدين في أن يعّد جمهوره اعداداً جيداً للآخرة، وأن يعالج المشكلات والنزاعات الصغيرة في نطاق العائلة والحي والقرية وأن يقوم بدور وعظي في الحياة العامة.. وكان يحدث أن يصطفي لنفسه، أو تصطفيه، جماعة من الناس تقل أو تكثر، تتخرج عليه وتتأدب بأخلاقه، وقد تقتبس حتى عادات حياته اليومية وبعض أسلوبه في الحديث.

كان دور عالم الدين حقل تنافس بين هذه الحالة الثقافية، وبين روح الإسلام الحية المتحركة الجهادية.

وحين جاء الإمام الصدر إلى لبنان، كانت قد نضجت في

وعي المسلم اللبناني، حالة ثقافية بالنسبة إلى دور عالم الدين في حياة المسلم أكثر صدقاً وأقرب إلى روح الإسلام وحقيقته الحية المتحركة. وكان الإمام عنوانها الكبير المتألق في لبنان، بل لقد كان أكثر عناوينها تألقاً ووهجاً وقوة على الاجتذاب والإستقطاب.

جاء الإمام إلى لبنان فاكتشف وضعية الإنسان في البقاع «بعلبك ـ الهرمل» «وفي الجنوب» «جبل عامل» «وامتداده البشري في ضواحي بيروت البائسة». واكتشف أن هذا الإنسان مسحوق مستلب، يتمتع بحرية شكلية لا يستطيع أن يستخدمها في تغيير وضعه، بل لا يستطيع أن يستخدمها في الاعلان عن شكواه.. و«يتمتع» ـ إلى جانب هذه » الحرية بإهمال مطلق من قبل الدولة. فحاول أن يستجيب لهموم هذا الإنسان ومطامحه وحاجاته، وكانت تلك المرحلة مرحلة المؤسسات: مؤسسة جبل عامل المهنية، ومعهد التمريض، وبيت الفتاة.

ثم تنامى، وعيه لمشكلة هذا الإنسان على ضوء تجارب الطوائف اللبنانية الأخرى، وتأكدت لديه الحاجة إلى مستوى من التنظيم في مؤسسة لها أمثال كثيرة في لبنان، تكوّن ضمير هذا الإنسان ولسانه وأداته في السعي نحو المساواة والكرامة.. فكان المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

ثم تنامى وعيه هذا إلى مستوى أعمق، وأدرك ضرورة إيجاد مستوى آخر من التنظيم فكانت حركة أمل المحرومين، ومن ثم حركة أمل والتي تترجم أعمق نزعات هذا الإنسان نحو الحرية والكرامة بما يتجاوز الاطار الطائفي والمذهبي.

وقد أدى به وعيه الموجع لمشكلة هذا الإنسان إلى أن يتحد مع قضايا المحرومين وتطلعاتهم، وإلى أن يجعل منهم قضية حياته.

وبالمقابل أدرك الإنسان المحروم وأدركت قياداته، وهي النخبة المستقبلية الواعية في الجنوب والبقاع وغيرها، من شتى الطوائف والمذاهب والمناطق في لبنان. . أدرك هؤلاء جميعاً أن موسى الصدر قد باع نفسه لقضية الإنسان هذه. . باعها بصدق وحرارة واخلاص صوفي نابع من إسلامه وثقافته وأخلاقيته وحسه الإنساني الحاد المرهف. ومن هنا اكتسب الإمام هذه الصفة التمثيلية لأعرض قطاع من الشعب اللبناني، وهي صفة فاقت، وما تزال حتى الآن، ورغم كل شيء، ما نجده لدى أية قيادة أخرى.

حاول الإمام الصدر، في بدايات تحسسه لمشكلة الإنسان في لبنان، أن يعمل على تحقيق مطامحه من خلال التعامل مع الوضع اللبناني (ولا ندخل في مكونات هذا الوضع وتبيان عناصره وخصوصياته). ولكنه أدرك في وقت مبكر أن هذا الوضع، بمنطقه الخاص، يحاول تدجينه وجعله جزءاً منه. وثار الإمام على هذا التفكير، ومضى يعمل على عقلنة الوضع وأنسنته، وجعله أكثر إدراكاً لحقيقة الأخطار التي كانت تتجمع ويمكن أن تتفجر لتعصف بالوطن كله. ولكن الوضع في لبنان كان ذا مزاج افتراسي فبدأت محاولات تحطيم الإمام. وقد اشتركت قوى كثيرة في هذه المحاولات، بعضها من موقع الصديق، وبعضها من موقع الخصم، وبعضها الثالث من موقع رمادي. لأن الجميع رأوا في ظاهرة الإمام، الذي فشل الوضع اللبناني في تدجينه، خطراً عليهم، لأن الفهم الذي طرحه لقضية الإنسان المحروم ونمط التعامل الرسالي، هدَّد هؤلاء جميعاً بخسارة المواقع التي يحتلونها، على حساب الحرمان والمحرومين، سواء من كان منهم مستفيداً مباشراً أم من كان مستفيداً ثانوياً وبالواسطة، هؤلاء جميعاً وحّدتهم المصلحة في إطفاء الشعلة التي أضاءها الإمام، وإسكات الصرخة التي أطلقها.

ولكن محاولات التحطيم فشلت كلها لأن الإمام موسى الصدر لم يستند في وجوده إلى معادلة سياسية، أو توازنات بين القوى. وإنما استند إلى الشعب إلى الإنسان المحروم الذي غدا الإمام قلبه الخافق وصوته واحتجاجه على البؤس والحرمان.

نعم أحياناً كانت هذه الجماعة أو تلك، من جماعات هذا الإنسان المحروم، تقع أسيرة الارهاب الفكري الجسدي، أو ضحية الدعاية المأجورة والإشاعات الباطلة. ولكن هذا الإنسان كان يدرك أنه ضحية اعتبار سياسي يقوده متنفذ صغير لمصلحة متزعم كبير، أو ضحية لاعتبار حزبي، ومن ثم فقد كان يجد نفسه في النهاية إلى جانب الإمام ووراءه وحوله. وهكذا بقي الإمام عصياً على التحطيم، بل نما وكبر وغدا في قلوب الناس البسطاء رمزاً لقضيتهم. وبقي هو موزّع القلب والعقل بين الإهتمام بالمسائل الصغيرة للمواطن، والاهتمام بالمسائل الكبرى للوطن، وهذه المسائل ذات الطابع المصيري.

وجاءت الفتنة اللبنانية الكبرى، فانغمست فيها سياسة كثيرة اما عن قصد وتصميم، واما عن جهالة لا تبرر النيات التي دفعت إليها الآثار الفاجعة التي نجمت عنها. ورفض الإمام، من خلال المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، أن يكون طرفاً في الفتنة، بل أعطى نفسه مهمة استعادة السلام، مع العمل على تطوير النظام نحو وضع أكثر عدالة واستجابة لمطالب المحرومين. من هنا غدا موسى الصدر موضوع كراهية وعداء ظاهر أو مستتر من قبل جميع أطراف الفتنة، أو الذين كانوا يعدون العدة للاستفادة من الفتنة، فقد عبر كثير من هذه الأطراف عن كراهيته باعلان فاجر فقد كل قيمة أخلاقية ضد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وخطه السياسي، وضد شخص الإمام نفسه، وضد دوره وتطلعاته..

ولكن هجمة البغضاء التي تجاوزت كل حد، لم تلن من قناته، بل مضى في مساعيه وتجاوز بها لبنان إلى المحيط العربي حاملاً همّ لبنان ومصيره في قلبه وعقله، وأثمرت مساعيه، فاستطاع أن ينقل خوف الناس العاديين وعذابهم اليومي إلى وعي المسؤولين العرب، وأن يحرك بذلك القلوب والضمائر، لا بلغة السياسة وأساليبها، وإنما بلغة الإنسانية، لغة القلب والضمير. ووضع حدّاً للفتنة المشتعلة، وهدأ بركان الدم قليلاً، وامتلأ قلبه بالأمل في غد مشرق للبنان وغد سعيد للمحرومين.

ولكن الحرب الأهلية البشعة توقفت لتكشف الفتنة عن أبشع وأخطر تنائجها في مقياس قضايا المصير. لقد تعاظمت مأساة لبنان الجنوبي، وانكشفت أخطار الوجود التي تحيط به: أخطار الإحتلال الإسرائيلي والتجزئة، والتوطين، وما ينجم عن هذه الأخطار من تشريد.للإنسان الجنوبي يضاف إلى حرمانه.

وعاد موسى الصدر إلى جهاده على الصعيد اللبناني وعلى الصعيد العربي، يتباحث مع الرؤوساء والملوك، ومع القيادات السياسية، ومع الجماعات الحزبية، شارحاً الأخطار المحدقة بالجنوب، محذراً من العواقب الوخيمة التي تتعدى الجنوب إلى لبنان كله، وتتعدى لبنان إلى المحيط العربي كله، محاوراً في صيغ الخلاص.

كل هذا والإنسان المحروم يسمع ويرى ويفهم. وكان كل ذلك يجعل هذا الإنسان يزداد توحداً مع الإمام الصدر وحباً له وثقة به وهكذا غدا الإمام حقيقة في كل بيت محروم، لم يعد شخصاً وإنما غدا ممثلاً لقضية الإنسان المحروم والجماعات المحرومة والمناطق المحرومة.. واستمر يطارد الفتن حيثما أطلت برأسها يطاردها في لبنان وخارجه.

وحمله تطوافه في مطاردة الفتنة ومطاردة الخطر إلى ليبيا.. ليبيا التي دعته سلطتها الرسمية العليا لزيارتها لتباحثه ويباحثها في شأن لبنان وطريق خلاصه وسبيل وأد الخطر المحدق بجنوبه.

وكانت الدعوة فخاً، وكان الطعم هو التلويح لموسى الصدر بالأمل في أن يجد عند حاكم ليبيا وأعوانه عوناً على الفتنة وعوناً على الخطر وهكذا احتجز حكام ليبيا موسى الصدر ورفيقيه المجاهدين الشيخ محمد يعقوب والأستاذ عباس بدر الدين وأخفوا أثرهم، وزعموا ـ كذباً ـ أنهم غادروا ليبيا.

وتكشفت الحقيقة الراغبة البشعة للإنسان المحروم في وقت قصير أين الإمام؟ أخفته السلطات في ليبيا. لماذا ذهب إلى ليبيا؟ لينقذ لبنان.

وكما يحدث في كل لحظات الصدمة.. استعاد الإنسان المحروم كل ما يعرفه عن موسى الصدر، كل جهاده وجهوده، فرأى فيه قضيته هو.. رأى فيه رزقه الشريف، وأمنه وبيته، وكرامته، ومدرسة ولده، ومستشفى مريضه، ومعونة بائسه. رأى فيه مستقبل لبنان. رأى فيه حقول الجنوب المحروقة، ومدنه وقراه التي تنزف أيتاماً وأرامل ومشردين، وبيوته الخالية من أهلها، ودروبه المشتاقة إلى وقع أقدامه، والأمل في غد مشرق. ولن يستطيع أحد أن ينتزع من كل هؤلاء الحق في الأمل...

ميثاق
حركة أمل

بسم الله الرحمن الرحيم

إن حركة أمل في لبنان، هي امتداد لحركة الإنسان منذ أن كان. إنها تعبير عن طموحه نحو حياة أفضل يدفعه للتصدي لكل ما يفسد عليه حياته أو يجمد مواهبه أو يهدد مستقبله.

إنها حلقة من حركة الإنسان العامة في التاريخ، قادها الأنبياء والأولياء والمناضلون الصِلحاء ودفعها بقوة نحو الامِام واغناها الشهداء الخالدون.

وبهذا الترابط التاريخي الوثيق والمواكبة الشاملة في أنحاء العالم تتعزز حركة المحرومين في لبنان تتلمس طريقها وتضمن استمرارها ونجاحها.

وعندما نحاول أن نرسم معالم هذه الحركة نجد:

أولاً : إن هذه الحركة تنطلق من الإيمان بالله، بمعناه الحقيق، لا بمفهومه التجريدي، فهو الأساس لجميع نشاطاتنا الحياتية ولعلاقاتنا الإنسانية وهو الذي يجدد باستمرار ثقتنا وعزيمتنا ويزيد من طموحنا ويصون بدقة سلكونا.

وتعتمد هذه الحركة على الإيمان بالإنسان، بحريته، بكرامته، بعظمته وبرسالته في حياته التي هي الهدف من خلقه.

والحقيقة أن الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله، بعد لا يمكن فصله. والينابيع الدينية الأصيلة تؤكد ذلك باصرار.

ثانياً : أما تراثنا العظيم في لبنان وفي الشرق كله، الحافل بالتجارب الإنسانية المشرق بالبطولات والتضحيات والزاخر بالقيم والحضارات فهو الذي يرسم الطريق ويؤكد أصالتنا ومشاركتنا الحضارية.

وفي نفس الوقت، فإن الإستفادة من تجارب الآخرين أينما حصلت بشرط الإحتفاظ بالأصالة هي دليل رغبتنا الأكيدة إلى الكمال والتقدم ونتيجة قناعتنا بوحدة العائلة البشرية وبأن المكاسب التي ينتجها بعض أبنائها هي ملك للجميع وفي خدمة الجميع.

ثالثاً : إن حركة أمل تؤمن بالحرية الكاملة للمواطن وتحارب دون هوادة كل استبداد واقطاع وتسلط وكل تصنيف للمواطنين.

أما الطائفية السياسية في النظام اللبناني فإنها تمنع التطور السياسي وتجمد المؤسسات الوطنية وتصنف المواطنين وتزعزع الوحدة الوطنية ولذلك فإنها مرفوضة في رأي حركتنا ومظهر من مظاهر التخلف السياسي في وطننا.

رابعاً : وترفض الحركة الظلم الإقتصادي بجميع أشكاله من احتكار واستثمار الإنسان وتحويل المواطن إلى مجرد مستهلك والمجتمع إلى سوق الإستهلاك وكذلك تحارب حركتنا حصر النشاطات الإقتصادية في أعمال الربا والمغامرات.

خامساً : وتعتقد الحركة أن توفير الفرص المتكافئة للمواطنين جميعاً هو أبسط حقوقهم على وطنهم وأن العدالة الإجتماعية بمفهومها الشامل المتطور هي أولى واجبات الدولة.

سادساً : إن حركة أمل هي حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وبوحدة الوطن والحفاظ على كامل ترابه ولذلك فإنها تحارب الإستعمار والإعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان.

وتعتبر الحركة أن التمسك بالمصالح القومية وتحرير الأرض العربية وحرية أبناء الأمة جميعاً هي من صميم التزاماتها الوطنية لا تنفصل عنها.

وغني عن التأكيد أن صيانة لبنان الجنوبي، والدفاع عنه وتنميته هي جوهر الوطنية وأساسها، حيث لا بقاء للوطن بدون جنوبه ولا وطنية دون الوفاء الكامل لهذا الجزء الغالي من لبنان.

وعلى الصعيد العالمي فإن الحركة ترفض انطلاقاً من مبادئها تقسيم العالم إلى معسكرين واستضعاف إرادة باقي الشعوب وتمزيق العائلة الإنسانية الواحدة وتفريق طاقاتها. إن الحركة جزء من موكب الإنسانية الساعية إلى التحرر من كافة الضغوط وتؤيد كل تجمع عالمي في هذا الإتجاه.

سابعاً : وفلسطين، الأرض المقدسة التي تعرضت ولم تزل لجميع أنواع الظلم، فلسطين وأهلها في قلب حركتنا وعقلها وان السعي لتحريرها أولى واجباتها والوقوف إلى جانب شعبها وحماية مقاومتهم وصيانتها والتلاحم معها شرف الحركة وإيمانها.

سيما وأن الصهيونية تشكل الخطر الفعلي والمستمر على لبنان وعلى القيم التي نؤمن بها وعلى المنطقة بأسرها وعلى الإنسانية التي تصنفها وأنها ترى في لبنان بتعايش الطوائف فيه تحدياً دائمًا لها وسنداً حياً لإدانة كيانها.

ثامناً : إن حركة أمل هي حركة الشعب وليست مؤسسة ذات

منافع وامتيازات، فهي بطرق أولى لا تقر الإمتيازات ولا تصنيف المواطنين.

ولا ترفض الحركة التعاون مع الأفراد والجماعات الشريفة التي ترغب في بناء لبنان أفضل لأنها لا تحتكر شرف البناء لنفسها، إنها تتحرك وتحرك.

إن حركة أمل ليست طائفية ولا عملاً خيرياً ولا موعظة ونصحاً، إنها حركة المحرومين جميعاً تتبنى الحاجات الأنية الملحة والأهداف العامة الأساسية وتدرس حلولها وتتحرك لأجلها وتناضل إلى جانب المحرومين حتى النهاية.

إنها حركة الذين يحسون بالحرمان في حاضرهم والذين يشعرون بالقلق على مستقبلهم وأولئك الذين يتحملون مسؤولياتهم تجاه المحرومين والقلقين بشرف وحماس.

إنها حركة اللبناني نحو الأفضل.

إن العضو في حركة أمل هو الذي يتوفر لديه:

١ ـ الإيمان بميثاق الحركة والعمل على تنفيذ مبادئها والتحلي بالإنضباطية لجهة احترام القيادة وتنفيذ قراراتها.
٢ ـ أن يكون بالغاً وراشداً.
٣ ـ أن لا يكون منتمياً إلى أي حزب أو تنظيم أو قوة سياسية غيرها، أما إذا كان الراغب منتمياً إلى حزب سياسي أو أي قوة تنظيمية وأوقف نشاطه فيجب إثبات إنسحابه من الحزب بواسطة الممارسة العملية والفعالة للقواعد والأسس المبدئية للحركة كما يجب تجاوزه مرحلة الاختبار لمدة ٦ أشهر.
٤ ـ أن ينصهر قلباً وقالباً بمبادىء الحركة وأهدافها وأن يكون مثالاً لهذه المبادىء والأهداف أمام الشعب.

٥ ـ أن يكون مدرباً عندما يكون سليم الجسم.
٦ ـ أن يتحلى بالصفات الخلقية والتربوية والاجتماعية اللائقة.
٧ ـ أن يقسم اليمين الحركي الآتي نصه، أمام القائد أو من يفوضه القائد:

«أقسم بالله العظيم أنني مؤمن بما ورد في ميثاق حركة أمل الذي أطلعت عليه وانني أعمل بجميع طاقاتي لتحقيقه وفقاً لما يقره تنظيم الحركة وأن أقوم بخدمة التنظيم مفضلاً مصلحته على منافعي الذاتية معتبراً اعضاءه أخوتي محتفظاً بما أعلم عنه وديعة لا أبوح بها إلا للتنفيذ وأن أكون نموذجاً صالحاً في سلوكي الخاص وفي تضحياتي وجهدي وفي التزامي بالقيم ومحبتي للناس، أنني أقسم بالله على ذلك وأشهده وأنبياءه والأولياء والشهداء والصالحين على ما أقول. . . .».
٨ ـ أن يوافق على عضويته، المكتب التنظيمي ويسجل اسمه في سجل هذا المكتب بعد تقديم طلب خطي موقع منه.

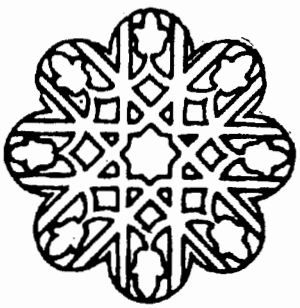

مقدمة الميثاق

* «إن حركة أمل في لبنان، هي امتداد
لحركة الإنسان منذ أن كان،
إنها تعبير عن طموحه
نحو حياة أفضل
يدفعه للتصدي لكل
ما يُفسد عليه حياته
أو يحمد مواهبه
أو يهدد مستقبله.

* إنها حلقة من حركة الإنسان العامة
في التاريخ، قادها الأنبياء
والأولياء والمناضلون الصّلحاء،
ودفعها بقوة نحو الأمام،
وأغناها الشهداء
الخالدون

* وبهذا الترابط التاريخي الوثيق والمواكبة
الشاملة في أنحاء العالم تتعزز حركة
أمل في لبنان، تتلمس
طريقها وتضمن استمرارها
ونجاحها»

البحث الأول

الميثاق ايديولوجية كاملة

الميثاق

ايديولوجية كاملة

إن ميثاق حركة أمل، هو مجموعة المنطلقات والمبادىء التي تشكّل وحدة متكاملة، من حيث أنها تحدد الأسس العقائدية التي يرتكز عليها البناء الفكري للعضو الحركي، وفي نفس الوقت ترتبط بهذه الأسس، مبادىء عامة، تنبثق عن **القاعدة الفكرية الهادفة إلى خلق وعي كوني، يقوم على استيعاب شامل لبداية ونهاية وغاية الكون والحياة والمخلوقات، ضمن إطار عملي يخرج الإنسان من عالم التنظير إلى عالم النشاط الإيجابي المثمر الذي ينعكس على الفرد والمجتمع، تغييراً في الذات، ذات الفرد، وترجمة عملية للمنطلقات، وهذا يؤدي إلى بلورة الوعي الإجتماعي المرتبط بالوعي الكوني. لهذا، نستطيع أن نقول إن الميثاق هو دليل الحركة في جهادها من أجل تحقيق أهدافها الإنسانية السامية.**

الميثاق أيديولوجية كاملة:

ونظرة واحدة كلية، إلى مجمل ما ورد في ميثاق حركة أمل، تبين أن الميثاق يطرح نفسه كأيديولوجية كاملة ذات شقين:

الأول : عقيدة قوامها الإيمان بالله بالمعنى الحقيقي وما يتفرع عنه من عقائد تدور في فلكه وتتمحور حوله.

الثاني : مبادىء اجتماعية وسياسية وتربوية واقتصادية تصدر عن القاعدة الفكرية الإيمانية بطريقة تلاحمية بين الفكر والممارسة، وبين النظرية والتطبيق.

الميثاق والإسلام القرآني:

وتجدر الملاحظة إلى أن الميثاق قد صُدِّر بمقدمة قصيرة، لكنها ذات دلالة كبيرة على القوانين العامة التي تحكم **مسيرة التطور التاريخي**، بحيث يمكن اعتبار هذه المقدمة نظرية متميزة لفهم التاريخ، تاريخ المجتمعات في تغيّرها وتطورها من حال إلى حال، تختلف اختلافاً كاملاً عن نظرية المادية التاريخية، وعن باقي النظريات العالمية وهي بحاجة إلى إلقاء الأضواء الكاشفة عليها، لإظهار تميزها، وهذا ما ستتكفل به هذه الدراسة، ونشير أيضاً إلى ملاحظة أخرى، هي **أن الميثاق يستند في أسسه الفكرية ومنطلقاته الاجتماعية ومبادئه التشريعية إلى الرسالات السماوية، والمناهج الربّانية**، وقد نصّ على هذا الأمر بوضوح كامل، في المبدأ الأول، يضاف إلى كل ذلك، أن سماحة الإمام القائد موسى الصدر، قد أعلن في المؤتمر التأسيسي الأول للحركة: **إن الحركة تتبنى الإسلام القرآني كأيديولوجية لها**.

ومن هنا فإننا لا يمكن أن نفهم الميثاق فهماً صحيحاً إلا بالرجوع إلى الطروحات الإسلامية في شتى مجالات الحياة، مع الإشارة إلى أن **الإسلام القرآني هو إسلام جميع الأنبياء والمرسلين**، لذلك فإن الاستضاءة بآيات القرآن الكريم وسنّه الرسول الأعظم (ص) هي في نفس الوقت عودة إلى التوراة والأنجيل وكتب الله المنزلة.

البحث الثاني

الفروقات العامة بين الحركة المؤمنة والأحزاب الوضعية

محتويات البحث:

١ ـ تمهيد.
٢ ـ في الجانب الفكري والعقائدي.
٣ ـ في الجانب التنظيمي العام
٤ ـ في الجانب السياسي العام.
٥ ـ في جانب العلاقات مع المحازبين والجماهير والقوى الخارجية.
٦ ـ حركة أمَل أم حَركة المحرومين؟
٧ ـ أنواع الأحزاب:
أ ـ من حيث علاقتها بالمجتمع.
ب ـ من حيث تخصص نشاطها.
جـ ـ من حيث الالتزام الفكري.

د ـ من حيث العلاقات (الترابط ـ المركزية ـ اللامركزيَّة).
هـ ـ من حيث الوحدات التنظيميَّة.
و ـ من حيث علاقاتها العامَّة.

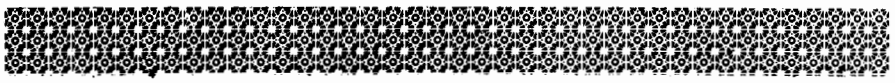

الفروقات العامة بين الحركة المؤمنة والأحزاب الوضعية

تمهيد:

إن حركتنا أمل: حركة مؤمنة إسلامية وليست حزباً علمانياً أو ملحداً أو طائفياً، ولكل من الحركة المؤمنة أو الحزب الإسلامي خصائص تفترق عن خصائص الأحزاب ذات الايديولوجيات الوضعية، ولا بد من الإشارة إلى أن الأحزاب التي سينصب الحديث عنها في هذا البحث هي الأحزاب العاملة في الساحة اللبنانية والعربية وبعض البلاد الإسلامية ثم ننتقل إلى الكلام عن أنواع الأحزاب بشكل عام:

الفروقات العامة:

في الجانب الفكري والعقائدي

إن **الأحزاب العلمانية** تتبنى عقائد ذات منشأ وضعي بشري، إذ أن الحزب العلماني يفصل بين الدين والدولة، وبين الدين والحياة والمجتمع، ويعتبر أن مجال الدين هو ممارسة الشعائر التعبدية، على أساس أن (الدين علاقة فردية بين الإنسان وربه)، والالتزام ببعض الوصايا الأخلاقية أما المجال الاجتماعي والسياسي فليس من شأن الدين ولا المتدينين ولذا يحظر على

علماء الدين التدخل في السياسة والشؤون العامة، فالمسجد في نظرهم للصلاة فقط، وليس للسياسة أو للاهتمام بأمور المجتمع. لذلك فإن النظام الإجتماعي منفصل عن العقيدة الدينية، وشؤون المواطنين لا ترتبط بشؤون الدين وتشريعاته، «فالدين لله والوطن للجميع».

أما الأحزاب الملحدة، فهي التي تحارب الدين في جميع جوانبه، عقائدياً وتشريعياً، وتعتبره عائقاً أساسياً يجب إزالته والنضال ضدّه، لذا فإنها تضع البرامج الكفيلة لمحاربة الدين واتباعه، مستندة إلى أيديولوجة مادية، تفسّر الحياة والكون على أساس المادة، وتعمل جاهدة لنفي الدين من العقول والسلوك والتطبيق مع تنويع أساليب المحاربة، حتى أنهم عنها يهادنون الدين وأنصاره، إنما هم تستعدون لجولة جديدة معه تهدف إلى إضعافه وبالتالي تشويهه وللوصول إلى الغاية النهائية المتمثلة بالقضاء عليه قضاءً شاملاً، كاملاً.

أما الأحزاب الطائفية: فهي خطر على الدين تتميز بالتعصب لمصلحة الطائفة المعينة ومبادئها، مشوهة للمبادىء الدينية الحقيقية، وسيأتي الحديث مفصلاً حول الطائفية.

أما التنظيم الإسلامي: فهو ينطلق من العقيدة الإسلامية المبنية على أساس التوحيد لله تعالى. وحاكميته في الكون والحياة والمجتمع بحيث أن الأهداف والقيم والمبادىء وقواعد العمل تستمد من هذه العقيدة. والحركة الإسلامية ذات المعالم الأيديولوجية الواضحة لا تفصل بين الدين وجوانب الحياة، بل ان الدين يجب أن يقود الحياة ويصوغها في قوالبه، ويوجهها في الإتجاه الصحيح. والدين في منظور الحركة المؤمنة ـ عقيدة وشريعة وأهداف وقيم واخلاق ينظم كافة أمور الحياة، وان عالم

الدين، هو إختصاصي في الشريعة كغيره من الاختصاصيين في الفروع العلمية الأخرى، وليس هناك أي مانع من مشاركته في قيادة الأمة واداء دوره الاجتماعي والسياسي، لا بل هو صاحب الحق في هذا الأمر لعلمه بأحكام الشرع الذي يطبق في الحياة الإجتماعية، ومن السذاجة تصنيف علماء الدين كطبقة خاصة، نظراً للريّ الذي يرتدونه، إذ أنه ليس إلزامياً عليهم، إنما هو تقليد يمكن الاستغناء عنه، عدا عن ذلك فإن أي إنسان يريد المشاركة في العمل السياسي والإجتماعي لا بد من توفر عنصر المعرفة بأحكام الشريعة عنده بالحدود التي يحتاجها عمله.

أما حصر دور المسجد في موضوع الصلاة وما شابه، فإنها مؤامرة كبيرة على المسجد وعلى الدين والأمة، إذ أن المراجع للتاريخ، يرى أن المسجد كان «برلمان المسلمين» منه تنطلق الجيوش التي تحمل راية الإيمان والسلام إلى العالم، وكان جامعة المسلمين، فيه تدرّس العلوم ومنه يتخرج القادة والعلماء الأفذاذ.

أما قولهم «الدين لله والوطن للجميع» فإننا نؤمن بحرية العقيدة إذ «لا إكراه في الدين» ولكن نقول أن كل شيء لله، ولا يخرج شيء عند حدود ملكه وسلطانه، فالدين لله والوطن لله والناس لله، والهدف أن يكون شرع الله هو المطبق في الحياة لا شرع البشر...

٣ ـ الجانب التنظيمي العام:

إن جميع الأحزاب والحركات، المؤمنة، منها وغير المؤمنة تضع لنفسها أطراً تنظيمية خاصة، تختلف حسب اختلاف الأحزاب وأنواعها. والملاحظ أن بعض هذه الأحزاب، تتحول إلى كيان منفصل عن الكيان الإجتماعي العام، وبعضها الآخر يمد الجسور مع الشعب،

ويعمد إلى الإتصار بالجمهور من خلال النشاطات المختلفة، كما أن البعض الآخر، نتيجة للسور التنظيمي القاسي الذي يحيط به نفسه، يجعل عملية الإنتساب إليه عملية خاضعة لضوابط كثيرة تحول في غالب الأحيان بين الجماهير والحزب مع توهم أكثر هذه الأحزاب أنها تقود الجماهير وتعمل لصالحها وبشكل عام، فإن التنظيم المؤمن، مهما كانت الأطر التنظيمية التي يتبناها، فإنه يعمل للشعب والأمة بأساليب مختلفة، لأن التنظيم ـ في مفهومنا ـ في خدمة الشعب، وليس الشعب في خدمة التنظيم.

٤ ـ الجانب السياسي العام:

إن الحزب ـ أي حزب ـ يهدف إلى الإستيلاء على السلطة أو المشاركة فيها، وذلك يعود إلى الإختلاف في أهداف كل حزب، وهذا يصدق على الحزب العلماني، أو الإلحادي، أو الإسلامي، ولكن الاختلاف يقع في نوعية التغيير، الذي يريد حزب ما أن يحدثه في المجتمع. وفيما يخص حركة أمل، في مرحلتها الحاضرة، فإنها ترى أن مسألة الإستيلاء على السلطة أمر غير مطروح في برنامجها العملي الحالي، لأن الأمر يتعلق أولاً وآخراً بالشعب ككل، ولا يتعلق بفئة خاصة منه، تدعي لنفسها حق تمثيل الشعب، وفق مبادىء وبرامج تريد أن تفرضها فرضاً على الجماهير، من خلال مؤسسة الدولة، وهذا الشأن متروك للشعب، باعتبار أن الحركة جزء من الشعب، وليست فوقه.

ـ إن الأحزاب والحركات السياسية العلمانية أو الملحدة العاملة في بلادنا، أحزاب مقلدة للأحزاب الشرقية أو الغربية، في طروحاتها النظرية، وفي عملها السياسي، وليست مبدعة لأنها تستنسخ فكراً غير فكر الأمة، وحلولاً لا تنسجم مع واقع الشعب بل تحلق في عالم

الخيال تارة، وتتحدث عن مشاكل تظنها مشاكل الناس تارة أخرى... ومن هنا فإن الفكر السياسي لهذه الأحزاب فكر هزيل مقتبس لا ينطبق على واقع الحال في مجتمعنا في أكثر الأحيان، ولذلك نلاحظ الارتباكات في تحليلاتهم السياسية ومواقفهم العامة وتراجعاتهم الدالة على الضعف والسطحية في التعامل مع الواقع وتحليله.

٥ ـ في جانب العلاقات مع المحازبين والجماهير:

١ ـ الملاحظ أن العضو المحازب في غالب الأحزاب العلمانية أو الملحدة أو الطائفية يتمتع بامتيازات خاصة يؤمنها له الحزب، وكنتيجة حتمية للتعبئة الخاطئة، والغرور الفارغ نرى أن العضو المحازب يردد شعارات ومقولات لم يشارك في صياغتها، ويتخذ مواقف لم يكن له أدنى نصيب في صنعها ومع ذلك فقد تعود على تصنيف الناس، بين يميني ويساري، ووطني وغير وطني، وتقدمي ورجعي، بدون الإستناد إلى مقاييس واضحة في تصنيفاته هذه، لذلك لا يتوانى عن اصدار الأحكام بحق غيره بكل بساطة.

ـ أما التنظيم المؤمن فإنه لا يفضل إنسان على إنسان، ولا عضو منظَّم على غيره، ويمتنع عن إعطاء الإمتيازات الخاصة لأحد تطبيقاً لمبادىء الإسلام التي تقول «الناس سواسية كأسنان المشط»، و«إن أكرمكم عن الله أتقاكم»...

والإنسان المؤمن، المنظَّم، إنسان «كيِّس فطن» يعمل على فهم المجتمع والحياة والنفس، ويبني علاقاته على أساس الشرع الإلهي، لا على أساس الاهواء ومشتهيات الأنفس. لهذا فإنه متفتح الذهن، طاهر القلب، نظيف السلوك، لا يظلم ولا يقذف ولا يَغتاب ولا يسخر من غيره ولا يعتدي، ولا يتهاون، يألف ويؤلف، يرحم الصغير ويحترم الكبير، ويعمل لهداية الناس ولا يؤذيهم «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

٢ ـ والأحزاب العلمانية والكافرة تفرز أجهزة للرصد والمراقبة، وكثيراً ما تمارس القسر المادي والمعنوي مع أعضاء الحزب، في حال تخليهم أو تقصيرهم أو القيام بأي عمل لا يرضي القيادة الحزبية كما تمارس القسر والضغط خارج أطرها التنظيمية، مع الأحزاب الأخرى، ومع جماهير الناس بشكل عام، لمجرد كلمة تقال، أو رأي يطرح، أو موقف يخالف مواقف الحزب المعين. . وكل ذلك يعود لعدم إرتباط هؤلاء بقيم إلهية، أو أخلاق إنسانية، إذ أن الروح الميكافيلية هي السائدة في مجال العلاقات، و«الغاية تبرر الوسيلة».

وإذا أردنا أن ندرس العلاقات بين التنظيم المؤمن وأعضاء التنظيم فإننا ندرك بكل وضوح أن العلاقة تقوم على أساس «إنما المؤمنون إخوة». والأخوة في الإسلام تعني أن «المؤمن من المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له الأعضاء بالسهر والحمى». وقد قال الإمام الصادق(ع): «حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم. . أحبب لأخيك ما تحب لنفسك وإذا احتجت فسله، وإن سألك فاعطه، لا تمله خيراً ولا يمله لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره، وأجلّه وأكرمه، فإنه منك، وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده، وإن تحمل فاعنه، وإذا قال الرجل أفٍّ انقطع ما بينهما من الولاية». إن العلاقة بين أعضاء التنظيم المؤمن قاعدتها الإيثار «يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»[1].

ـ أما علاقتنا مع الأحزاب الأخرى فإنها تنطلق من منطلق «اللهم أهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» وتستهدي بمواقف الرسل (صلى

---

(١) الحشر اية رقم ٩

الله عليه وآله وسلم) مع المشركين والكافرين والظالمين والمضللين، كموقفه من زعماء قريش يوم فتح مكة حين قال لهم: «إذهبوا فأنتم الطلقاء».

كما أن الأمل الكبير في إهتداء هؤلاء إلى الحق، ورجوعهم عن الضلال فهم أبناء هذه الأمة، وبعضهم معذور فيما هو فيه، وهم قليل، والبعض الآخر، سيعلم إن عاجلاً أو آجلاً إن الإسلام هو طريق الخلاص، ويبقى القسم المعاند لله ولرسوله، فهؤلاء لهم شأن آخر. ولا يغرب عن البال أن الجماهير، هي مادة التنظيم المؤمن، الذي يعتبرها أعضاء فيه بطريقة ما، وهذا يعود للعلاقة الإنسجامية بين التنظيم الإسلامي والجماهير.

ولا ، يجوز لنا أن نغفل الروح العصبية المتغلغلة في أعماق نفوس أكثر المحازبين العلمانيين والملحدين والطائفيين، وهذا ما يخلق الحماس غير المنطقي، لمواقف ومفاهيم هذا الحزب أو ذاك، وإن كانت متنافرة متضادة في كثير من الأحوال.

ولو تعمقنا قليلاً في تفسير ظاهرة التعصب الذي يهيمن على التعامل الحزبي، لوجدنا أن أساس كل ذلك، يعود إلى أن هذه الأحزاب، لم تصل إلى الدرجة التي تخولها أن تؤثر في المجتمع بل هي متأثرة به وبنواقصه، كما هي عاجزة عن إحداث التغيير في البنى الإجتماعية المختلفة، وإذا كان مجتمعنا لا يزال يعيش الفهم القبلي والعشيري فإن هذا الفهم، مع ما يفرزه من علاقات، قد انعكس على الروح الحزبية، حتى أننا نستطيع القول أن حل الأحزاب، العاملة في الساحة الإسلامية هي عشائر وقبائل منظمة.

أما التنظيم المؤمن فبعيد عن التعصب «ليس منا من دعا إلى

عصبية»[1]. إن الحماس هو لمصلحة الأمة والشعب، من أجل تحقيق السعادة للناس، وخدمتهم لأن المخططات والمواقف تبنى على أساس حاجات الناس، ومطالبهم، وهذا يستند إلى التفاعل مع الشعب عن طريق التأثر والتأثير المتبادل.

٤ ـ والتنظيم المؤمن يتمتع بالإستقلالية من جهتين:

الأولى: من الجهة العقائدية والفكرية (المبدأ الإسلامي مبدأ إلهي مصادرة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل)

الثانية: من جهة عدم الإرتباط بقوة خارجية تملي عليه المواقف والأفكار، إذ أن الإرتباط فقط بالمبدأ الإلهي كما يقول سبحانه: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار»[2]. والتنظيم الإسلامي يرتبط أيضاً بالشعب وطموحاته وحاجاته وآماله، بعكس الأحزاب العلمانية أو الملحدة أو الطائفيّة المرتبطة بالأجنبي فكرياً وبالخارج موقفاً، وتحركاً وسياسة...

والملاحظة التي لا بد من تسجيلها، والتأكيد عليها، هي أن التنظيمات المؤمنة الحقيقية، بسبب انطلاقها من القواعد الإسلامية والعقيدة الإلهية، والمقاييس القرآنية فإنها بمعزل عن نقائص الأحزاب العلمانية أو الطائفية أو الملحدة أو المنافقة، لأن الإسلام هو إيمان الجماهير، وفكرها، وتراثها وصانع تاريخها، وأهدافها وقيمها.. لذلك يمكننا القول أن حركة أمل (كحركة إسلامية مؤمنة) هي جزء من حركة الشعب نحو أهدافه الإنسانية التقدمية، وهي تنظيم شعبي، يمكن وصفه بأنه تنظيم الشعب وحزبه، وبكلمة أخرى: إن حركة أمل هي حزب الله من أجل خدمة الشعب أو حزب الشعب من أجل رضا الله.

---

(١) حديث شريف

(٢) هود آية ١١٣.

قال سبحانه: «إلا إن حزب الله هم المفلحون»[٣].
وقال أيضاً: «الا إن حزب الشيطان هم الخاسرون»[٤]

٦ ـ حركة أمل أم حركة المحرومين؟.

لقد كانت التسمية الأولى لهذه الحركة «حركة المحرومين» ولهذه التسمية دلالة مهمة على مهمة الحركة في المجتمع، ودورها المنسجم مع حركة الأمة المستضعفة المحرومة، وكانت «أمل» هي الاسم المتشكل من الحروف الأولى لـ «أفواج المقاومة اللبنانية»، إلا أن سماحة الإمام الصدر، القائد العام للحركة، رأى أن يدمج الاسمين في إسم واحد.

إن حركة أمل، هي حركة المحرومين والمستضعفين، أملهم في الحياة الراقية المتطورة السعيدة، وأملهم في بناء الوطن المستقر القائم على أساس العدالة والمساواة والحرية، وأملهم في تحقيق إنسانيتهم في عالم تخطى حدود الإنسانية، وغدا القوى فيه مهاباً، يتمتع بالخيرات والمنافع، والضعيف فيه ذليلاً مهضوم الحقوق مهاناً.

حركة أمل، أمل الضعفاء والمحرومين، وحركة المحرومين هي حركة أمل في سبيل رفع الظلم عن المظلومين ودحر الظالمين.

أمل صوت الحق وصرخة الأمل في وجه اليأس.

أمل أمل الأمة لنشر رسالتها الربانية ودفع أمة الأمل باتجاه عالم الأمل. وعالم الأمل، هو غير عالم الأحلام، وأمل الأمة هو اندفاعها الثوري لتنفيذ تعاليم الرسالة الإسلامية في الحياة.

---

(٣) المجادلة آية ٢٢.
(٤) المجادلة آية ١٩.

أنواع الأحزاب[1]

أ ـ تنقسم الأحزاب من حيث علاقتها بالمجتمع إلى:

١ ـ **أحزاب تغييرية**، وهي الأحزاب التي **تحمل عقيدة ينبثق عنها نظام يخالف النظام السائد** في المجتمع، وتعمل على تغيير الأسس التي يقوم عليها المجتمع، تبعاً لعقيدته، أو تبعاً لما فرض عليه، كالأحزاب الإسلامية التي تعمل على تغيير الواقع في العالم الإسلامي والعالم بالإسلام.

إن المجتمعات المعاشة الآن، إما ذات أنظمة رأسمالية، أو أنظمة إشتراكية تنبثق الأولى عن عقيدة رأسمالية، والثانية عن عقيدة إشتراكية أو أنظمة ملفقة مفروضة فرضاً، لا تعتمد على عقيدة كما في العالم الإسلامي، **والعمل الإسلامي لتطبيق الإسلام هو عمل تغييري في أي مكان من العالم لأنه عمل لتغيير النظام السائد**. ويتحول العمل الإسلامي إلى عمل إصلاحي في أي مكان إذا طبق فيه نظام الإسلام. «وفيما يعود لحركة أمل، فقد بيّنا خطتها عند الكلام عن الجانب السياسي العام في البحث الثاني».

وقد تكون بعض الأحزاب الشيوعية في الوقت الحاضر أحزاباً

---

(١) البحث مقتبس من مجلة الجهاد العدد السادس مع قليل من التصرف.

تغييرية لكن الغالب في الأحزاب الشيوعية النوع الإصلاحي كما سيأتي.

٢ ـ أحزاب **إصلاحية** وهي الأحزاب التي **تعمل لإصلاح جوانب المجتمع، لأن** الأسس التي يبنى عليها المجتمع والنظام الذي يطبق فيه تكون مما تعتقد هذه الأحزاب، وتعمل هذه الأحزاب، **على إصلاح بعض القوانين، وملاحظة إساءة تطبيقها**، وملاحظة المساس بالعقيدة كالإنحراف عنها، ومخالفتها وما شابه ذلك.

وأمثلتها الحزب الشيوعي الصيني، وحزب العمال البريطاني، والحزب الديمقراطي الأميركي، والأحزاب الإشتراكية والشيوعية في أوروبا، في القسم الأخير من القرن العشرين، تحولت من أحزاب تغييرية إلى أحزاب إصلاحية لقناعتها بعدم إمكانية تغيير المجتمعات الأوروبية، من مجتمعات رأسمالية تؤمن إيماناً كبيراً بالحرية، إلى مجتمعات إشتراكية يفقد فيها الإنسان حريته السياسية، كما في العالم الشيوعي. وكمثال تاريخي للأحزاب الإصلاحية، الحزب العلوي في الدولة الأموية والعباسية والحزب الإسماعيلي في الدولة العباسية والخوارج في الدولة الأموية.

٣ ـ أحزاب **محافظة** وهي الأحزاب التي **تحافظ على الأوضاع الإجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع، وتعارض الإصلاح أو التغيير، وأمثلتها حزب المحافظين البريطاني، والأحزاب الكاثوليكية الإيطالية والإلمانية**. أما التيارات الليبرالية في الأحزاب المحافظة في العالم الرأسمالي، فتعتبر تيارات إصلاحية. وكمثال تاريخي للأحزاب المحافظة الحزب القرشي، أيام الخلفاء وإلى نهاية العهد العباسي.

٤ ـ أحزاب **مصلحية**، وهي تدور **مدار مصالح الأفراد الشخصية**، ككثير من الأحزاب الحاكمة في العالم الثالث.

وتطلق صفة «اليسار» على الأحزاب الإصلاحية في أوروبا، وصفة «اليمين» على الأحزاب المحافظة. وتستعمل هذه الصفة في العالم إنطلاقاً من مفهومها السياسي الأوروبي.

ويتوسع الأوروبيون في استعمالها في العالم الثالث.

ب ـ وتنقسم الأحزاب من حيث تخصص نشاطها في المجتمع إلى:

١ ـ **أحزاب شمولية** وهي التي **تعتنق مبادىء شاملة تشمل النشاطات الإنسانية الحياتية**، الإقتصادية والسياسية والإجتماعية **كلّها أو جلّها**.

٢ ـ **أحزاب برلمانية** وهي أحزاب تنشأ من تكتل البرلمانيين أو من تكتل إنتخابي، **ويقتصر عملها على النشاط البرلماني والإنتخابي**.

٣ ـ **أحزاب لرعاية مصالح الرأسماليين** كالأحزاب التي تنشأ بتكتل مجموعة من أصحاب الرساميل. وكبار المصرفيين والتكتلات الصناعية، والتجارية، ونقابات أصحاب الأعمال، وتتمثل بالأحزاب المحافظة في العالم العربي.

٤ ـ **أحزاب عمالية في البلدان الصناعية**، حيث تتعاون النقابات العمالية لتؤلف أحزاباً عمالية، (ينتسب إليها) **للدفاع عن مصالح النقابات**. أو تنشأ أحزاب عمالية ينتسب إليها العمال مباشرة، وتنظم النقابات المهنية العمالية، وتدافع **عن مصالح العمال**.

٥ ـ **أحزاب فلاحية** وهي أقل انتشاراً، ونمواً من الأحزاب العمالية، وتنشأ من التجمعات والنقابات الزراعية.

٦ ـ **أحزاب ذات أصول طلابية** أو متأثرة بالحركات والأوساط الطلابية.

٧ ـ **أحزاب دينية**، فالدين والعقيدة الدينية، أساس مهم لتكتل الناس، ونرى هذه الأحزاب بين المسيحيين والبوذيين واليهود والمسلمين

ج ـ وتنقسم الأحزاب من حيث الإلتزام الفكري إلى:

١ ـ أحزاب مبدئية تلتزم بفكر وعقيدة معينين ولا تحيد عنهما.

٢ ـ أحزاب شبه مبدئيه وهي أحزاب تلتزم بأجزاء من مبدأ معين، تعتقد به، أو تلتزم بمنهاج معين ضيق.

٤ ـ أحزاب غير ملتزمة، وهي أحزاب تلتف حول زعيم يتخذ مواقف شخصية، وآنية تختلف باختلاف الظروف والمواقف السياسية.

٥ ـ أحزاب مفتعلة، وهي الأحزاب التي تنشأ إنشاء مفتعلاً، لتحقيق غرض محدد مثل الأحزاب التي ينشؤها الحكام لتنظيم الأنصار، والتظاهر بالمظهر الديمقراطي.

د ـ وتنقسم الأحزاب من حيث العلاقات الحزبية الداخلية
ـ الترابط العام ـ شكل الترابط ـ المركزية واللامركزية ـ إلى:

١ ـ الأحزاب ذات الترابط الضعيف، وهي الأحزاب التي يكون نشاطها موسمياً، والتي تسمح لأي كان، أن يدخل فيها أثناء موسم نشاطها. ولا يتطلب الإرتباط بها التزامات كثيرة، ولا اجتماعات دورية، بل قد يقتصر على قراءة صحف الحزب وإعطاء الصوت الإنتخابي وما شابه. إن قوة الترابط تتجلى في سعة الإلتزامات السياسية، والثقافية والمالية والفعاليات العامة،

فالأحزاب المحافظة في المجتمعات الرأسمالية أقل ترابطاً من الأحزاب الإشتراكية، وهذه أقل ترابطاً من الأحزاب الشيوعية، والأحزاب التي تعتمد العنف، تكون أكثر ترابطاً من غيرها. والأحزاب التغييرية الإسلامية أكثر ترابطاً من الجميع.

٢ ـ يأخذ الترابط الحزبي شكلاً **عمودياً أو أفقياً**. والإتصال الأفقي، هو الاتصال بين جهازين من مستوى واحد، كأن تتصل لجنة محلية، بلجنة محلية أخرى بصورة مباشرة مستقلة. ويكون الاتصال الأفقي في مناخ الحرية السياسية، وحيث تكون للقواعد الحزبية أهمية كبيرة، وخاصة وحين يكون للقواعد أهمية تاريخية في نشؤ الحزب، وفي الأحزاب ذات الترابط الضعيف تبلغ الإتصالات الأفقية ذروتها.

وليس هناك حزب ذو اتصال أفقي فقط، وإنما هناك أحزاب ذات اتصال أفقي، وعمودي معاً، أو ذات اتصال عمودي، **ويكون الإتصال الأفقي فيها بصورة غير مباشرة، بواسطة الهيئات الأعلى**، كما يحدث في المؤتمرات الحزبية، والإجتماعات ذات الصفة الإستثنائية.

والإتصال العمودي هو أن تتصل كل هيئة في الحزب بالهيئة التي تتبع لها، كأن تتصل الحلقة، باللجنة الفرعية التابعة، واللجنة الفرعية باللجنة المحلية وهذه بلجنة المنطقة، وهذه بالقيادة المركزية ولا تستطيع المجموعات، من رتبة واحدة الإتصال فيما بينها إلا عن طريق الهيئة الأعلى.

وفي الإتصال العمودي تكون وحدة الحزب أمتن وهو أكثر ملاءمة للعمل السري.

٣ ـ غالباً ما يقع التباس بين الإتصال العمودي الأفقي، (الإتصال المزدوج) واللامركزية، والحالتان تلتقيان في كثير من

المسائل، ولكنهما ترتكزان على أساسين مختلفين: فالإتصالات العمودية والأفقية، هي الأسلوب الذي يحقق التوافق في قواعد الحزب، فقد يأتي التوافق عن طريق اتصال القواعد مع بعضها أو يأتي عن طريق الإتصال باللجان المسؤولة. والمركزية واللامركزية تعودان إلى توزيع السلطات بين مستويات القيادة. فقد تكون الإتصالات عمودية ولا تعتمد المركزية المطلقة، وقد تكون مزدوجة وتأخذ المركزية واللامركزية كثير من الأشكال.

وقد ابتدع الحزب الشيوعي نظرية «المركزية الديمقراطية»، التي تقوم على اعلام المركز بوجهة نظر القاعدة، لكي يتمكن من اتخاذ القرار الصالح، وتأمين تطبيق قرار المركز، على كل المستويات بصورة دقيقة. وتفترض المركزية الديمقراطية، أن مناقشات حرة، تجري في القواعد قبل اتخاذ أي قرار، من أجل تنوير المركز، ولكن النقاش يتوقف بعد القرار. وبالنسبة للمركزية واللامركزية في الفكر الحزبي تعطي بعض الأحزاب، الإستقلال لمختلف الأجنحة، والنزعات المتكونة داخل الحزب وأحياناً يشجع إختلاف التركيبات الحزبية على اللامركزية الفكرية في حين تهتم بعض الأحزاب، اهتماماً كاملاً، بالمركزية الفكرية.

ـ إن العوامل التي تؤثر على اتخاذ موقف المركزية واللامركزية هي:

١ ـ عقيدة الحزب أو منهاجه.
٢ ـ ولادة الحزب وهل نشأ بمبادرة من المركز أوْ مِنْ تجمّع القاعدة، وانتخاب القيادة.
٣ ـ وأحياناً كما في الأحزاب الرأسمالية تلعب طريقة تمويل الحزب، أهمية خاصة في المركزية واللامركزية، حيث يكون التمويل من الإشتراكات المفروضة، على القاعدة، أو من بعض القياديين.

٤ ـ النشاطات المحلية التي تؤثر على المركزية واللامركزية في الأحزاب البرلمانية.

هـ ـ وتنقسم الأحزاب من حيث الوحدات التنظيمية الأولية في القاعدة إلى:

١ ـ أحزاب تعتمد على خلايا مهنية وتكون هذه الخلايا مغلقة، وقليلة العدد، في ظروف العمل السري، ومغلقة كثيرة في ظروف العمل العلني.

٢ ـ أحزاب تعتمد على خلايا محلية مغلقة، قليلة العدد، في ظروف العمل السري وكثيرة العدد نسبياً في ظروف العمل العلني.

٣ ـ أحزاب تعتمد خلايا مهنية ومحلية حسب أوضاع العمل.

٤ ـ أحزاب تعتمد على شعب مفتوحة للإنتساب العام، مهما كثر المنتسبون وتهتم هذه الأحزاب، بالتثقيف الحزبي والنشاطات الحزبية المختلفة.

٥ ـ أحزاب تعتمد على لجان ذات نفوذ محلي، وذات صلاحيات حزبية واسعة، وتكون هذه اللجان شبه مغلقة.

و ـ وتنقسم الأحزاب من حيث علاقاتها العامة مع الآخرين إلى:

١ ـ أحزاب مرنة.

٢ ـ أحزاب متصلبة.

٣ ـ أحزاب تتخذ مواقف معينة للظروف دون التقيد بمبدأ معين.

كما تنقسم الأحزاب من حيث الإنتماء التنظيمي إلى أحزاب، ذات انتساب مباشر، وأحزاب ذات انتساب غير مباشر، كالأحزاب التي تتألف من عدة تجمعات أو نقابات...

ففي بعض الأحزاب يكون القادة المحليون، ذوي سلطة واسعة، ويحتفظ المركز بسلطان قليل عليهم، كالقرارات الأساسية. وتتجه هذه الأحزاب نحو المشاكل المحلية على حساب القضايا العامة والعالمية ـ ومن هذه الزاوية، نرى كيف أن المصالح الإنتخابية المحلية تؤثر على السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأميركية ـ وهذه اللامركزية المحلية تتلاءم أحياناً مع الترابط الضعيف، كما تتلاءم أحياناً مع الترابط القوي.

وتظهر اللامركزية في بعض الأحزاب على شكل إعطاء صلاحيات كاملة، لمختلف التنظيمات الداخلية في الحزب فقد يحتوي الحزب على تنظيمات فلاحية، وعمالية، وطلابية، ومهنية، وحين ذلك تظهر التناقضات داخل الحزب. والحزب الذي يعمل في أقاليم مختلفة داخل دولة اتحادية، أو يعمل في أقطار مختلفة منفصلة بعضها عن الآخر، يحتاج إلى اللامركزية لكي يتمتع بحرية العمل.

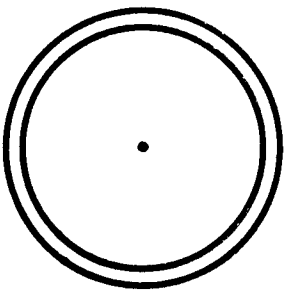

البحث الثالث

الميثاق وتفسير التاريخ

محتويات البحث:

١ ـ مقدمة عامَّة:
٢ ـ نظريات في تفسير التاريخ:

أ ـ التفسير المادي ـ المادية التاريخية.
ب ـ النظريَّة الجنسية الفرويدية.
جـ ـ النظريَّة الطبيعية الجغرافية.
د ـ النظريَّة العرقية أو نظرية الأجناس.
هـ ـ التفسير المثالي للتاريخ (هيغل).
و ـ التفسير الحضاري (توينبي).
ز ـ التفسير الإسلامي القرآني.

الميثاق
وتفسير التاريخ

إن مسألة تفسير التاريخ من المسائل الأساسية، التي وقف عندها المفكرون والفلاسفة، وكان لها في النظم الفلسفية شأناً كبيراً، اتخذ عدة اتجاهات، حسب الأسس التي بنيت عليها هذه النظم والمذاهب، إلا أن هناك فارقاً جوهرياً بين المذاهب الوضعية، والمذهب القرآني في هذه المسألة. وهذا الفارق يتركز حول المنهج المتبع، إذ أن المفكر الذي يسعى إلى وضع تفسير مترابط التاريخ يضع القواعد والقوالب، ثم يحاول أن يدلل عليها بوقائع تاريخية، وكثيراً ما نرى، أن بعض الحوادث التاريخية تحشر حشراً، وتعصر عصراً، لتدخل في قالب أعد لها سلفاً، وربما سيق بعضها ليستنتج منه، نتيجة لا تتلاءم مع الحادثة، وهذا ما ظهر عند أكثر من حاول تقديم تفسير للتاريخ من أصحاب المذاهب الاجتماعية.

أما المذهب القرآني ـ المتبنى من قبل ميثاق حركة أمل ـ فإنه يرسم السنن التاريخية الحاكمة للتاريخ والحضارة، منطلقاً من الحوادث التاريخية، والرؤية المستقبلية، ضمن اطار الشمولية، والإحاطة العامة بمختلف الجوانب، مفسحاً في المجال لجميع العناصر المستجدة، فلا هو يقيد الحدث التاريخي بحيث يصبه في قالب جامد، ولا هو يترك الثغرات أمام الفكر البشري، والتطور الاجتماعي، بل يحدد التصميم العام، والخطوط الأساسية، لفهم

التاريخ بشكل موضوعي، بعيداً عن الترجيحات والتفسيرات المبهمة، والتعسف في السرد للوقائع. على هذا الأساس، فإن تفسير التاريخ له أهمية كبرى في فهم الحياة وتطورها، إذ أنه يعتبر القاعدة المتينة التي تبنى عليها النظم والمبادىء، باعتبار أنه لا يوجد أي فاصل بين مراحل الحياة، فالحاضر وليد الماضي، والمستقبل وليد الحاضر، والحاضر ماضي بالنسبة للمستقبل والمستقبل حاضر بالنسبة للماضي.

إن صحة القوانين والسنن التي تكشفها دراسة التاريخ وتفسيره، عامل أساس في صحة التوجهات لتطور الحياة وصنعها وأعمارها.

نظريات في تفسير التاريخ:

تقسم النظريات المفسّرة للتطور التاريخي، إلى قسمين، هذا إذا نظر إليها من جهة اعتماد العامل المحرك للتاريخ، وإلى ثلاثة أقسام إذا كان المقياس وضعيتها أو ربانيتها:

أ ـ التقسيم المستند إلى العوامل المحركة:

أولاً: النظريات المرتكزة على أساس المحرك الوحيد للتاريخ، وأن العوامل الأخرى تنشأ وتتأثر بالعامل الأساسي وكأمثلة على هذا الاتجاه نذكر ما يلي:

نظرية المادية التاريخية ـ النظرية الجنسية الفردية ـ النظرية الطبيعية الجغرافية ـ نظرية الأجناس البشرية..

ثانياً: النظرة القائلة بتعدد العوامل المحركة للتطور التاريخي والتي تعتبر الإنسان محور الحركة التطورية للمجتمعات، وتتمثل بالتفسير الإسلامي للتاريخ الذي يتبناه الميثاق.

ب ـ التقسيم المستند إلى مصدر التفسير للتطور التاريخي:

أولاً: التفسير الوضعي (البشري)، ومن الأمثلة عليه: التفسير المثالي ـ التفسير المادي ـ التفسير الحضاري.

ثانياً: التفسير الرباني: التفسير الإسلامي للتاريخ المستمد من القرآن الكريم.

نظرية المادية التاريخية في تفسير التاريخ أو التفسير المادي:

يقول انجلز: «كما كشف دارون التطور العضوي للعالم، فكذلك كشف ماركس قانون تطور التاريخ البشري وهو تلك الحقيقة البسيطة التي كانت حتى الوقت الأخير مخفاة تحت أغطية أيديولوجية، حقيقة أن الناس يجب أن يأكلوا ويشربوا ويملكوا المسكن والملابس، قبل أن يكونوا قادرين على الاشتغال بالسياسة والعلم والفن والدين الخ.. ومن ثم فإن انتاج الوسائل المادية المباشرة للحياة وكل درجة معينة في التطور الإقتصادي للشعب أو العصر تكوّن القاعدة التي تتطور على أساسها مؤسسات الدولة والآراء القانونية والفن بل والتصورات الدينية لهؤلاء الأفراد، والتي بمقتضاها يجب لهذا أن تفسر وليس العكس كما هو الحال حتى الآن[1]».

ويقول لينين: «إن إرجاع العلاقات الاجتماعية، إلى العلاقات الإنتاجية وتلك الأخيرة إلى مستوى القوى المنتجة، هو وحده الذي قدم أساساً راسخاً لتصور تطور التشكيلات الاجتماعية بكونه عملية تاريخية طبيعية[2]» وهكذا فإن **العامل الإقتصادي هو الذي يحدّد جميع**

---

(١) ماركس وانجلز ـ المؤلفات المختارة ـ المجلد الثاني صفحة ١٥٧.

(٢) لينين ـ المؤلفات ـ المجلد الأول صفحة ١٢٣.

الأوضاع الاجتماعية من فكرية وسياسية ودينية وحقوقية أي أنه هو الذي يكيِّف جميع البنيات الفوقية.

وترى الماركسية أن المجتمعات البشرية مرت بعدة أوضاع من أشكال الملكية:

١ ـ المشاعية البدائية، ٢ ـ العبودية، ٣ ـ الإقطاعية، ٤ ـ الرأسمالية، ٥ ـ الإشتراكية (الشيوعية).

إلا أن هذه النظرية تحكم على نفسها بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يظهر أنها ليستْ قوانين مستمرة في فعلها، دائمة في تأثيرها على المسيرة التاريخية للتطور الإجتماعي، باعتبار أن الأوضاع الاقتصادية التي عاشها ماركس في ظروف خاصة، أملت عليه هذه النظرية.

فالوضع الإقتصادي في نظر المادية التاريخية «هو الأساس الواقعي للمجتمع بكل نواحيه... ففكر الإنسان انعكاس عقلي للأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية التي يعيشها، وهو ينمو ويتطور طبقاً لتطور تلك الأوضاع والعلاقات.. وبالرغم من وصول الماركسية إلى هذه النتيجة في تحليلها الإجتماعي، أبت أن تطبّق هذه النتيجة على نظريتها التاريخية نفسها فنادت بالمادية التاريخية كحقيقة مطلقة.. ولو كلفت الماركسية نفسها شيئاً من ذلك، كما يحتمه عليها الحساب العملي، لاضطرت إلى القول: إن المادية التاريخية بوصفها نظرية معينة قد انبثقت من خلال العلاقات الإجتماعية والإقتصادية، فهي ككل نظرية نابعة من الظروف الموضوعية التي تعيشها»[٣].

ومن جهة ثانية نحاول أن نناقش النظرية من زاوية أخرى فنتساءل: ما هي قوى الانتاج؟ ويكون الجواب: «إن قوى الإنتاج هي القوى التي يستخدمها الإنسان في الإنتاج الإقتصادي من صفات

(٣) اقتصادنا ـ الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر ـ صفحة ٤٠ ـ ٤١ (الطبعة الثالثة).

الخصب في التربة، والخواص التي تتميز بها المعادن، والقوى الآلية والكيمياوية في الطبيعة، وحرارة الشمس، وقوة البخار والكهرباء وكذلك قوى الحيوانات والإنسان نفسه».

إن تاريخ الإنسان حافل بالشواهد على ذكاء الإنسان كان العامل الأول في اكتشاف هذه القوى، «ولو لم يكن الأمر هكذا، أو لم تكن هناك حاجة إلى الذكاء لاكتشاف قوى الطبيعة واستخدامها.. لأنشأت الأجناس الدنيا مدنيات بنفس السرعة التي تنشئها بها الأجناس العليا.. ملايين الأغصان نمت على الأشجار، أو كانت ممددة على الأرض، يمكن أن تقوم بعمل العتلات أو تكون سياجات، وكان هناك أحجار حادة كثيرة، يمكن أن تستخدم كسكاكين أو فؤوس، والبخار ظل يرفع غطاء الأبريق مئة ألف مرة، ومع ذلك لم يصبح الاكتشاف ممكناً حتى جاء رجل ذو ذكاء كافٍ وعزم على أن يستفيد من الغصن أو الحجر، ورجل موهوب، رأى أن البخار الذي كان يرفع غطاء ابريق الشاي يمكن أن يفيد في أغراض أعظم بكثير[٤]».

«وهنالك أيضاً شيئاً كثيراً في التاريخ غير العامل الإقتصادي، فالإنسان لا يقصر حياته على أن يحبو على بطنه، فهنالك كل أشكال الحماس والولاء والايحاء والالهام التي تحفز الإنسان للعمل، والتي هي رغم ذلك غير اقتصادية بتاتاً، ولكنها في نفس الوقت تؤثر على الظروف الاقتصادية، وفوق كل ذلك فإن تأثير الذهن على الذهن مع نتائج هذا التأثير البعيدة، وهو من أعظم التأثير في العالم، يستعصي على التفسير الإقتصادي.. إن الأصوب عند التفسير للتاريخ أن يتواضع المرء، وربما أن يعتقد بعدم كفاية عقله لإدراك الغيبيات، ذلك أنه

(٤) عبد الحميد صديقي ـ تفسير التاريخ ـ صفحة ٩٣ ـ ٩٥.

يدرك أن تاريخ الإنسان، إنما تكونه عوامل كثيرة ليس الاقتصاد إلا عاملاً واحداً منها ربما لم يكن أكثرها أهمية[٥]».

ونجدر الملاحظة، إن المادية التاريخية، بشكلها البسيط، يمكن أن ترى كاملة في بحث أعده «هولباخ»، وهي أيضاً مدينة بالكثير إلى «سبينوزا» وقد أعاد «فيورباخ» تقرير شكل مجدد منها في أيام ماركس نفسه. ويمكن أن ترى النظرة إلى التاريخ الإنساني على أنه دراسة للحرب بين طبقات المجتمع عند «سانت سيمون». . أما النظرية العلمية لحتمية حدوث الأزمات الاقتصادية حدوثاً منتظماً، فربما أول من وضعها «سيسموندي» «وأما النظرية العلمية لظهور الطبقة الرابعة فقد اتخذها دون ريب أوائل الشيوعيين، ودعا إليها في المانيا في أيام ماركس كل من «فون شتاين» و«هيس». وأما التسلط المطلق للطبقة العاملة «ديكتاتورية البروليتاريا» فقد وضع «بابويف» خطوطه الكبرى بشكل ظلال، وذلك في آخر عقود القرن الثامن عشر وبأشكال مختلفة، كل من «فايتلنغ» و«بلانكي»، وقد زاد في إيضاح المركز الحاضر والمستقبل للعمال وأهميتهم في الدولة الصناعية «لوي بلون»، واشتراكيو الدولة الفرنسيون بشكل أكثر تكاملاً مما يوافق ماركس على إقراره. وأما نظرية القيمة الفائضة المبنية على العمل، فتستمد من «لوك» و«آدم سميث» والاقتصاديين القدامى المحافظين «الكلاسيكيين». ونظرية الاستغلال وقيمة الفائض ومعالجتها بسيطرة الدولة، سيطرة مباشرة يمكن أن ترى لدى كل من «فورييه» وفي كتابات الاشتراكيين الأوائل مثل «بري» و«تومبسون» و«هولجسكن»[٦].

وهكذا نستطيع أن نقرر أن ماركس، لم يكن المؤسس للتفسير الديالكتيكي للتاريخ، وإنما نسق هذه النظريات التي اقتبسها عن غيره

---

(٥) نفسه صفحة ٩٨ ـ ٩٩.

(٦) نفسه ـ هامش ١ ـ ص ٨٧ ـ ٨٨

واستعان بديالكتيك «هيغل»، وكانت المادية التاريخية نظرية تفسير التاريخ البشري على أساس العامل الاقتصادي. إلا أن وضوح خطأ الفكرة جعل انجلز يعترف بذلك ويتراجع عنها عندما قال: «إن توجيه الكتّاب الناشئين ـ الاهتمام إلى الجانب الإقتصادي بأكثر مما يستحق ـ أمر يقع اللوم فيه على عاتقي وعاتق ماركس، لقد كان علينا أن نؤكد هذا المبدأ الرئيسي لنعارض خصومنا الذين كانوا ينكرونه، ولم يكن لدينا الوقت أو المكان أو الفرصة، لنضع العناصر الأخرى التي تتضمنها العلاقة المتداخلة في مواضعها الحقيقية[٧]».

النظرية الجنسية:

وهي النظرية القائلة، إن الغريزة الجنسية وراء النشاطات الإنسانية بمختلف أشكالها وأن حياة الإنسان وتطور المجتمعات متعلق بها، وزعيم هذه المدرسة «فرويد»: يقول فرويد: «اهتديت إلى أن الوظيفة الجنسية موجودة منذ بدء حياة الفرد، برغم أنها تكون في بادىء الأمر ممتزجة بالوظائف الحيوية الأخرى، فلا تستقل عنها إلا فيما بعد.. وقد أطلقت اسم الليبيدو على طاقة الغرائز الجنسية دون غيرها[٨]».

إلا أن فرويد عاد في وقت آخر ليقول. ان الطاقة التي تمثل غرائز الأنا ان هي إلا جزء من اليبيدو[٩]

ويرى فرويد: «إن عملية الوصول إلى موضوع للحب، تلك العملية التي تلعب دوراً هاماً في الحياة النفيسة تتمشى مع تكون الليبيدو. فبعد مرحلة الشهوانية الذاتية يكون أول موضوع للحب

---

(٧) التفسير الإشتراكي للتاريخ ص ١١٦

(٨) حياتي والتحليل النفسي.

(٩) مقدمة في علم النفس ـ د. عبد السلام عبد الغفار. ص ١٠٨

لدى الجنسين هو الأم. . وبعد ذلك في السنوات الأولى للطفولة أيضاً من الطفولة تتكون العلاقة المعروفة بعقدة أوديب: فيركز الاولاد رغباتهم الجنسية في الأم وتتكون لديهم دوافع عدوانية ضد الأب بوصفه غريماً وتتخذ البنات اجتاهاً مقابلاً[١٠]».

ويكفينا في نقد هذه النظرية تراجع فرويد نفسه وذلك بتوسيع عرضه لاكتشافاته في حياة الإنسان الجنسية قوله: «هذا التوسع ذو شقين: أولهما فصل الجنسية عن ذلك الارتباط الضيق بالأعضاء التناسلية واعتبارها وظيفة جسيمة أشمل من ذلك. . . وثانيهما اعتبار الدوافع الجنسية متضمنة كل مشاعر الود والصداقة. .

ولست اعتبر مع ذلك، أن في هذا التوسع في معنى الجنسية أمراً جديداً بل تصحيحاً غرضه إزالة ما أحاط بفكرة الجنسية من حدود ضيقة انسقنا إلى وضعها إنسياقاً[١١]».

النظرية الطبيعية الجغرافية:

هذه النظرية تتلخص بأن **الوسط الطبيعي والجغرافي هو العامل الوحيد لنشأة المجتمع وتطوره وان الأخلاق والفلسفة والأدب والفن والطبائع والقوانين والتفكير مرتبطة جميعها بالوسط الجغرافي والهواء والأرض والأقليم، الذي يعيش فيه الإنسان،** فأبقراط ـ مثلاً ـ يرى أن أخلاق الناس الذين يعيشون في البلاد المرتفعة تختلف عن أخلاق الذين يقطنون السهول والشواطىء ويقول «مال برانش»: إن للهواء الذي يتنفسه الإنسان تأثيراً على عقله.

أما مونتيسيكيو «فإنه يؤمن بالعلاقة السببية بين الاقليم الطبيعي

---

(١٠) حياتي والتحليل النفسي ـ ص ٤٢.
(١١) نفسه ص ٤٤.

والمجتمع في كيانه الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والقوانين الدستورية والعادية. . .

ونسي هؤلاء أن للإنسان ونشاطه وعمله أكبر الأثر في عملية السيطرة على الطبيعة وإخضاعها لشروطه في أحيان كثيرة، وحسب التطور العلمي للإنسان، فهو الذي استطاع أن يجعل من الصحاري أراض صالحة للزراعة وهو الذي يستطيع أن يدمر مدنيات زاهرة إن أراد(١٢).

ويمكن لنا القول مع توينبي إن البيئة الجغرافية وحدها ليست عاملاً أساسياً في نشؤ الحضارات الأولى، فهنالك ـ مثلاً ـ أحواض أنهار تشابه وديان النيل ودجلة والفرات، جغرافيا، لم تنشأ فيها حضارة مستقلة مطلقاً، ولكن عندما استوطنتها جماعات كالأوروبيين المحدثين، وعرفت كيف تستجيب استجابة ناجحة لتحدي البيئة الطبيعية هنالك، نشأت فيها حضارات لم يتمكن السكان القدماء من إنشائها بدافع البيئة الجغرافية وحدها.

والحضارات قد تنشأ في بيئات مختلفة، فقد تكون البيئة الطبيعية التي تساعد على قيام الحضارات، بيئة رسوبية كما في مصر والسند والعراق أو قد تكون هضبية، كما في مواطن الحضارات الحثية والمكسيكية، أو قد تكون أرخبيلية كما في الحضارتين الاغريقية واليابانية.

كل هذا يدل على أن لأي نوع من أنواع المناخ، والطبوغرافية القابلية لأن يكون بيئة مساعدة للنشؤ الحضاري، بشرط أن يتوفر وجود الحافز الأساسي. . إن هناك نوع من التفاعل الخلاق بين مختلف

---

(١٢) الوسيط في القانون الدستوري العام ـ الأسس الإجتماعية للأوضاع الدستورية ـ د. ادمون رباط ص ٣١.

العوامل إذ أنه «ليس السبب في نشؤ الحضارات بسيطاً ولكنه متعدد، وليس وحدة مستقلة لكنه علاقة مشتركة[١٣].

النظرية العرقية أو نظرية الأجناس:

يعتقد عدد من العلماء ـ علماء الأجناس، علماء الأثنولوجيا ـ: أن البشر نتيجة لتعرضهم لفروقات مناخية عظيمة بعد انتشارهم في الأرض تميزوا عن بعضهم بخصائص فيزيولوجية ونفسية خاصة. ويفترض علم النفس الاجتماعي وجود صلة وثيقة بين قيمة الخصائص النفسية وطبيعة المزايا الفيزيولوجية المتفاوتة في الأجناس البشرية المختلفة[١٤].

فالفروقات الشكلية بين الأجناس البشرية اتخذت كذريعة لتأسيس فلسفة تفسِّر التطور الحضاري، بتفوق بعض الأجناس على البعض الآخر، وإن هذا التفوق، يرتكز على التركيب البيولوجي للأجناس. ومن أشهر من كتب في هذه النظرية «كوبينو» وقد أخذ عنه الألمان البانجرمانيون، ومن ثم النازيون من الكتّاب، على أن الفلسفة العنصرية لم تقتصر على الالمان بل شملت غيرهم من الشعوب[١٥].

وينتقد توينبي النظريات الاثنولوجية، ويعلن اخفاقها في تفسير عملية النشؤ الحضاري.. إذ أن القول بتفوق الجنس الأبيض بفروعه الثلاثة: النوردي، والالبيني، والايبيري، والادعاء بأن أبناء هذا الجنس هم الذين انشأوا الحضارات، وأمدوها بالعبقريات في شتى مناحي الابداع، والقول بامتياز العنصر الجرماني على غيره من

(١٣) التفسير الإسلامي للتاريخ ـ د. عماد الدين خليل ـ ص ٧٣.
(١٤) التفسير الإسلامي للتاريخ ـ ص ٧٢.
(١٥) الأسس الإجتماعية للأوضاع الدستورية ـ رباط ـ ص ٣١.

العناصر، والزعم البريطاني ـ الإسرائيلي، القائل بتحدر سكان بريطانيا من أصل القبائل الإسرائيلية العشر. . . هذه الأقوال وغيرها تتهافت عند الوقوع على نتائج الدراسة الحضارية المقارنة التي تبين أن جميع الأجناس: الأبيض، وحوض البحر المتوسط، والبولينزي (أي الكوري الياباني) والأسمر والأصفر والأحمر ما عدا الأسود قد أسهمت في العمران الحضاري[١٦]. .

لقد ثبت بشكل قاطع أن خصائص الأجناس موجودة في كل الأجناس وأن أصولها متقاربة، أما فيما يخص اللون فأنا نرى أن الشعوب ذات الألوان المختلفة هي من أصل واحد. فالأصل الآري مثلاً، منه كان الجرمان البيض، والهنود، والفرس السود، الذين يميلون إلى الاسوداد.

التفسير المثالي للتاريخ (هيغل):

يرى هيغل أن كل فترة أساسية في تاريخ الحضارة الإجتماعية، أو كل عصر يمثل وحدة مستقلة، وان ملامحه السياسة والاقتصادية والاجتماعية العامة والجمالية والعقلية والدينية كلها جوانب أو نواح للمجموع الحي ومنها جميعاً يتكون كيان متجانس. و«ان كل فترة أساسية تنمي فكرتها الرئيسية، إلى الحد الأقصى ثم تولد أضدادها أو نقائضها». ويستمر الصراع دائمًا، فتتحد المبادىء المتناقضة في وحدة عليا هي «الموحِّد»، وهذا الموحِّد يندفع مرة ثانية إلى الحد الأقصى وينشب صراع جديد فيتولد حينئذ مرة أخرى موحِّد يحوي ما هو فعّال من وكل من الفرضية ونقيضها. وبهذا الاسلوب الثلاثي تتقدم الفكرة حتى نصل آخر الأمر إلى (المطلق) الذي نستطيع أن نبقى نتأمله إلى الأبد دون أن نتبين فيه أي تناقض.

(١٦) التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٧٢.

يقول هيغل: «إننا نستنتج مجرد استنتاج من تاريخ العالم أن تطوره كان دائمًا صيرورة عقلية (أي حركة فكرية متقدمة نحو الأعلى) وإن هذا التاريخ قد انشأ الطريق المنطقي الضروري لروح العالم.. تلك الروح التي طبيعتها دائمًا واحدة لا تتغير، والتي تعرض هذه الطبيعة في ظواهر وجود العالم». لذا، «فإن تفسير التاريخ هو بيان لعواطف البشر وعبقرياتهم وقواهم الفعالة التي تقوم بدورها على مسرح العالم الكبير، وان الصيرورة التي تقررها المشيئة السامية المهيمنة والتي تعرضها تلك العواطف والعبقريات والقوى الفعالة، هذه الصيرورة، تكوّن ما يسمى بصورة عامة بخطه المشيئة العليا».

يقول كروجيه ناقدا نظرية هيغل: «من ذا يستطيع أن يقنع نفسه أن الدين هو عدم وجود الفن وأن الفن والدين، ما هما إلا تجريدان لهما حقيقة إلا الفلسفة موحد الاثنين أو أن الروح العملية هي النفي للروح النظرية، وأن المحسوس نفي للحدس، وان المجتمع المدني نفي للأسرة وان السلوك الخلقي نفي للحقوق وأن كل هذه التصورات لا يمكن التفكير فيها خارج نطاق موحّدها الذي هو الروح الحرة والفكر والنزعة الأخلاقية للدولة، بنفس الطريقة كالوجود وعدمه، التي لا تصدق إلا بالصيرورة فقط[١٧]».

ولن نقف طويلاً عند نقد النظرية المثالية بل نكتفي بما ذكر منتقلين إلى نظرية التفسير الحضاري.

التفسير الحضاري للتاريخ (توينبي):

إن توينبي يرى أن انتقال الإنسان من الدور البدائي إلى الحضارة لم يكن بتأثير العوامل البيولوجية أو الجغرافية، ويعتبر أن

---

(١٧) التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٢٣ وما بعدها.

لعمليات التحدي والاستجابة أثرها في نشوء الحضارات وهذا يتجلى في كل العصور ابتداء من العهد الديني ـ الميتولوجي ـ انتهاء بالحضارة الغربية.

«إن الدافع الحيوي في عمليات النشوء الحضاري هو الإستجابة الظافرة لتحدي البيئة المناسبة، وهناك خمسة دوافع تتصل بطبيعة البيئة المناسبة وتستثير تفاعلها الخلاق وهي:

«دافع الأرض الصعبة ـ دافع الأرض البكر ـ دافع النكبات ـ دافع الضغط ـ دافع العقوبات».

ولقد وجهت آراء نقد عديدة إلى هذا التفسير، إذ أن «سوركن» رأى أن النظرية متهافتة في أمرين:

الأول: اعتبار الحضارة وحدة معقولة للدراسة التاريخية.

ثانياً: اعتبار الأدوار الحضارية من النشوء إلى النمو ثم السقوط والانحلال أساساً لفلسفته التاريخية.

ويؤخذ على توينبي سوء تطبيقه للمنهج العلمي في البحث التاريخي، إذ أنه كان يختار من الظاهرات ما يناسب فرضه[١٨].

وهناك جوانب أخرى في تفسير توينبي لن نتعرض لها الآن[١٩] ولكن نستطيع القول أن التفسير الحضاري للتاريخ تقدم خطوات تتسم بقدر معين من الموضوعية والشمول الذي يستند إلى نظرة كلية وادراك عميق لمقومات الحدث التاريخي. لكن الموقع الذي رصد منه بعض فلاسفة التاريخ المعاصرين، التاريخ تقف أمامه كثير من المرتفعات كسدود وحواجز تمنع الرؤية الكاملة والحكمة الشامل الصحيح، كما أن التجربة النفسية التي لامسوا بها أحداث التاريخ

(١٨) نفسه ص ٧٠ وما بعدها.

(١٩) ملاحظة: المقصود إعطاء نظرة سريعة عن مختلف النظريات وليس تفسيرها ودراستها دراسة مستوعبة لكل ما فيها.

تحمل الكثير من العناصر الذاتية المزدوجة والتأثيرات العلمانية، لذلك فقد أبقوا بعض الجدران المزيفة مرئية وغير مرئية، بين الحضور والغياب، والله والإنسان والمادة والروح والطبيعة وما وراء الطبيعة. . .[٢٠].

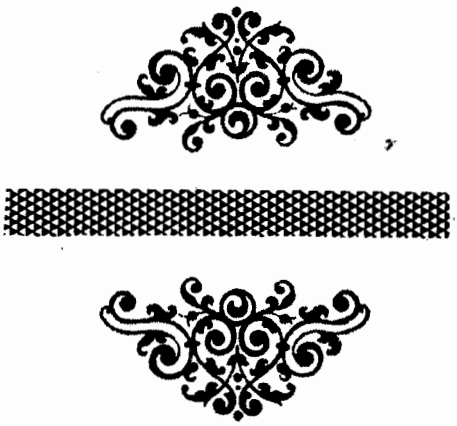

(٢٠) المرجع ذاته ص ١٦

البحث الرابع

التفسير الإسلامي للتاريخ والميثاق

محتويات البحث:

- مقدمة عامة.
- الإنسان محور الحركة التاريخية.
- دور العقيدة الإسلامية في التحويل الإجتماعي.
- القرآن الكريم والسنن التاريخية.
- دور الفعل الإلهي والفعل البشري في حركة التاريخ.
- السنن الطبيعية صانعة التطور التاريخي.
- تجاوز السنن النسبية في خدمة الحركة التاريخية.
- سنة الموت قيمة إيجابيَّة.
- المجتمعات تتحمل مسؤولية ممارساتها الحضارية.
- النعمة والعقاب نتيجة للالتزام بالسنن الإلهية.
- الترف سبب هلاك الأمم.
- الإيمان والتقوى سبب سعادة البشرية.

- الأفراد يتحملون مسؤولية أعمالهم.
- التفسير الإسلامي للتاريخ والحضارة.
- هدف الاستخلاف بناء الحضارة.
- الحفاظ على المكاسب الحضارية مهمة المجتمع المؤمن.
- حركة أمل امتداد لحركة الإنسان منذ أن كان.
- معنى الحرمان ودوره في الحياة الإجتماعية.
- الحرمان دافع للتغيير.
- حركتنا حلقة من حركة الإنسان العامة في التاريخ.
- الدليل العقلي والفلسفي على خطأ النظرية المادية.
- حركة النبوات والتاريخ.
- الأولياء والصلحاء (التابعون باحسان).
- الشهادة والشهداء.
- الدين الحقيقي والتحريفية الدينية.
- الفطرة الإنسانية والحركة التاريخية.

التفسير الإسلامي للتاريخ والميثاق

مقدمة عامة

يعتبر القرآن العظيم المصدر الأساسي في عملية تحديد قوانين التطور التاريخي، والسنن الاجتماعية للحركة التاريخية، وقبل البدء في تفصيل الكلام حول التفسير الإسلامي للتاريخ نقف عند النقاط التالية:

النقطة الأولى: **إن القرآن الكريم يحوي منهجاً متكاملاً يبين الطريقة الفضلى لدراسة التاريخ، ويعرض القوانين العامة الحاكمة للظواهر التاريخية**، ويوجه الأنظار لاستخلاص هذه السنن من مصاديق يقدمها في ثنايا آيات كريمات تتحدث عن الوقائع التاريخية.

النقطة الثانية: **المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ يتميز بالمرونة والواقعية والربانية والشمول والموضوعية.**

النقطة الثالثة: **تتخذ السنن التاريخية المعروضة في القرآن الكريم ثلاثة أشكال**[1]:

الشكل الأول: **شكل القضية الشرطية**، وأنه متى ما تحقق

---

(١) راجع مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن ـ للإمام السيد محمد باقر الصدر صفحة ٨٤ وما بعدها.

الشرط تحقق الجزاء، وهذه الصياغة موجودة في كثير من القوانين والسنن الطبيعية والكونية.

يقول تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[٢]﴾.

ويقول أيضاً: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيفها فحق عليها القول فدمّرناها تدميراً[٣]﴾.

الشكل الثاني: **شكل القضية الناجزة، المحققة، التي لا يملك الإنسان أن يغير من ظروفها، أو يعدل من شروطها** ومثاله في القوانين الطبيعية، والكونية، أن يقرر علماء الفلك أن الشمس سوف تكسف ـ مثلاً ـ في ١١ آب عام ١٩٩٩ أو أن القمر سوف يخسف في اليوم الفلاني.

يقول تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر[٤]﴾

الشكل الثالث: هو الشكل المصاغ على **صورة اتجاه طبيعي في حركة التاريخ**، لا على صورة **قانون جدي صارم**، إذ أن بعض الاتجاهات الموضوعية في حركة التاريخ **تقبل التحدي، ولو على شوط قصير**، أي أنها مرنة، ولكنها في حال تحديها يتحطم المتحدي على سنن التاريخ نفسها، فمثلاً لو تحدى مجتمع ما سنة الزواج لتحطّم باعتبار أنها اتجاه ركّب في طبيعة الإنسان. والدين مثلاً يعتبره القرآن الكريم سنة من سنن التاريخ من جهة، وتشريعاً ربانياً من جهة أخرى، ولكن يمكن لشخص من الأشخاص تحدي هذه السنة، وعدم الإلتزام بها ولكنه سينال عقابه وفق سنن التاريخ نفسه.

يقول تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر

(٢) الرعد: آية رقم ١١.
(٣) الاسراء: آية رقم ١٦.
(٤) القمر: آية رقم (١).

الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[٥] ﴾.

الإنسان هو محور الحركة التاريخية:

يقرر الإسلام: **ان محرك التطور التاريخي هو الإنسان نفسه**، إرادة الإنسان وعقله وعواطفه ودوافعه وحبه لذاته، أي أن المحتوى الداخلي للإنسان هو الذي يشكل الأساس في عملية التحويل الاجتماعي، والتطور التاريخي، **وفي حال حصول التغير في داخل الإنسان، فإن ذلك ينعكس على الواقع ليغيره** باتجاه آخر، وليلبسه ثوباً جديدا ضمن أطر جديدة، ومقومات، وأهداف ونتائج تختلف اختلافاً جذرياً عن حالتها السابقة.

ولا ننكر، أن للبناء الخارجي أثره على البناء الداخلي للإنسان، **إذ أن هناك علاقة تجاذب بين الواقع الموضوعي والمحتوى النفسي للإنسان** إلا أن الإنسان بفكره وإرادته هو المحور الأساس للتطور التاريخي.

قال تعالى، موضحاً سنة التغير الإجتماعي: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**[٦] ﴾ ونستطيع أن نقول أن «التغير الأساس هو تغيير ما بنفس القوم، والتغيير النابع المترتب على ذلك، هو تغيير حالة القوم النوعية والتاريخية والإجتماعية، ومن الواضح أن المقصود من تغيير ما بالأنفس، تغيير ما بأنفس القوم بحيث يكون المحتوى الداخلي للقوم، كقوم وكأمة وكشجرة مباركة تؤتي أكلها كل حين متغيراً. . **فالمحتوى النفسي والداخلي للأمة، كأمة**، لا لهذا الفرد

---

(٥) النور آية رقم ٣٠.

(٦) الرعد اية رقم ١١

أو لذلك الفرد **هو الذي يعتبر أساساً وقاعدة للتغييرات في البناء العلوي للحركة التاريخية كلها**[٧]. . . ».

وهكذا فإن التغيير الإجتماعي من وضع إلى وضع إنما يخضع، في الدرجة الأولى، إلى الإرادة الإنسانية والتفكير البشري، فالإنسان هو الذي يطور وسائل الانتاج وليست وسائل الإنتاج ـ كما تزعم الماركسية ـ هي السبب في تبدل الأحوال الإجتماعية والإقتصادية والدينية والحقوقية. . **ولهذا فإن محرك التطور الاجتماعي يعود لعوامل شتى**، قد يبرز تأثير بعضها في حالات، إلا أنها **تشترك جميعها أو أكثرها في عملية التطور ودفعه، ومن هذه العوامل العامل الإقتصادي، والعامل السياسي، والعامل العسكري**، والعامل الأخلاقي. . وإذا قيل أن كل هذه العوامل تتحدد بالعامل الإقتصادي، فإنه في هذه الحال، لا بد من معرفة السبب الذي يرتكز عليه هذا التطور، فإذا كان السبب وراء كل ذلك هو الفكر الإنساني، والتجارب البشرية، في مجالات العمل المختلفة. . . فإننا نعود لنسأل عن السبب الكامن وراء تطور الأفكار الإنسانية، هل هو تطور وسائل الإنتاج؟! ألا يبدو أننا ندور في حلقة مفرغة، بحيث لا نهتدي إلى السبب الأصيل، ولذلك تحتم علينا الإيمان بتعدد العوامل المحركة للتطور التاريخي، وعدم حصرها في عامل واحد فريد وقبل هذا يأتي دور **المحتوى الداخلي** للإنسان ليكون السبب الأساس في عملية التحويل الاجتماعي.

«وإذا كان من الضروري أن نربط بين الثورة من ناحية، وحركة التصنيع والقوى المنتجة من ناحية أخرى، فالشيء المعقول أن نعكس العلاقة الماركسية المفترضة بين الثورة والتصنيع، فنعتبر أن انخفاض المستوى الصناعي والانتاج من العوامل المهمة التي أدت إلى

(٧) مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن ص ١١٧.

دق أجراس الثورة في بلد كروسيا، على العكس تماماً من افتراض النظرية الماركسية، القائل: **إن الثورة الإشتراكية، بموجب القوانين المادية للتاريخ لا تكون إلا نتاجاً لنمو الرأسمالية الصناعية وبلوغها الذروة**»[٨].

والآن، ما هي العلاقة ـ حسب النظرية الماركسية ـ بين الإنسان وتطور وسائل الانتاج؟.

يقول لينين: «ومن حقيقة أنكم تعيشون، وتديرون شؤونكم المعيشية، وتلدون الأطفال، وتنتجون المنتجات، وتبادلونها، تتكون سلسلة ضرورية موضوعياً للحوادث وهي سلسلة التطور مستقلة عن وعيكم الاجتماعي الذي لا يشملها كلها أبداً[٩]».

ويقول ماركس وانجلز: «ليس التاريخ شخصية خاصة تستخدم الإنسان كوسيلة للوصول إلى أهدافها، ليس **التاريخ إلا نشاط الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق أهدافه**[١٠]».

نستنتج أن العامل الإقتصادي يعبر عن نفسه في أشكال مختلفة، فهو الذي يختبىء وراء كل الدوافع والأهداف.. وهنا لا نرى بداً من إغفال شأن آراء ماركسية كثيرة تبتعد عن الأسس العامة لهذه النظرية، كاعتبار ستالين ـ مثلاً ـ أن المجتمع قادر على ترويض القوانين الاقتصادية أو الحد من فعلها وتوجيهها[١١]».

دور العقيدة الإسلامية في التحويل الاجتماعي:

إن النظرة الإسلامية للتحويل الإجتماعي، ترتكز على صياغة

---

(٨) اقتصادنا ص ٦٩ ـ ٧٠

(٩) ـ المؤلفات المجلد ١٢٤ ص ٣١٢.

(١٠) ماركس ـ انجلز . المؤلفات ـ المجلد ٢ ص ١٠٢

(١١) دور الأفكار التقدمية في تطوير المجتمع ص ٢٢.

المحتوى النفسي للإنسان المؤمن، بحيث تقولب تطلعاته، وأهدافه وآماله، وآلامه، وعواطفه وأفكاره، ضمن قالب الفهم الواقعي الإلهي للحياة، والقائم على أساس توجيه الأنظار إلى التغيير الدائم نحو الأفضل، إذ أن الإسلام يقول: «من تساوى يوماه فهو مغبون (خسران)، ومن كان آخر يومية شرّهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيارة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة».

إن العقيدة الإسلامية، والأفكار التي تبتني عليها، والمشاعر التي تنبثق منها، وانعكاسات الإيمان بمنطلقاتها وأسسها... **هي العامل الرئيس في التطوير الإجتماعي**، مع إدراج العوامل الأخرى ضمن خطوط المحرك العام بطريقة **أن العوامل الخارجية لا تتحكم في الفعل والتأثير بل أن العقيدة الواعية الصلبة هي التي تؤثر على الخارج، وتجيّره لمصلحة الإيمان والإنسان.**

يقول سماحة الإمام موسى الصدر، القائد العام في إحدى محاضراته: «يوجز رسول الله (ص) **الفكرة التحويلية للتاريخ** بالكلمة التالية: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»... أي تصبحوا مفلحين يعني ـ هذا ـ ان تحول المجتمع من الوضع الذي كان موجوداً، إلى وضع آخر يسعد فيه الفرد وتسعد فيه الجماعة يحتاج إلى الإلتزام بالله الواحد. ومعنى الجملة يحتاج إلى بحث طويل حول نفي الالهة الأرضية.. تحطيم أصنام المال، أصنام السياسة، أصنام الجاه أو ما نسميه بالاقطاع.. والدعوة إلى وحدة الناس معتمدة على أساس الإيمان بالله الواحد.

... لا شك أن الوضع الاقتصادي يلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان، ولكن أن نقول أن الوضع الإقتصادي هو كل شيء في حياة الإنسان مبالغة في الأمر.

هناك مؤثرات أخرى في حياة الإنسان، ولذلك ترى إنساناً في طبقة اقتصادية واحدة مع إنسان آخر ولكن يختلف معه في التفكير.

ونحن شاهدنا في الأنظمة الإقتصادية الحديثة أمثلة كثيرة، فوجدنا في أبناء الثورة السوفياتية تفاوتاً كبيراً، لا في قادة الثورة فحسب، باعتبارهم أبناء ما قبل الثورة، لكن حتى في أبناء الثورة وجدنا خلافات عقائدية ضخمة أدت إلى **التصفيات والقتل والسجن والابعاد**، كما حصل مع الثورة الفرنسية أو أية ثورة أخرى. فلو كانت وحدة الطبقة هي التي تكون الفكر الموحَّد، وبالتالي تنفي الصراع الطبقي في التاريخ لما حصل ذلك.. بالأمس كان ستالين، وفريام، وماريكوف، وكانت مؤثرات أخرى وشخصيات أخرى، والعكس أيضاً صحيح، فالإنسان يجد في الطبقات الإقتصادية المتفاوتة تشابهاً في التفكير.. روبرت أوين البريطاني الذي يسمى بأبي الإشتراكية في العالم كان رأسمالياً يملك الكثير من أسهم المصانع، وهو الذي ووضع قوانين لتحديد ساعات العمل، ولمنع الأطفال من العمل، ولإعطاء بعض الحقوق للعمال، وهو رجل ليس من أبناء الطبقة البروليتارية.

وهناك عوامل عديدة ـ غير العامل الإقتصادي ـ إذ أن الإنسان وليد بيئته، والذي يتأثر بالعامل الاقتصادي يتأثر بعوامل أخرى، ومن جملة العوامل الأخرى، درجة الحرارة والرطوبة، والقرب من البحر والبعد عنه والعوامل العائلية.. ولا يمكننا تجاهل عوامل الوراثة والدعوات الروحية، ونحن لا يمكننا أن نقول أن محمداً (ص) لم يؤثر في تاريخ العالم. ومهما حاولنا أن نعطي تفسيراً لمحمد (ص) ولحركته نكون قد بالغنا.. وذلك أن حركته لم تكن حركة اقتصادية محضة وإنما كانت **حركة روحية تؤثر في خلق الاقتصاد**.. وهناك عوامل

أخرى ترجع إلى طموح الإنسان، ولأهدافه وللرغبات السامية لديه أثرت في تكوين المجتمع»[١٢].

القرآن والسنن التاريخية:

إن القرآن الكريم يطرح قضية السنن التاريخية، بطريقة موضوعية، قائمة على معرفة شاملة بجوانب الشخصية الإنسانية، وإحاطة كاملة بالعالم والكون، والروابط والعلاقات، **فهو يدرس:**

١ ـ **السنن المتعلقة بتركيب النفس البشرية**، والمحتوى الداخلي للإنسان.

٢ ـ **السنن المنبثقة عن العلاقات بين الإنسان، والحياة** والبيئة، والطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان.

* **إن هذه السنن** التي يكشفها القرآن العظيم، **ثابتة لا تتغير**، وليست أسيرة التفاصيل والجزئيات.

كما أن المجتمعات البشرية وفق الطرح الإسلامي، تتحمل كامل المسؤولية في حركتها التاريخية، قال تعالى: ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً**[١٣] ﴾.

* ويدفع القرآن بالناس، والجماعات البشرية لتأدية أدوارهم التاريخية ضمن اطارين.

الأول: القفز فوق الصعوبات والأخطاء لتلافي النتائج السلبية.

الثاني: التعامل الواعي، والمنتج مع الموجودات بغية التقدم بالحياة والإنسان، قال سبحانه: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا

---

(١٢) من محاضرة للإمام موسى الصدر ـ جريدة أمل عدد ٥٢ ٧

(١٣) الأحزاب: آية (٦٢).

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها»[١٤].

* ويؤكد القرآن علب أن هذه السنن، حاكمة لتصرفات الشعوب، في كل العصور وأنها لا تخطيء في نتائجها. وقال تعالى: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾[١٥].

* **عدا عن ذلك فإن القرآن يجعل** البحث التاريخي، غير مقتصر على البحث المنظور، والحوادث الجلية، **بل يوجه الانتباه إلى بداية خلق الإنسان والكون والحياة.**

يقول جلّ وعلا: ﴿ أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده؟ إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق، ثم الله ينشيء النشأة، الآخرة إن الله على كل شيء قدير[١٦] ﴾.

* ويمكن القول **إن التفسير الإسلامي للتاريخ، يرجع في** بلورة السنن التاريخية، **إلى معطيات تاريخية بدأت مع خلق الإنسان،** وتحميله المسؤولية في سبيل تأدية دوره الحضاري، مبيناً التركيب البشري المتكامل:

«وإذا قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: **اتجعل** فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال: إني أعلم ما لا تعلمون. وعلّم آدم الأسماء كلها ثم

(١٤) محمد (ص) آية (١٠).
(١٥) غافر آية (٨٢ - ٨٣)
(١٦) العنكبوت: آية (١٩ - ٢٠).

عرضهم على الملائكة فقال: انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين؟ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا أنك أنت العليم الحكيم. قال: يا آدام انبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون؟

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، أبى واستكبر وكان من الكافرين. وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين: فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا: اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قلنا: اهبطوا منها جميعاً، فإما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[١٧]».

* ومن الملاحظ **أن العروض التاريخية القرآنية، تجاوزت الأفراد لتتوجه إلى الأمم**، وتحدثت عن أدوار المؤمنين لتقابلها بأدوار الكافرين، وعن الأنبياء والرسل بمواجهة أئمة الضلال والإنحراف، وعن الشعوب المتحضرة، التي أبطرتها النعمة، وعن الجماعات الفقيرة التي أعماها الفقر، وعن الملوك والزعماء والطواغيت، وعن الحكام العادلين المنصفين.. فبينما أنت مع التجارب السلبية لأفراد غاديين (أصحاب الجنتين ـ أصحاب الحجر ـ قوم لوط) وإذ بك أمام الأدوار الإيمانية البناءة مع (أهل الكهف ـ وأصحاب الأخدود).

ولا تلبث أن تشاهد الظالمين من الفراعنة والطواغيت والكبراء أمثال: فرعون وهامان وقارون وأصحاب الفيل.

وينقلك القرآن إلى عالم الطهر والإيمان وآلإعمار والصلاح فترى

(١٧) البقرة: (٣٠ ـ ٣٩).

مسلسل الثورة الإسلامية، والتثوير الإيماني يعرض بأمام ناظريك في شريط النبوة والرسالة، مع نوح، وإبراهيم، وصالح ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم اجمعين).

* إن الإحاطة التاريخية، المبنية على أساس الرؤية الإسلامية للتاريخ وتطوراته وأحداثه، **تقرب بين الماضي والحاضر والمستقبل**، فتحدثك عن المستقبل، وكأنه حاضر، وعن الحاضر وكأنه ماضي مع كونها لا تسرف في التنبؤات التاريخية، ومن هذه التنبؤات ما حصل ومنها ما لم يحصل بعد:

قال تعالى: ﴿ ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[١٨]».

هذا الحدث التاريخي قد تحقق، ولنضربُ مثالاً على حدث سيحصل في المستقبل بإذن الله، قوله تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم، إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[١٩] ﴾.

* ولا بد من الاشارة إلى **أن القرآن الكريم، ليس كتاب تاريخ، بل كتاب هداية وتشريع يرسم للبشرية منهج السعادة، ويقدم الخطوط العامة للحركة التاريخية. لذا** يقول عز وجل: ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك[٢٠] ﴾.

---

(١٨) الروم: (١ ـ ٧).
(١٩) النمل: (٨٢).
(٢٠) غافر: (٧٨).

دور الفعل الإلهي والفعل البشري في حركة التاريخ:

إن الإنسان الذي منح القدرة على الفعل لصياغة الحدث التاريخي يعمل وينفذ ضمن إطار المشيئة الإلهية التي وهبته حرية الاختيار.

ولهذا فإن الحركة التاريخية ما هي إلا التعبير الكامل عن الإرادة الإلهية في الخلق والتكوين وأحداث التغيرات والتطورات في العالم، وفي المجتمعات والحضارات وفق **خطين من خطوط الفعل الإلهي:**

الخط المباشر: وهو يعتمد على ما أوجد الله من **سنن كونية واجتماعية أو سنن ربانية تتجاوز السنن الطبيعية** والنسبيات (كالمعجزات).

الخط غير المباشر: **وهو القائم على أساس الفعل البشري** المرتكز على حرية الاختيار الممنوحة للإنسان من قبل الإرادة الإلهية.

أما فيما يعود للفعل المباشر فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم يلمح إلى البعد الزمني في الكون الذي تحدث عنه انشتاين في نسبيته. يقول عزّ وجلّ: «قال: كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم[٢١]» «ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون[٢٢]».

«وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون[٢٣]».

ونستنتج أن هناك فرقاً شاسعاً بين الوحدة الزمنية الأرضية والوحدة الزمنية، تبلغ في بعض الحالات (٣٦٥,٠٠٠) ضعفاً وتبلغ في حالات أخرى (١٨,٢٥٠,٠٠٠) ضعفاً وذلك بحساب القرآن الكريم نفسه[٢٤].

---

(٢١) البقرة: (٢٥٩).

(٢٢) السجد: (٥).

(٢٣) الحج: (٤٧).

(٢٤) يراجع كتاب التفسير الإسلامي للتاريخ: د. عماد الدين خليل ص ١١٨ وما بعدها

وهكذا نستطيع أن نعرف السبب في تأخير العذاب الإلهي (حسب مقاييسنا) عن الأمم الظالمة والزعامات المنحرفة، والقيادات الفاسدة.

قال سبحانه: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون[٢٥]».

السنن الطبيعية صانعة التطور التاريخي:

يقول تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ألا قليلاً وكنا نحن الوارثين. وما كان ربك مهلِك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون[٢٦]».

* **النواميس الطبيعية**، نواميس انحلال الأمم وانحرافها، تواجه بسنن العقاب الصارم من أجل تقدم البشرية لصالح الإيمان والإنسان.

تجاوز السنن النسبية في خدمة الحركة التاريخية التقدمية:

يقول عز من قائل: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.. إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان[٢٧]».

---

(٢٥) الحج: (٤٧)

(٢٦) القصص: (٥٨ ـ ٥٩).

(٢٧) الانفال: (٥ ـ ١٤).

ويقول جلّ جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً[٢٨]﴾

من هذه الآيات وما يماثلها نستخلص الملامح التالية:

١ ـ في الحالات التي تكون قوة المؤمنين المادية أضعف من قوة الأعداء **فإن القوة الكونية (الملائكة) تتدخل لتدعيم موقف المؤمنين من أجل نصر رسالة الله وتنفيذ حكمه في الحياة الإجتماعية**[٢٩].

٢ ـ وفي كثير من الأحيان **تستخدم القوى الطبيعية الحسية، لتحسم المعركة لصالح الحركة الصاعدة نحو التكامل**، والمتقدمة باتجاه الأفضل،مع العلم أن فعل هذه القوى يكون نتيجة طبيعية لانحرافات الأمم والجماعات: *

(تمزيق وتشتيت المجتمعات البشرية ـ الأوبئة والأمراض ـ الموت الجماعي ـ الخوف والارهاب والدمار والجوع).

* **أو ان هذا العقاب يكون نتيجة لعدم انسجام الإنسان مع قوانين الكون وسننه**، باعتباره جزءاً من الكون، ومؤتمناً على ثروات ونعم الحياة فتنقلب على المجتمع هذه القوى، وتصبح ضده لانحرافه عن الخط السوي: (السيول ـ الجفاف ـ الصيحة ـ الزلزال ـ الرجفة ـ الصاعقة ـ الطوفان ـ الحشرات) الخ.

---

(٢٨) الأحزاب: (٩)

(٢٩) يمكن أن يقدم أمثلة عديدة على هذا التدخل المباشر كما حصل في معركة بدر والخندق وحنين وأصحاب الفيل وأخيراً تدمير الطائرات الأميركية التي هاجمت جمهورية إيران الإسلامية، وفشل محاولة الغزو الأميركي للدولة الإسلامية الفتية، مع تطور التكنولوجيا الأميركية ودقة الخطر وقوة العدو (راجع الآية التاسعة من سورة الأحزاب).

سنة الموت قيمة إيجابية في حركة التطور التاريخي:

قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون[٣٠]﴾.

﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (الملك: آية ٢)

المجتمعات تتحمل مسؤولية ممارساتها الحضارية:

قال عزّ وجل: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون[٣١]﴾.

النعمة والعقاب نتيجة للإلتزام بالسنن الطبيعية الإلهية، أو عدمه:

قال سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[٣٢]﴾

الترف سبب هلاك الأمم:

قال تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها: أنا بما أرسلتم به كافرون. وقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين[٣٣]﴾

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق

---

(٣٠) العنكبوت (٥٧).

(٣١) البقرة: (١٣٤- ١٤١).

(٣٢) الأنعام: ٤٤ - ٤٥.

(٣٣) سبأ اية رقم ٣٥

عليها القول فدمرناها تدميراً، وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً[٣٤] ﴾.

الإيمان والتقوى سبب سعادة البشرية:

يقول عزّ وجل: ﴿ ولو إن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون[٣٥] ﴾

الأفراد يتحملون مسؤولية أعمالهم:

قال تعالى: ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها... وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً[٣٦] ﴾. ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون[٣٧] ﴾.

التفسير الإسلامي للتاريخ والحضارة:

«إن كلمة «حضارة» و(تحضّر) لم تكن شائعة في استعمالات العربية اللغوية أول مرّة، وطيلة القرون التي أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية، ويكاد ابن خلدون أن يكون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته إلا أن اصطلاحه الأخير الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة هو (العمران البشري) الذي يقابل (الحضارة البشرية) ومهما يكن من أمر فإن المصطلح الحضاري، بتصريفاته المختلفة، قد فرض نفسه في القرن الأخير، بعد الاحتكاك الثقافي

(٣٤) الإسراء ١٦ ـ ١٧.
(٣٥) الأعراف ٩٦.
(٣٦) الإسراء ١٥.
(٣٧) الزمر ٧٠.

الشامل بين الشرق والغرب، وتقدم الأخير في حقول التفسير التاريخي والدراسات الحضارية.. وبدلاً من هذا فإننا سنلتقي من خلال القرآن الكريم بصيغ ومفردات عديدة أخرى تعتمد للتعبير عن المسألة الحضارية[٣٨]».

إن التفسير الإسلامي للتاريخ البشري، يبدأ بالإنسان الأول (آدم)، وعودة إلى الآيات التي ذكرت سابقاً من سورة البقرة (٣٠ ـ ٣١) نلحظ الأمور التالية:

١ ـ **الإنسان خليفة الله في الأرض**، وهو مكرّم من قبل الله تعالى، **وهذا مركزه في الكون**.

٢ ـ **الاهباط إلى الأرض كان** بعد تجربة الاعداد التي مرّ بها الإنسان في معسكر التدريب الأول (الجنة) حيث لا تكليف ولا مسؤولية، بل **تهيئة لممارسة الدور الإنساني على أكمل وجه في عالم الحياة الاجتماعية**، وما صراع الإنسان مع رمز الشر (ابليس) إلا جزء من سنن الحياة البشرية والاجتماعية **القائمة على أساس التنافر بين الحق والباطل**.

٣ ـ **إن تدرّب الإنسان (الأول) على الأوامر والنواهي الإلهية، كان خطوة أولى تمهِّد لتلقي الإنسان للهدى الإلهي**، فمن تبع هذا الهدى نال السعادة في الدنيا والآخرة، وإلا فهو في الشقاء أولاً وآخراً.

هدف استخلاف الإنسان في الأرض بناء الحضارة البشرية:

قال سبحانه: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

---

(٣٨) التفسير الإسلامي للتاريخ ص ١٧٤.

إن **الاستخلاف هو العلاقة الإجتماعية** من زاوية نظر القرآن الكريم، وعند تحليل الإستخلاف نجد أنه ذو أربعة أطراف لأنه يفترض مستخلفاً (بكسر اللام) أيضاً. لا بد من مستخلف ومستخلف عليه، ومستخلف. فهناك إضافة إلى الإنسان وأخيه الإنسان والطبيعة يوجد طرف رابع في طبيعة وتكوين علاقة الإستخلاف وهو المستخلف، إذ لا استخلاف بدون مستخلف، **فالمستخلف هو الله سبحانه وتعالى والمستخلف هو الإنسان وأخوه الإنسان أي الإنسانية** ككل،(الجماعية البشرية)، **والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها ومن عليها، فالعلاقة الاجتماعية هنا**، ضمن صيغة الإستخلاف تكون ذات أطراف أربعة،وهذه الصيغة تنطق بوجهة نظر معينة نحو الحياة والكون، بوجهة نظر **قائلة بأنه لا سيد ولا إله للكون وللحياة إلا الله سبحانه وتعالى**، وإن دور الإنسان في ممارسة حياته إنما هو دور الإستخلاف والإستئمام وأي علاقة تنشأ بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المركز الإجتماعي لهذا أو لذاك فهي **علاقة استخلاف وتفاعل بقدرة ما يكون هذا الإنسان مؤدياً لواجبه بهذه الخلافة وليس علاقة سيادة أو ألوهية أو مالكية**، هذه الصيغة الإجتماعية الرباعية الأطراف التي صاغها القرآن الكريم تحت اسم الاستخلاف ترتبط بوجهة النظر المعينة للحياة والكون[٣٩]».

إن قضية الإستخلاف وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها قوله سبحانه: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض، فمن كفر فعليه كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾[٤٠].

وكما قلنا فإن الغاية من الاستخلاف الإلهي للإنسان هو **أعمار**

(٣٩) مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن ص ١٠٦ وما قبلها.
(٤٠) فاطر: (٣٩).

الأرض وعدم الافساد فيها يقول عز وجل: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هو الذي انشأكم في الأرض واستعمركم فيها﴾[٤١].

وقد أكد القرآن الكريم هذه المقولة إلى درجة أنها وردت بتصريفاتها المختلفة في أكثر من (٣٥٠) موضعاً.

كما **إن الأعمار هو قضية ترتبط بمختلف جوانب النشاط الإنساني**، والامكانيات البشرية، **والاخلال به يعني إيقاع الضرر والفساد بالمجتمع** من جهة معينة، وهذا يؤدي بالتالي إلى الأضرار بالجهات الأخرى.

قال عز من قائل: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها[٤٢]﴾.

«قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم، فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين[٤٣]﴾.

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون[٤٤]﴾.

الحفاظ على المكاسب الحضارية من مهمات المجتمع المؤمن:

قال سبحانه: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم، أولو بقية

---

(٤١) هود: ٦٧.
(٤٢) الأعراف: (٥٦).
(٤٣) الأعراف: (٨٥)
(٤٤) الروم: (٤١)

ينهون عن الفساد في الأرض، إلا قليلاً ممن أنجينا منهم، واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون[٤٥] ﴾

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب[٤٦] ﴾.

إنّ خلافة الإنسان في الأرض تستدعي تسخير الطبيعة له ليؤدي وظيفته في الأعمار والاصلاح: قال تعالى: ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار[٤٧] ﴾.

حركة أمل امتداد لحركة الإنسان منذ أن كان:

الواقع إن **حركة أمل ليست ظاهرة آنية مؤقتة**، أفرزتها ظروف اجتماعية وسياسية معقّدة، كما يظن بعض الناس، بل **ان الحركة قد لازمت الإنسانية منذ تكوينها**، فحققت لها الإنسجام مع تطلعاتها وأهدافها، **وتلاءمت مع طبيعة الإنسان وذاته** وكوّنت له الدافع الأقوى لتقدمه ونشاطه، مستجيبة لانطلاقته التكاملية في **جانبيها الأساسيين:**

الجانب الأول: وهو الجانب الثابت الجامع لقوانين الحياة وأصول حفظها مع مراعاة الضرورات النفسية والروحية، والضرورات المعيشية.

الجانب الثاني: **وهو الجانب المتطور، الحاوي لكل المتغيرات في**

---

(٤٥) هود (١١٦) - (١١٧)
(٤٦) الانفال: (٢٥)
(٤٧) إبراهيم: (٣٢ - ٣٣).

الحياة، والذي يتعلق **بنوعية الوسائل** المستخدمة لتحقيق الضرورات الحياتية من جهة علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان وعلاقته مع الكون والطبيعة.

ويؤدي ذلك إلى توزيع الأدوار والمهمات على أفراد المجتمع وإستحداث أسس تنظيمية تتوافق مع تطور المجتمعات.

إن حركتنا تنطلق من إحساس الإنسان بجوعه الفطري للتكامل وبحرمانه منه، لذلك فهي تشكل المموِّن للإنسان ـ أي إنسان ـ بالطاقة الثورية الفاعلة، المحققة لطموحاته الحياتية والإنسانية ليتصدى لمعوقات تقدمه، بإفساح المجال أمام الكفاءات والمواهب وبالتخطيط للمستقبل الأفضل، مستندة إلى الدافع الذاتي الذي تبلوره المفاهيم الإيمانية، والذي يتغذى بالشحن الداخلي، المنبثق من حكم العقل وهدى الشرع، وانطلاقة الروح، ومشاعر القلوب وتوضحياً للفكرة لا غنى لنا من أن نحدد أهم الأهداف إلتي يسعى إليها الإنسان من خلال تحقيقه لذاته في الحياة. . **إن كل إنسان يفتش عن السعادة، وغاية الأنظمة الإجتماعية تأمين سعادته**، إلا أن اتحاد الغاية عند هذه الأنظمة لا يعني التوافق في الأساليب والقيم والأهداف القريبة، بل أن تحصيل سعادة الإنسان يتوقف بشكل أساسي على هذا الأمر. **ولعل العائق الأول أمام الإنسان في مسيرته التاريخية هو الإستضعاف الذي مورس على البشرية من قبل الأقوياء والمستكبرين**، لذلك فقد انقسمت المجتمعات إلى فئتين: فئة المستكبرين وفئة المستضعفين. أما المستكبرون فإنهم يستخدمون قوتهم الفكرية والمادية ونفوذهم الإجتماعي من أجل استضعاف الجماهير واستغلالها. ومن هنا فإن النظرة الإسلامية تختلف عن النظرية الماركسية في التقسيم الطبقي للمجتمع. أما المستضعفون فهم الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب، الذين يلاقون جميع أصناف العذاب من

قبل المستكبرين من الحكام وأذناب السلطات الكافرة. وهذا ما أدى إلى حرمانهم من حقوقهم الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية وجعلهم مستغلين (بفتح الغين) محرومين.

معنى الحرمان ودوره في الحياة الإجتماعية:

ليس المقصود بالحرمان، الذي تحاربه الحركة، الحرمان المادي فقط، بل الحرمان يتعدى إلى مختلف الجوانب الفكرية والتشريعية والتنظيمية والحياتية والاجتماعية والإقتصادية.. فالذي يمنع من ممارسة حقه في اعتناق المبدأ الصحيح، نتيجة فرض أيديولوجية وضعية من قبل الأنظمة العلمانية هو محروم ومستضعف.

والذي يمنع من المشاركة في الحكم وتوجيه سير الأمور في المجتمع نتيجة تسلط فئة أو طبقة أو اقطاع أو جهاز معين هو محروم.

والذي يرحم من الوصول إلى حقه في الحياة الكريمة عن طريق استئثار فئة بأموال الشعب هو محروم.

والذي يحاط بالعيون والجواسيس الذين يحبسون عليه أنفاسه هو محروم. والذي توضع في وجهه العراقيل لمنعه من العمل الشريف وتعليم أطفاله هو محروم.. لذلك فإنه من الخطأ الفادح حصر معنى الحرمان في الشؤون المادية. من هنا، فإننا نعتبر أن جميع الحركات ذات الصبغة الشعبية هي حركات محرومين تعمل بشكل من الأشكال، من أجل المستضعفين، ولكن الأمر الذي يجب التركيز عليه هو الأسلوب والطريقة والقيم والأهداف، لأن اشتراك هذه الحركات في الهدف العام لا يعني - بحال - أنها ستتمكن جميعها من تحقيق هذا الهدف، وذلك نظراً لمصدر الخط الفكري والسياسي والنضالي المتبنى.

وإذا كان لا بد من التخصيص، فلنقل إن **حركات المستضعفين تمثلت بشكل فعلي، في حركات الأنبياء (ع) خلال التاريخ**... وهذا ما سنفصله فيما سيأتي من كلام...

الحرمان هو الدافع للتغيير:

بعد أن بيّنا معنى الحرمان وإتساع مساحته، صار من الضروري التحدث عن الحرمان كدافع للتغيير نحو الحياة الكريمة، والمستقبل الأفضل، **فمن حرم من شيء يسعى للحصول عليه**، فالمحروم من الأيديولوجية الصحيحة، يشعر بعطشه للحق والكمال فيعمد - إن توفر عنده عنصر الوعي - لمحاكمة الأفكار التي تلقاها من غيره، ويناقش ما يقرأ ويسمع، وما يرى، محاولاً البحث عن القاعدة الفكرية والمبادىء التشريعية التي ترضي عقله بحيث تتحول إلى قناعات. والمحروم حرماناً مادياً يعمل لرفع هذا الحرمان وتحسين أوضاعه المعيشية ويتبع الناس في ذلك أحد أسلوبين:

١ - تحسين الأوضاع المادية **بالطرق المشروعة والشريفة**.
٢ - **استخدام الأساليب غير المشروعة** في تكديس الثروات والسرقة والرشوة والربا...

والذي يعيش في مجتمع يهيمن عليه تسلط فئة أو حزب حاكم يشعر بضرورة الثورة على هذا النظام ليقوم بدوره الاجتماعي والسياسي. لذا يتكتل مع غيره من أبناء الشعب للوصول إلى هذه الحقوق، أما بالطرق السليمة، والتأثير على الجمهور بالخطابة أو الكتابة أو العمل السياسي.. أو يجمع إلى كل ذلك، الوسائل العنفية لبلوغ هذا الهدف، لهذا نستطيع القول: إن الحرمان بمعناه الواسع يشكل الدافع الأقوى للتصدي لجميع أنواع القهر والتسلط والاستئثار والتضليل والاستضعاف.

قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وان الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرّن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز[1]﴾.

ولنا أن نطرح هذه التساؤلات:

كيف تكون الحركة تعبيراً عن طموح الإنسان نحو حياة أفضل؟

وكيف يكون هذا الطموح هو الدافع لتصدي الإنسان لكامل ما يفسد عليه حياته أو يجمد مواهبه، أو يهدد مستقبله؟.

إن هذه الحركة ذات الإمتداد التاريخي الذي يعود إلى فجر الحياة البشرية، والتي اتخذت أشكالاً متعدّدة، خلال عملية التطور الإنساني، وخاضت صراعات متنوعة، مع قوى الباطل، الذي تمثل بالأنظمة الظالمة، قد عبرت عن ضمير الشعوب المقهورة في انتفاضات الثائرين وثورات الأنبياء الهداة، ونشاطات الدعاة الميامين، وأولياء الله المكرمين.

والدارس لسير الحركة التاريخية للشعوب المستضعفة، والفئات المسحوقة من العبيد والفقراء والمؤمنين والرساليين، يرى بوضوح، أن حركة المستضعفين والمحرومين كانت سفينة نجاتهم من بحر الجهل والمرض والشقاء، الذي فرض عليهم إلى شاطىء الأمان حيث العلم والنور والسعادة.

وبعبارة أخرى يمكن القول **إن هذه الحركة التاريخية هي ترجمة عملية للطموح الإنساني العام**، فهي بصورة مباشرة تنير طريق

(١) الحج: (٣٩ - ٤٠).

المستضعفين، وبطريقة غير مباشرة، تساعد وتخدم كل الناس، حتى المستكبرين منهم إذ تنقذهم من استكبارهم، وتلغي سيطرتهم وامتيازهم عن غيرهم، بدون حق، وتعيد هؤلاء الذين مسخت إنسانيتهم إلى حقيقتهم، وتعرّفهم على مركزهم الواقعي في الحياة... وتدلهم على الغاية من وجودهم.

إن الإنسان المستكبر يشعر في أعماقه بقلق عظيم، يقضّ مضجعه، لأنه غير مقتنع بسيرته، وان لم يظهر هذا الأمر، ولا يخرج عن هذا الإطار إلا من خرج على إنسانيته، لذلك، فإن الإنسان، يجد، أخيراً، أن أهداف حركة المستضعفين، هي من أجله. من هذا المنطلق كانت عملية التصدي للحرمان والإستضعاف نتاجاً لمفاهيم العدالة والمساواة التي تشيعها في النفوس هذه الحركة التاريخية للإنسان.

والتصدي على نوعين:

الأول: **التصدي الإيجابي**: ويتمثل في الثورة التي يقودها الجمهور لتحقيق أهداف رسالة المستضعفين في الأرض.

الثاني: **التصدي السلبي**: ويكون بعدم الركون إلى الظالمين وإعانتهم على ظلمهم واستكبارهم.

إن هذا التصدي يهدف إلى إزالة العوائق أمام التطور البشري، ويخلق المناخ المناسب للتقدم، إذ يمنع تجميد المواهب بالوقوف بوجه العاملين على تجميدها من:

الأنظمة الفاسدة، والحكام الفاسدين، والعادات السيئة، والثقافات المريضة، والقوى الكافرة، الخارجية (الإستعمار) والداخلية (عملاء الإستعمار الفكريين والسياسيين).

كما أنه بواسطة التصدي الواعي، نمنع إمكانية تهديد القوى

الشريرة لمستقبل الوطن والمواطن، ولمستقبل الفرد والأسرة والمبادىء والمجتمع. **إن حركتنا هي حلقة من حركة الإنسان العامة في التاريخ، لأن كل عمل منظم** هو جزء من حركة الإنسان العامة في التاريخ، وهذا يلاحظ من منظورين ويخضع لعقيدتين:

١ ـ العقيدة المادية.

٢ ـ العقيدة الإيمانية.

إن العقيدة المادية هي التي تنظر إلى الإنسان، على أنه مادة فقط، وان حركته التاريخية محكومة بحاجاته المادية، وبصراعه من أجل توفيرها، وقد تطورت هذه النظرة العقيدية عبر العصور إلى أن وصلت إلى ذروتها في العصر الحديث، في صيغ الإلحاد الكاملة في الماركسية أو في الوجودية وما إليهما. والفكر الإسلامي يعبر عن هذه العقيدة باسم «الشيطانية»، فإذا ما تذكرنا قصة آدم وإبليس نرى ذلك جلياً:

«قال: ما منعك ألا تسجد إذا أمرتك قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين[1]».

هذا هو الإتجاه الشيطاني في فهم الإنسان، إذ لم ير في الإنسان إلا المادة والعنصر، وقد تجاهل «زعيم العنصريين»، إبليس، الخصوصية المعنوية في خلق الإنسان. قال تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[2]. هذا المقياس في نظر البعض يحكم حركة الإنسان في التاريخ.

الدليل العقلي والفلسفي على خطأ النظرية المادية:

من وجهة النظر العقلية والمحاكمة الفلسفية المنطقية المحضة،

(١) الأعراف: (١٢).
(٢) الحجر: (٢٩)

نجد الخطأ واضحاً في هذه النظرة المادية التي تجعل التاريخ محكوماً بالمادة وردود الفعل المادية فقط[٣].

ولعل أكبر دليل في عصرنا الحاضر، على فشل المادية، هو أنه قد أتيح لها ما لم يتح لها في أي عصر من العصور، من القدرة والتسلط ووسائل التنفيذ والاقناع، ومع ذلك **نجد أنها في كل ساحات العالم تعاني الفشل المتكرر والمتراكم، سواء** بالنسبة للمادية بثوبها الرسمي الإلحادي، كما تتمثل **في الإتحاد السوفياتي** وأوروبا الشرقية، أو المادية في ثوبها المموّه، كما تتمثل في علمانية الغرب في الولايات المتحدة الأمريكية، والعالم الغربي عموماً.. أن المادية لم تستطع أن تقدم شيئاً حقيقياً للإنسان.

حركة النبوات والتاريخ:

لنعد ـ بعد كل هذا ـ إلى حقيقتنا الإنسانية، إلى خط الفطرة، محاولين أن ننظر إلى الإنسان في تطوره التاريخي، من منظور إسلامي، وإننا واجدون، أن هذه الحركة بدأت، كما ورد في نص الميثاق، بالأنبياء، **إذ أن حركة النبوات عنوان لحركة الإنسان في التاريخ، الإنسان الذي يريد أن يخرج من الظلمات إلى النور** ـ حسب المصطلح القرآني ـ قال تعالى: ﴿ آلر. كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد[٤] ﴾.

ومعلوم أن **الظلمات ليست ذات مدلول روحي فقط، بل هي ذات مدلول حياتي اجتماعي**، أي أنها تعني الظلمات المادية والمعنوية.

هذه الظلمات التي كان يعاني منها الإنسان ولا يزال، كان الأنبياء والمرسلون والتابعون لهم باحسان، يعمدون إلى إخراجهم منها

---

(٣) ناقشنا هذا الموضوع باسهاب فيما سبق.

(٤) إبراهيم: (١)

جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر في عملية تطور دائم نحو الأمام، ونحو الأكمل، لأجل تحقيق التوازن ـ في النمو ـ بين المادة والمعنى. وكمثال، نستمع إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. أرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد[٥]﴾.

هذه الآيات تصور قوم عاد وثمود بأنهم متقدمون من الجهة المادية، بدرجة عالية (تشييد مدينة ارم) وأنهم قطعوا الصخور بالواد، وهذا يدل على استخدامهم تقنيات متقدمة. الملاحظ، أن نبيهم لم يطالبهم أبداً بترك حياتهم هذه، إنما طالبهم بتكميلها، وذلك بإضافة البعد الأخلاقي والإيماني لها، فتتكامل حياتهم من جميع جوانبها، وفي بعض الشواهد القرآنية للنبوات، نجد فيها أن أنبياء بعثوا في مجتمعات رعوية أو بدوية، كما هو الحال بالنسبة لنبي الله شعيب (ع)، الذي كانت مهمته النهوض بهذا المجتمع مادياً ومعنوياً.. وهكذا الحال فيما يخص نبينا محمد (ص) **الذي كان ديدنه أن يترقى بالمجتمع من جميع الجهات الإيمانية، والإنسانية، والأخلاقية، والصناعية والزراعية والتشريعية والتخطيطية والتنفيذية..**

أما بالنسبة للسيد المسيح (ع) فقد بعث في مجتمع كان في أزهى عهود حضارته (الحضارة الرومانية) لذلك لم يأت ليدمر الحياة المادية إنما جاء ليكمل هذه الحضارة بالجانب المعنوي.

إذن، فإن حركة النبوات في التاريخ هي محطات لدفع مسيرة البشرية لتتقدم في الإتجاه المتوازن (وان كان الأمر على مستوى النظرية في حالات كثيرة بسبب اتباع الناس لاهوائهم ومخالفتهم لدير الفطرة).

---

(٥) الفجر: (٦ ـ ٩).

فلو وضعنا سجلاً بيانياً لحركة النبوات، لوجدنا أن كل نبوة من النبوات تسجل تقدماً عن النبوة السابقة لها من عدة جهات:

- **من جهة الرؤيا الإنسانية لمشكلات المجتمع.**
- **ولطريقة حل هذه المشكلات.**
- **ولتقدم الحياة الإنسانية في الجانب الروحي والمادي.**

إن الخط بالنسبة للرسالات السماوية، خط تصاعدي باستمرار، فعلى صعيد النظرية، فإن النبوات تعكس حركة الإنسان التاريخية المكافحة والمجاهدة ـ بالمفهوم الإسلامي الثابت ـ وهو التقدم المتكامل، وليس التقدم المادي فقط أو التقدم الروحي، والنظري فقط، إنما التقدم المتوازن الجامع للأمرين معاً. وعلى صعيد التطبيق ـ في عهد كل نبي ـ كان يتم كفاح وجهاد مستمر طيلة حياة ذلك النبي في سبيل تثبيت هذه النظرية وتحويلها إلى واقع حي.

الأولياء والصلحاء (التابعون باحسان)

والقرآن الكريم سجل واضح لجهاد الأنبياء، مع أممهم على مدى التاريخ، فكل نبي، كان يخرج في نهاية حياته، ودعوته، بحصيلة من المصطفين الأخيار الذين يأخذون عنه هذه الرسالة ويستمرون بعده في الجهاد من أجلها.

إن حركة النبوات لا تنقطع بموت النبي، إنما تستمر من خلال خلفاء الأنبياء والتابعين لهم باحسان.

«والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم[1]».

إن حركة النبوات، هي حركة يومية ومستمرة، وإذا لاحظنا

---

(١) الطور (٢١).

أن الناس، أو المجتمعات لا تحس بها، لأنها في غالب فترات التاريخ، كانت حركة هادئة تنمو نمو الحياة في النبات وجميع الأحياء.

إن ورثة الأنبياء، هم الأئمة والأولياء والخلفاء الصالحين، واتباع كل نبي باحسان، انهم الأمناء وليس التابعين على وجه الاطلاق.

إذن، كل نبوة تمثل تقدماً نوعياً عن النبوة السابقة، باستثناء بعض النبوات التي كانت تمثل تأكيداً لسابقتها، **ولكن أكثر النبوات الأساسية تجمع بين التأكيد والتصديق من جهة والتقدم النوعي من جهة أخرى.**

واستمرار هذه النبوات يكون عن طريق الخلفاء (الأئمة (ع)) ومن خلال التابعين بإحسان لهذا النبي أو ذاك أو لهؤلاء الأئمة الهداة.

من هذا المنظور ينظر الإنسان الحركي المؤمن إلى نفسه، بشرف ومسؤولية يرتعش أمامها القلب، فنحن في أي عمل وأي نشاط نقوم به نمثل حلقة من حلقات جهاد الإنسان في حركة النبوات التاريخية... كما أننا نرشح أنفسنا، وكلنا أمل، بأن يرضانا الله، لأن نكون من التابعين باحسان، ومن الطليعة المؤمنة المخلصة، التي تقود حركة التاريخ في هذه المرحلة من عمر الأمة المجاهدة، والمعتدي عليها من قبل المستعمرين وأذنابهم في الداخل.

وعلى هذا الأساس فإن قادة، ومنظري ومفكري حركة أمل هم الأنبياء وأوصياء الأنبيا (ع)، كما أن مجاهدي هذه الحركة هم التابعين لهم بإحسان، فهل نحن من التابعين باحسان؟. ولكي نرتفع إلى هذا المستوى، لا بد لكل واحد منا أن يكون أهلاً لاستحقاق هذا الموقع الجهادي الهام.. ولنعد إلى كتاب الله لنرى أنه كثيراً ما تتردد في ثنايا آياته الكريمة كلمة (اصطفى)، يقول سبحانه: ﴿إن الله

اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين[1] ﴾ والاصطفاء يعني الإختيار، ولكي يكون الإنسان مختاراً من قبل الله وتابعاً باحسان يجب أن يتوفر شرطان:

١ ـ أن يجعل من نفسه أهلاً للاختيار.
٢ ـ أن يختاره الله سبحانه وتعالى.

ومما لا شك فيه أن الإنسان إذا جاهد نفسه، الجهاد الأكبر، ليجعل منها أهلاً للإختيار ومستحقاً للاصطفاء والاختيار، فإن الله سبحانه يختاره حتمًا...

الشهادة والشهداء:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم[2] ﴾.

﴿ وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين[3] ﴾. في المصطلح اللغوي اتخذ هيئة تعني الفعل، فتارة يرحم الله الشهداء، ويعزهم ويكرمهم، وتارة أخرى يتخذ الشهداء أي أنه هناك عملية انتقاء واصطفاء، فالله تعالى لا يصطفي ولا يتخذ الشهداء كيفما اتفق، وإنما يتخذ الذين يستحقون أن يتخذوا. أما الذين ليسوا مؤهلين للاتخاد والاصطفاء فإنه لا يتخذهم..

وعلى هذا، فإننا عندما ننخرط في هذا العمل، ننخرط فيه بما هو عمل إيماني وليس بما هو نسخة مكررة من نسخ التنظيمات السياسية العلمانية الموجودة هنا وهناك وإلا لفقدنا خصوصيتنا،

---

(١) آل عمران: ٣٢.
(٢) الحديد: (١٩ آل عمران.
(٣) آل عمران: (١٤٠).

ولفقدنا مبرر وجودنا كتنظيم متميز في أيديولوجيته واستراتيجيته وتكتيكاته.

إن عملنا هذا، إنما هو جزء من حركة الإنسان العامة والمتصاعدة في التاريخ، لكن من منظور نبوي إسلامي قرآني، يلتقي مع منطلقات جميع الرسالات السماوية، وأهدافها الإنسانية السامية، ويصدّقها، ويضيف إلى كل ذلك ما تحتاج إليه البشرية في مسيرتها الكبرى نحو العدالة والحرية والمساواة..

ولكي نحسب من السائرين على الخط النبوي الرسالي، لا بد أن نتحمل مسؤولية استثنائية وهي أن نكون من التابعين باحسان.

الدين الحقيقي والتحريفية الدينية:

في الثقافة التقليدية الشائعة الفاسدة، هي أن العمل الديني يعني الإنزواء والتقوقع على الذات، والجبن والسلبية، وهذا ليس إلا التحريفية الدينية.

أما العمل الإسلامي الجهادي فهو العيش اليومي لمشكلات الناس الصغيرة والكبيرة والالتزام المطلق بهمومهم:

جاء في الحديث الشريف **قول الرسول الأعظم (ص):**

«من أصبح وأمسى ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم» وقوله (ص): «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه». وقوله أيضاً: «الخلق كلهم عيال الله، واحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله».

إن أمور الناس عموماً وأمور المسلمين خصوصاً والمستضعفين على وجه أخص، تبدأ بالرغيف، والقوت اليومي لتنتهي إلى القمر الصناعي وغزو الفضاء.. أن عملنا اليومي، واهتمامنا بشؤون وأمور المحرومين والمستضعفين والمسلمين في كل مكان، في كل اقليم وقطاع

ومنطقة وخلية ومكتب هو عمل جهادي إسلامي نبتغي من ورائه رضا الله تعالى، كما ان عملنا الثقافي والعقائدي والإجتماعي والمالي والكشفي والعمالي والإعلامي والرياضي والتعبوي، مع كل عنصر ورائد ومع كل شبل وشيخ، ومع كل مؤيد ونصير، ومؤمن غير ملتزم وعضو حركي ملتزم هو إيمان وجهاد.

إن مساعدة الضعيف، وإدراك اللهيف، وإيواء الغريب، والأخذ بيد الأعمى، وإنارة الطريق أمام الضال، وزيارة الأرحام، وصلتهم، وحب الناس ومعاونتهم، والمطالبة بحقوق المظلومين ونصرتهم، ودعم العامل الكادح، والمزارع، والفلاح، والطالب الجاهد لتحصيل العلم، ونفع المجتمع، والتاجر الذي لا يستغل ولا يحتكر هو همنا ونضالنا وجهادنا في سبيل الله وسبيل الناس.

أما الشرط الأساسي لكي يحظى عملنا بهذه الخصوصية، هو أن يكون جزءاً من حركات النبوات في التاريخ، وإلا كان عملنا مزوراً منحرفاً عن هدفه وحقيقته وجوهره.

وغاية رضا الله أن يختار الله منا شهداء يغنون هذه الحركة ويدفعونها إلى الأمام بقوة باعتبار أن هذه الحركة ليست قوة مصطنعة، أو مفتعلة، بل هي جزء من حركة الإنسانية، لذلك فإنها امتداد طبيعي لحركات نبوية اجتماعية، إنسانية ذات قيادات تاريخية مبدئية.

إن حركتنا (أمل) هي الوجه الثاني للحلقة الأخيرة من رسالات السماء التي قادها الأنبياء والأولياء، لرفع ظلم الحكام والأحكام الوضعية عن كاهل الإنسانية المنكوبة بشرائع الأرض وأنظمة البشر، وعلى هذا فإن حركة النبي نوح (ع) وحركة إبراهيم (ع) وحركة موسى (ع) وحركة المسيح (ع) وحركة محمد (ص) كانت في جوهرها حركات مستضعفين ومحرومين، ونال قوادها بسبب جهادهم، عذاب

وتعب وأذايا وابتلاءات، وقد عبَّر عن ذلك الرسول الأعظم (ص) عندما قال: «ما أوذي نبي مثلي»، فعلى اكتاف أنصار الله، من المجاهدين، رفعت راية المعذبين والمظلومين لتنشر الهدى والنور في بقاع الأرض، بعد أن صبغت بدماء الشهداء الأبرار، الذين اتخذهم الله شهداء، والذين سقوا عروق هذه الحركة المقدسة بدمائهم، فأثمرت شجرتها عدلاً وسلاماً ورحمة.

إن الشهداء ليسوا مجرد ضحايا وقتلى، إذ أن مصطلح الشهيد ـ كما نعلم ـ مصطلح إسلامي بالمعنى الشامل، وبالمعنى الإسلامي القرآني، فإن الشهيد **هو الإنسان المؤمن الملتزم بقضية الإيمان، والذي يمارس فعل إيمانه، جهاداً حياً مستمراً في الحياة والمجتمع حتى يبلغ هذا الإلتزام غايته الكبرى بالموت قتلاً في سبيل الله.**

هؤلاء الشهداء هم الذين يعطون لحركة الإنسان العامة محتواها ومضمونها الإلتزامي، إنهم من التابعين باحسان والذين ينتظرون:

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً[1]».

فالمنتظرون لا يزالون ملتزمين، إذ أن المنتظر هو أيضاً صادق في التزامه بالخط الذي من أجله استشهد الشهداء.

إن أعضاء حركة أمل في أية منطقة من المناطق تمثل جزءاً من حركة أمل الموجودة في الساحة اللبنانية، وهي بالتالي تمثل قطاعاً من الحركة الإسلامية المجاهدة في العالم الإسلامي، والتي تعتبر مرحلة من حركة الإسلام والإيمان التاريخية في العالم كله.. رجوعاً قرناً بعد قرن حتى تتصل بحركة الرسول محمد (ص) مروراً بالحسين (ع) سيد الشهداء وعلي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين والأئمة الأطهار (ع).

---

(١) الأحزاب: ٢٣).

ومع محمد رسول الله (ص)، وخاتم النبيين، ننتقل في عمق التاريخ إلى أن نتصل بجميع الأنبياء.

إذن، نحن حلقة شريفة في هذه الحركة العامة، وكل من يتشرف بهذا الإنتماء، ولكنه بالتأكيد يتحمل أمانة ومسؤولية عظمى تجاه انتمائه هذا.

جاء في الحديث الشريف: أن أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

إنها المسؤولية الكبرى التي تقابلها المرتبة العليا، عند الله سبحانه، لأن قضية **الإلتزام الإسلامي الإيماني ليس مجرد هواية أو تقليعة، بل هي محاسبة يومية للنفس على الصغيرة والكبيرة لتصحيح أخطاءها بهدف البقاء على خط الرسالة الإلهية،** وإلا فإن التهاون بشأن هذا الأمر يوقع في النفاق، وسيكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ـ كما أشار القرآن الكريم.

إن الاخلاص لله والإستقامة مع النفس وجهادها، والعمل للناس وخدمتهم هو معيار تحمل هذا الأمر الصعب المستصعب.

إنه ليس الصلاة فقط، وليس الصوم فقط وليس الحج فقط، إنه مضمون الصلاة والصوم والحج والشعائر، إنه انعكاسات هذه الأعمال أي الإلتزام بقضايا الشعب وآلامه على خط الإيمان[1].

«إن هذا الترابط العميق عبر التاريخ، والمواكبة الشاملة في أنحاء العالم وهذه التجربة المعاشة للإنسان»، كل هذا يشكل السند المتين لحركة المستضعفين والمحرومين، في لبنان، وفي كل مكان وزمان لأنها تنير لهذا التجمع المنظم، الطريق المظلم، الذي يغلف بضبابيته بعض

(١) من محاضر لسماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مع تصرف بالعبارة وإضافات شتى.

تحركاتهم، وخططهم النافعة، فيمدهم بأسباب الصمود والصبر والاستمرار، فالتاريخ يزودهم بالتجربة الرائدة، والمواكبة العالمية لمسيرة المستضعفين تؤكد على الشمولية، والتجربة المعاشة لكل إنسان تكشف عن الديمومة والإستمرارية في الدافع.

وفي كل هذا، ضمانة أكيدة للنجاح في تحقيق الأهداف الإنسانية للرسالة الإلهية إذ أنه لا شك ولا ريب أن نصر الله لنا يتوقف على نصرنا وانتصارنا له ولشريعته وكتابه وسنة نبيه وخط رسله.

قال عزّ وعلا: ﴿أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

الفطرة الإنسانية والحركة التاريخية[٢]:

«ورد في مقدّمة الميثاق أن جذور حركتنا (أمل) ممتدة عبر التاريخ إلى يوم ولادة الإنسان، وهي منتشرة جغرافياً إلى حيث وجود الإنسان وبكلمة انها قرينة الإنسان وتوأمه. إن هذا الامتداد هو طبيعة الخلق، وليس بفعل الدعوة منا أو من غيرنا.

فالضمير أو ما يسمى في القرآن الكريم ـ الفطرة ـ خلق مع الإنسان وهو ما نسميه بالنبي الباطن، وبالمرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإلهية.

إن الضمير في الإنسان جذوة أوقدها الله تعالى من نوره، يدعو الإنسان إلى الحق والخير والعدل والجمال وإلى جميع القيم، يدعوه إلى الإيمان بالله الواحد.

وهذا هو السبب في وجود الإيمان بالله عاماً لدى جميع الأمم

---

(٢) جريدة أمل ـ العدد (١٥) ـ الدرس الثقافي لسماحة الإمام الصدر.

والمجتمعات وفي مختلف مراحل الحضارة لدى الإنسان. وهو السبب في نصرة الأنبياء، رغم قلة عددهم واصطدامهم مع مصالح المنتفعين حيث أن لكل نبي نصيراً في قلب كل فرد من أمته.

إن البحث عن فطرية الإيمان مطروح في تاريخ الأديان وأمر واضح جداً. والرأي القائل إن الإنسان فطر على الخير والعدل رأي سديد والقرآن يؤيده.

«فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها» وهذا الرأي يفسر الكثير من الظواهر التاريخية والعلاقات الحضارية البشرية.

إن الضمير في الإنسان هو السبب في خلق الرأي العام، وفي صوابية حكمه عندما يكون مستقراً يتجاوز مرحلة قصيرة أو فئة قليلة من الناس.

إن الإنسان لا يمكنه أن يقف أمام الأحداث القريبة والبعيدة لا مبال بل يختار ما يراه حقاً وعدلاً عدى الحالات التي له مصلحة مباشرة فيها.

ومن هنا يتكون الرأي العام العالمي، من أحداث كبرى (كالثورة الجزائرية) ومثل حركات التحرير وخاصة في فيتنام (وإيران الثورة الإسلامية) وغيرها...

* ومن صميم الضمير الإنساني والفطرة البشرية جنوحه نحو الكمال واندفاعه نحو أهدافه الكمالية، وتحركه باتجاه تحقيقها واصطدامه مع كل ما يعوق وصوله إليها.

وهنا يتأكد طموح الضمير، وبعد هدف الإنسان حسب التوجيه الخارجي فعندما يؤمن الإنسان بالله، ويراه خالقاً وهدفاً تتضح له الصورة الكمالية، عند ذلك يرى هدفه غير متناه وطريقه طويلاً جداً.

أما إذا تعلم من دين أو مذهب أو تنظيم أو عادة أو فلسفة قصر الهدف خلال توجيه خاص «عبادة الطوطم، التجسد في الأشجار مثلاً» أو من خلال عادات شعبية تدعو إلى إغتنام اللذات أو من خلال فلسفة تدحض تمسكه بالأبدية، عند ذلك يجد الطريق أمامه قصيراً، ولكنه في جميع الحالات يتحرك بدافع من ضميره.

* **إننا نعتقد أن كل إنسان، وبخاصة المؤمن بالله** دون حاجة إلى دعوة أو تحريض أو تربية. **يتحرك نحو الكمال** نحو أن يصبح متخلقاً بأخلاق الله، **نحو اللانهائية**. وفي هذا السبيل **يبذل جهداً ويتصدى للمعوقات**. فإن أدرك أن واقعه لا يمثل طموحه فإنه يحس بكونه في الطريق وبان عليه أن يتحرك.

ـ وهكذا ندرك أن تحرك المحروم فطري وضميري.

المحروم في حاضره أو المحروم من مستقبله أو الشاعر بحرمان أولاده أو المدرك لحرمان من حوله وكلما ازداد الطموح اتسعت الدائرة من حوله.

وهنا نرى بوضوح كيفية تكوين دوائر حركة المستضعفين والمحرومين صغيرة وكبيرة، ماضية، وحالية، ومستقبلية، ونرى كيف أنها تلتقي لكي تكون حركة جماعية أو موجة حضارية.

إن لقاء الحركات هذه بوعي وإدراك نقاط التلاقي، وبالجوهر الدافع لها ضمان قوتها ونجاحها وصيانة لها، عندما تكون الحركة في بدايتها وخطها وهدفها واحدة، وبكلمة عندما تكون الحركات مؤمنة بالله موحّدة.

البحث الخامس

ولادة حركة أمل في لبنان
وظروف نشأتها وأبعادها التاريخية والجغرافية

محتويات البحث:

أ ـ الوضع الإجتماعي والسياسي في لبنان.

١ ـ ولادة لبنان الكبير

٢ ـ الإستعمار والحروب الطائفية.

٣ ـ الإستقلال والميثاق الوطني.

* الأقليات

* الأحزاب والزعامات.

ب ـ موقع الفئات المحرومة في لبنان والعالم العربي.

١ ـ المحرومون في لبنان.

٢ ـ الفروق بين المناطق والطوائف.

٣ ـ الاتجاه نحو الزراعة.

٤ ـ الهجرة إلى العاصمة والمدن الأخرى
٥ ـ الهجرة إلى الخارج.
٦ ـ الإقبال على التعلم.
٧ ـ الإنخراط في الدوائر الحكومية والجيش.
٨ ـ الإعلام والمكتبات والفن.
ـ تقصير الدولة:
ـ في مجال الزراعة.
ـ محنة العمال.
ـ أزمة السكن.
ـ أزمة المغتربين.
ـ أزمة العلم والمدارس.
ـ حرمان الموظفين من حقوقهم.
ـ محنة الاختصاصيين.

ولادة حركة أمل وظروف نشأتها وأبعادها التاريخية والجغرافية

إن حركة أمل في لبنان قد ولدت برعاية القيادة الدينية مع كونها حركة لا طائفية لوضوح الفارق بين الدين والطائفية.

ويعود السبب في ذلك إلى عوامل عديدة:

أ ـ الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان.

ب ـ موقع الفئات المحرومة في لبنان والعالم العربي.

جـ ـ العوامل التاريخية (التراث) والمفاهيم الدِّينية المتطورة (مفهوم الإيمان ومبدأ الاجتهاد).

د ـ دور القيادة في بعث هذه الحركة.

ونجد في هذه الدراسة خطوطاً عريضة للعوامل الأربعة هذه ومقارناتها ونحيل الراغبين في الإجابة على التفاصيل إلى المصادر:

أ ـ الوضع الإجتماعي والسياسي في لبنان:

١ ـ ولادة لبنان الكبير:

في سنة ١٩٢١ ولد لبنان الكبير برعاية فرنسا، من قبل الأمم المتحدة التي كانت مهتمة بتصفية الأمبراطورية العثمانية، فانضمت إلى جبل لبنان الأقضية الأربعة: بيروت، طرابلس، والبقاع بعلبك ـ الهرمل)، والجنوب.

وكان ذلك نهاية لعهد استمر منذ ١٨٦٠، وكان لجبل لبنان بقضائية الماروني والدرزي، استقلالاً داخلياً ضمن الأمبراطورية العثمانية، يحمى من قبل الدول الأوروبية الكبرى: بريطانيا، فرنسا، المانيا، النمسا، وروسيا القيصرية، بموجب اتفاقية جرت بين هذه الدول وبين الدولة العثمانية.

٢ ـ الإستعمار والحروب الطائفية:

والحقيقة أن هذه الإتفاقية فرضت على العثمانيين، بعد سلسلة من الحروب الطائفية أثارها المستعمر الأوروبي الناشيء، الطامع في العثور على قاعدة في قلبْ الشرق الأوسط. والحروب هذه دامت حوالي أربعين عاماً بين الموارنة والدروز خلال جولات متعددة ومآسٍ مؤلمة كان أثر الأصابع الخارجية فيها بارزاً.

وفي الفترة هذه تنافست الدول الأوروبية الخمس في اجتذاب فئات الشعب في منطقة جبل لبنان، وقدمت كل دولة مساعدات ثقافية وتربوية وصحية، واقتصادية، للفئات الصديقة كما أخذت مجموعات من الطلاب إلى جامعاتها وفتحت أبواب أوروبا للناس، حتى كاد أن يتحول جبل لبنان إلى قطعة من أوروبا ثقافياً وحضارياً، فانتشرت الجامعات والمعاهد التعليمية والمستشفيات والمصحات في اقطار الجبل، ورفعت مستوى النخبة من أبنائه، بينما كان جمهور الشعب يعيش فقراً مدقعاً، فاضطر للهجرة إلى الأميركيتين وإلى أفريقيا الغربية، والمعروف أن الهجرة اللبنانية في فصلها الأخير، بدأت من جبل لبنان، ويعود تاريخها إلى أواسط النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ومن جهة أخرى أعفي أهالي جبل لبنان، من دفع الضرائب ومن الخدمة العسكرية للحكم العثماني، وهذه العوامل تتمثل في المثل اللبناني القديم: (نيال من له مرقد عنزة في جبل لبنان) أي هنيئاً لسكان الجبل.

وقد استفادت الدول الأوروبية من أبناء الجبل في شمال افريقيا فاستعملتهم مترجمين وخبراء، كما كانت الهجرة الثقافية إلى مصر، وتأسيس الصحف الكبرى في القاهرة، وكذلك كانت السبب في انتقال الأدب العربي إلى أميركا اللاتينية وتأسيس العصبة الأندلسية هناك.

وبرزت المناداة بالقومية العربية لمحاربة الحكم العثماني المتستر بالإسلام، من قبل أبناء الجبل، كما كان التفاعل الحضاري والثقافي بين العرب وأوروبا، بواسطتهم، ذلك التفاعل الذي انتشر في العالم العربي، عن طريق الجامعات والمدارس الموجودة في الجبل.

هذا الوضع دام حوالي جيلين، وترسخ في نفوس أبناء الجبل، وخلق في بعض النفوس شعوراً بالتفوق والتقدم الحضاريين، بينما برز الشعور القومي العربي لدى الآخرين.

في هذا الوقت (١٨٦٠ ـ ١٩٢٠) كان وضع الأقضية، يختلف كلياً عن وضع جبل لبنان، فكانت بيروت وطرابلس، موضع رعاية العثمانيين، ونشطت فيهما التجارة، وتأسست مؤسسات إسلامية ثقافية باسم المقاصد الإسلامية، واستلم أبناء هاتين المنطقتين مهاماً رسمية، وألقاباً في الأمبراطورية العثمانية، وكانوا بدورهم يحسون بتفوق معنوي بسبب ارتباطهم بالسلطان وبالباب العالي.

أما البقاع (بعلبك الهرمل) فبسبب الأكثرية الشيعية، كانت موضع إهمال من الدولة العثمانية، شجع فيها النظام العشائري وغاب عنه أمن الدولة، وكانت السلطات العثمانية، تساهم في إفقارها، وحرق الغابات الكثيفة، الموجودة فيها وفي تجهيل الناس وتخلفهم.

والجنوب أيضاً كان يعيش الفقر، وسيطرة عمال السلطان،

وكان شبابه يساقون إلى الخدمة العسكرية، وإلى حرب الـ3 من المضنية ويعفى منها كل من يدفع ضريبة باهظة، يقدّم أرصا . . .

وبنتيجة هذا الوضع، أصبح الجنوب فارغاً من الشباب، وأصبحت أراضيه ملكاً للاقطاعيين الجدد، وتعطلت مدارس جبل عامل، وعم الجهل والتخلف، وفتك بعض الولاة العثمانيين بالعلماء، واحرقت كتبهم وطردت بعض كبارهم، وساد الظلم والاضطهاد وبدأت الهجرة مؤخراً وسرعان ما انتشرت وعمت.

بهذا التفاوت العميق بين المناطق الخمسة التي شكلت لبنان الكبير، بعد الحرب الكونية الأولى، وفي هذه الظروف المتباينة أسست فرنسا الإستعمارية الدولة الجديدة.

وكان أبناء الجبل، ولا سيما الموارنة منهم، ومن خلال الظروف الثقافية والعلاقات المتينة مع أوروبا، قد احتفظوا بالمراكز الأساسية في الدولة الجديدة.

ويبدو بوضوح من الوثيقة الأساسية، أن لبنان الكبير هو جبل لبنان والأقضية التي انضمت إليه وأخذت أسمه.

وكان لفترة الحماية الأوروبية، تأثيرها البالغ في تعود أبناء الجبل على حرية ارتباطاتهم بأوروبا والعالم ـ دون العالم العربي الذي كان خارجاً من الاستعمار بل كان تحت الحماية الانجليزية الفرنسية في ذلك الوقت ـ وهذا الربط شجعهم على التمسك بأزمّة الحكم وعلى شعورهم بالانتماء الغربي الذي تنازلوا عنه مقابل تنازل الأقضية الأربعة عن الوحدة مع العرب.

٣ ـ الاستقلال والميثاق الوطني:

وكان الميثاق الوطني الذي جمع النفيين، **عدم الإنتماء للغرب، وعدم الوحدة مع العرب**، أساس استقلال لبنان عام ١٩٤٣ أي

بعد الحرب الكونية الثانية.

مع العلم، أن فترة الإنتداب أثبتت امتيازاتهم، ورسخت سيطرتهم، وبالتالي كانت السبب في خلق النظام الطائفي الذي نعيشه اليوم، والغاية الحقيقية منه بقاء الوجود السياسي المتحيز للطائفة المارونية، وعدم ذوبانهم في الوطن الجديد.

وكان هذا النظام يبرر في الظاهر مع الاستقلال وإعلان النظام الديمقراطي البرلماني بدليلين آخرين:

أولهما: أن الأقليات في العالم العربي مضطهدة، وأن الأكثرية الإسلامية، لا تسمح للكفاءات أن تبرز وأن تتسلم المراكز الأساسية.

ثانيهما: أن الطوائف اللبنانية الموزعة في المناطق، هي متفاوتة المستوى، ولذلك فوجود نظام ديمقراطي

لا يمكن أن يكون نظاماً عادلاً، لأن الفرص المتوفرة للناس متفاوتة، وليست متكافئة، ولذلك فلا بد من وجود تقسيم لهيكل الدولة بين الطوائف، واعتبار النظام، نظام تحالف بين الفئات الطائفية، التي هي بمنزلة الأحزاب في البلاد.

والحقيقة أن مسألة الأقليات، لو وضحت في الغرب، فهي ليست صحيحة اطلاقاً في العالم الإسلامي، حيث يحمي الإسلام بقوة الأقليات المؤمنة بالله، ويشهد التاريخ أن الكفاءات اليهودية والنصرانية في العالم الإسلامي، كانت موضع اهتمام واحترام.

أما الدليل الثاني فإنه أصبح على صعيد الواقع سبباً لتحالف الزعامات وتوزيع مراكز الدولة بين الإقطاعيات السياسية وبقيتْ أكثرية الناس محرومة من الفرص كافة.

ثم أن الأحصاءات أثبتت أن العدالة المتوخاة من هذا النظام كما يدعي لم تحقق يوماً، حتى في النسبة التي أعلنت رسمياً.

وبقي عهد الاستقلال، استمراراً للعهود السابقة، فازداد الحرمان من خدمات الدولة، وازداد التفاوت والشعور العام بالتصنيف الطائفي، والتذمر وبقي المجتمع ومفككاً غير متماسك، وبقي أصحاب الامتيازات يحمون دولتهم بالمظاهر الزائفة من الازدهار الاقتصادي، وبالفلسفات الخاوية، وبقوة الجيش وبالامساك بمفاتيح السلطة.

وتنازلوا في بعض الفترات جزئياً، لبعض الفئات، وخلقوا تحالفاً بين الاقطاع والأغنياء، من مختلف الطوائف وبين الدولة.

ولكن هذه المحاولات المضنية، لم تكن نافعة فلم يتمكن ولاة الأمر،من بناء مجتمع موحد متماسك، كما لم يتمكنوا من البت في أي موقف سياسي أو اقتصادي أو ثقافي، وبقيت الدولة أضعف الفئات، وهي ادارة حفظ التوازن بين الفئات شكلاً، وتعمقت **الزعامات التقليدية** وأصبحت موروثة.

وبقيت المؤسسات كلها حتى الجيش حذرة محجمة،تسد أبوابها في وجه الأكثرية المستحقة من أبناء الوطن.

وتروضت **الأحزاب السياسية**، وتحولت إلى الزعامات الجديدة، واضطرت بسبب التعقيدات الموجودة في المجتمع إلى استعمال نفس الأسباب والوسائل المتعارفة لدى الاقطاعيين، ولذلك فهي لم تتمكن من استقطاب الناس، ومن تحقيق آمالهم ومصالحهم، ونشأت محاور سياسية، تستعمل من الزعامات المحلية تارة، ومن الأنظمة، والقوى العربية والعالمية تارة أخرى.

إن هذا الوضع الاجتماعي الشاذ، جعل التسلل من الخارج

لكل طامع في منتهى السهولة، فأصبح المجتمع اللبناني ساحة صراع بين العرب وغير العرب استفادت الماركنتيلية اللبنانية[1] من هذا الصراع فترة من الزمن ولكنها دفعت الثمن غالياً ومرة واحدة في الأحداث.

ب ـ موقع الفئة المحرومة في لبنان والعالم العربي:[2]

١ ـ المحرومون في لبنان:

إن الفئة المحرومة كانت في لبنان منذ أن كان، عمّرت سهوله كما عمّرت الجبال، وعصمت جنوبه كما شرقه والشمال.. عاشت معه في السراء والضراء، فسقت تراب لبنان من دم، كما رفعت في سمائه ألوية مجد، شاركت في اخضراره، فلم يعتب الجمال، وقادت ثوراته فلم تعتب السيوف، وبذلت حتى تعبت الحتوف. أن مدارس العامليين وكتبهم خلال عشرة قرون، هي مكاتب لبنان. وحضارة الحمدانيين وتجارتهم، هي التي أغنت الشرق، وتأسيس دولة بني مرداس، وانفتاحهم المذهبي الذي أخصب الفقه، وعمران بني عمّار وثقافتهم التي أفادت الحضارات. وتطورات صور العمران بسياسة أبنائهم وشجاعتهم المذهلة، وصلابة جبل لبنان وتنقلات المحرومين القاسية فيه خلال القرنين العاشر والحادي عشر، وأوائل القرن الثاني عشر ومواقفهم الحاسمة ضد الصليبيين، وصلابتهم النادرة أمام الإضطهاد المملوكي، وفي المجازر الرهيبة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

إن هذه الصفحات البهية من تاريخنا في لبنان جعلت ميثاقاً

(١) الماركنتيلية اللبنانية: المقصود فئة التجار اللبنانيين الكبار.
(٢) الفئات المحرومة: يعني الطوائف التي حرمت من حقوقها كالشيعة على الخصوص وبعض الطوائف الأخرى، من مسلمين ومسيحيين.

عميقاً وأبدياً بيننا وبين لبنان لا نتنازل عنه ولا يتنازل عنا، لأن مسألة كل من الاثنين حيال الآخر مسألة مصير.

وبعد تلك الأمجاد تحركت عهود الاستعمار، والإستبداد فشردت شبابنا، وأفقرت أراضينا وهدمت مدارسنا، وخلقت لنا من مناطقنا سجوناً، ومن حياتنا شجوناً، وبقي الأمل في الليل المدلهم، الذي تجاوز قروناً وقروناً.

ثم طلع الفجر، وتحقق الأمل الذي كنا ننشده، وجاء الاستقلال، يمسح الجروح ويرفع كرامة المواطن، ويمنح الحرية، والعدالة، لأبناء الوطن الواحد، ويجند طاقات الإنسان، ليساهم في بناء وطنه، ورفع مستواه، وبالتالي يشترك مع إخوانه في عطائه القومي، ومشاركته الإنسانية.

واختار اللبنانيون الديمقراطية نظاماً، لا يقبلون عنها بديلاً، ثم لاحظوا أن المناطق اللبنانية مختلفة جداً في المستويات الثقافية، والعمرانية، والاجتماعية، وكأنها بلاد تتفاوت حضارتها، وهذا يعني أن الفرص غير متكافئة ونظام التزاحم غير عادل.

وبنتيجة هذه العوامل، لاحظوا أن العدالة الإجتماعية ستبقى خيالاً في الخاطر، ووحدة الوطن شعارات، تطلق في الأعياد والمناسبات والتمنيات.

٢ ـ الفروقات بين المناطق والطوائف:

أما الفروق بين المناطق والطوائف فتزداد يوماً بعد يوم كما هو الحال بين الدول الصناعية، والنامية، مما يجعل العالم يواجه اليوم أصعب مشكلة إنسانية يعهدها.

ومما يزيد من عمق المشكلة في لبنان، أن الناس تعودوا خلال تاريخهم الطويل، أن يعيشوا فئات، وعائلات، وطوائف.

لأجل ذلك كله، ولأن المناطق كانت منقسمة، بصورة تقريبية بين الطوائف، قرروا نظام التقسيم الطائفي في هيكل الحكم، وفي خيرات الوطن، واتفقوا على ذلك ضمن ميثاق وطني مؤقت، إيماناً منهم بأن هذه الطريقة، هي الضمان المناسب للعدالة الاجتماعية، بين أبناء الوطن الواحد مع مرحلة التأسيس.. مرحلة الإنطلاق..

هكذا نفهم بأقصى درجات التفاؤل، وفي أفضل تفسير للأحداث، معنى النظام الطائفي في لبنان.

ومر ربع قرن، أي عمر جيل، وهذه المدة كانت كافية لتقييم نتائج هذه التجربة الفريدة في العالم رغم قصرها، في عمر الأوطان.

بدأ خلالها اللبنانيون عموماً، وأبناء منطقتي الجنوب والبقاع، بوجه خاص بتحمل مسؤولياتهم الوطنية! مستفيدين من ظلال الديمقراطية، والحرية، والاستقلال، ليمارسوا نشاطهم الحياتي في نطاق هذه المثل العليا الكريمة.

والمحرومون من الشيعة وغيرهم من المسلمين، والمسيحيين الذين يشكلون الأغلبية الساحقة، من هاتين المنطقتين أصبحوا يعتقدون أن عهود الإستعمار والإحتقار والتصنيف، وطمس الحقائق قد ولت، وأن عليهم أن يتحركوا من أجل خلق حياة أفضل، لهم ولأولادهم، ومن أجل وطن عزيز كريم ومستقل.

٣ ـ الإتجاه نحو الزراعة:

فكان الإتجاه أولاً نحو الزراعة وبالفعل حولوا القطاع الساحلي في الجنوب إلى بساتين غنية، تشكل رقمًا قياسياً في الدخل القومي، وحولوا سهل البقاع إلى مزارع لا مثيل لها في الشرق، وبقيت المناطق الجبلية، أو التي لا ترتوي بالماء، فزرعت بالتبغ وبمختلف المحاصيل البعلية.

٤ ـ الهجرة إلى العاصمة والمدن الأخرى.

وانتقل النخبة منهم إلى المدن، وإلى العاصمة لأجل العمل، فشارك عشرات الألوف منهم في حقول العمران والمصانع، والسياحة والبلديات وفي مؤسسات الميناء والمطار والمسلخ.

٥ ـ الهجرة إلى الخارج:

وهاجر الطامحون منهم، إلى البلاد العربية الشقيقة، وإلى افريقيا الغربية وأميركا اللاتينية وأوستراليا، هاجروا دون توجيه أو حماية عسكرية أو سياسية أو قانونية سوى حماية خلقية وأصالة شخصية، مستمدين من تراث إنساني عميق.

وقد تجاوز عددهم خلال هذه المدة مائة ألف مهاجر يعملون بجهد ويعيشون بتقشف، ويعمرون بهذا الجهد المضني، بلادهم وديارهم ويربون به أولادهم وأقرباءهم. أنهم يعيشون دائمًا لى على أمل العودة إلى وطنهم حيث لا تبهرهم حضارة سوى حضارة لبنان.

٦ ـ الإقبال على التعلم:

والإقبال كان ولم يزل شديداً على التعلم، فالآباء يتعبون ويتحملون الأشق من الأعمال لكي يوفروا المال اللازم لتعليم الأبناء حتى المستويات النهائية، والأبناء والبنات يتلهفون إلى المدارس ولقد كانوا يقطعون في بعض الحالات يومياً، بضع كيلومترات لكي يصلوا إلى المدرسة، ويزداد الشوق، ويزيد العدد ففي سنة ٦٦ ـ ٦٧ الدراسية كان عدد الطلاب في الجنوب ٣٠ بالمئة حتى أصبحنا اليوم لا نجد بين الأجيال الطالعة إلا ٣ بالمئة من الأميين بدلاً من ٤٧ بالمئة قبل خمسة عشر سنة.

٧ ـ الإنخراط في الدوائر الحكومية والجيش:

واشترك الكثير منهم في الوظائف، فكانوا نماذج للاخلاص والجد ونزاهة الكف وكان منهم الخبراء والاختصاصيون الكبار.

والرغبة إلى الإنضواء في سلك الجيش والأمن الداخلي كانت جامحة عندهم، وبرغم الموانع التي تقف في طريقهم بحجة عدم التوازن، نشاهد ارتفاع المعدل لديهم فكانوا في طليعة المناضلين والأشداء في سبيل الدفاع عن الوطن وعن أمنه وقدموا ضحايا كثيرة حتى في سلاح الطيران.

٨ ـ الإعلام والمكتبات والفن:

وكان السعي من أجل العمل في مجالات الإعلام والمكتبات والفن والرياضة والتعلم ومختلف الاختصاصات الحرة من طب وهندسة ومحاماة وغيرها.

٩ ـ تقصير الدولة:

إن هذا الإندفاع كان بحاجة إلى رعاية الدولة، وحماية الوطن، لكي يجعل المستويات المتباعدة بين المواطن متقاربة، ويصب الطاقات الخيرة في خدمة منسقة للوطن، ترفع من شأنه وتمنع تعرضه للأذى من الخارج، أو التمزق من الداخل. هكذا كنا نفهم التوازن الطائفي في النظام الديمقراطي.

لكن هذه المبادرات لم تلق الأصداء المطلوبة، لدى المسؤولين منذ بداية الإستقلال، بل كانت تصطدم بعراقيل، وموانع، نابعة عن الإهمال، والإلتهاء بالمصالح الخاصة، والمحلية، ولا نقول هنا أنها كانت بنوايا سيئة، ومبيتة، لخلق اليأس، والجمود والاتكالية، والإستزلام، وسيطرة الإقطاع على البلد الطيب العريق، الذي يعيش فيه شعب من

أرقى الشعوب في العالم، ويملك تاريخاً قلما يوجد لدى شعب آخر.

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، تدليلاً على المطلب وشهادة حق لمصلحة المعذبين في هذه الجنة، جنة الله على الأرض، لبنان.

في **حقل الزراعة** إن الأرض الواسعة التي هي من أحسن الأراضي وأخصبها، كانت موجودة، واليد العاملة مستعدة، والخبرات التجريبية، والفنية متوفرة، ولكنها تحتاج إلى الماء، الماء هذه النعمة الإلهية التي منحها الله تعالى لبلدنا، بكميات كبيرة تبلغ، إحد عشر مليار مكعباً في السنة، ولكنها تهدر في البحر عدا ستمائة مليون متراً مكعباً منه فقط.

هذا الماء كان كذلك متوفراً في البقاع والجنوب، فكانت الحاجة إلى مشروع الليطاني، وإلى إقامة سد على نهر العاصي وإلى تنفيذ بحيرة اليمونة وإلى إنشاء السدود في نحلة ووادي سباط ـ جنتا، يحفوفا، وشمسطار وإلى مشاريع مياه في مرجحين، جباب الحمر، واللبوة وحوش تلصفية وإيعات وغيرها.

وأسست مصلحة الليطاني سنة ١٩٥٤، وصرفت أربعمائة مليون ليرة لبنانية ولم توضع دراسة شاملة للري بل العكس، حولوا ثلاثمائة مليون متراً مكعباً من مياه الليطاني إلى النهر الأولي، لأجل مشاريع الكهرباء، وحرموا بذلك الجنوب منها.

وأسس المستعمر الفرنسي في سنة ١٩٣٢ بداية السد في العاصي، وبدأوا بقناتي الهرمل والعين ثم تجمد كل شيء، عام ١٩٦٤، حيث وضعت الاعتمادات اللازمة للدراسة، لكي تتجمد مرة أخرى. وتبقى الأرض الخصبة في المنطقة بائرة، ويبقى الناس

هناك في فقر، وعذاب، وشقاء، يهاجرون إلى المدن، ويتقاتلون فيما بينهم، ويرحل الأمن والسلام ويستقر التخلّف والحرمان! وهكذا كان مصير المشاريع الأخرى، واستمر هدر مليارات امتار المياه إلى البحر تأخذ معها التربة والخصوبة، وتصب في البحر. . .وتؤكد للعالم عدم صلاحية المسؤولين عن الحكم، وتعطي للعدو حجة دامغة لإدانتنا وللطمع في أرضنا ومياهنا. وكان الزرع الغالب في الجنوب، بسبب عدم وجود المياه، التبغ، ومأساة التبغ دامية وحزينة، يعمل الفلاح مع جميع أفراد عائلته خلال السنة الكاملة، لكي يفرض عليه الكم والنوع والسعر، وتتحكم فيه (الريجي) وتحتقره بدلاً من تصنيف التبغ لكي يلجأ إلى الوسطاء لأخذ بعض من حقه.

أما إذا طالب بحقه بدون وساطة فجزأوه الطرد والحرمان وفي بعض السنوات الرصاص. وإليكم بعض معالم هذه المأساة بالأرقام:

- ثلاثمائة ألف مواطن ترتبط حياتهم بزراعة التبغ.
- يساهم مزارعو التبغ بأكثر من أربعين مليون ليرة في الدخل القومي.
- كلفة الكيلو غرام من التبغ من وقت استلامه من المزارع إلى وقت وصوله، إلى ظهر الباخرة في لبنان ٥,٥٠ ليرات وفي تركيا أو غيرها ١,٣٠ ليرة، وذلك لأجل النفقات الإدارية الباهظة التي يتحملها المزارع.
- معدل الهدر عند الفرز في العالم ٨ إلى ١٢ بالمئة، وفي لبنان يبلغ ٢٨ بالمئة.
- معدل الزرع في العالم من ٨ إلى ١٢ دونماً، وفي لبنان ١,٨٠ دونماً، وهكذا يعرف سبب الخسارة التي يدعونها في

شراء التبغ من المزارع.

- أسعار التبغ في العالم، ارتفعت سنة ٧٣ بين ٣٠ بالمئة إلى ٥٠ بالمئة، ومع ذلك ففي لبنان زاد السعر في هذه السنة للمزارع ٥ بالمئة، وفي سنة المأساة ١٩٧٢ ورغم زيادة السعر في العالم خفِّض السعر ٢٪

- قدر معدل الانتاج لدونم واحد الجنوب بين ٩٠ و١١٠ كلغ وفي الشمال قدر بـ ٤٤ كلغ.

- وقد اطَّلع الجميع على التفاوت في الأسعار، وفي المعاملة وفي النوعية، وعلى الأوضاع التي تهدد كيان هذا الزرع من أساسه في لبنان. وفي حقل الزرع أيضاً لا بد من أن نضيف مشكلات التسويق العميق الذي مارسه المسؤولون رغم وجود مؤسسات كبرى، مع موازنات كثيرة لأجل تسويق الحمضيات والموز والتفاح والحبوب ومشكلات بيع الخضار وبصورة خاصة الشمندر. وإذا أضفنا إلى هذه اللوحة المأساوية عن وضع المزارعين، ذلك البعد الدامي الذي يرتسم كل يوم بواسطة العدو الإسرائيلي، على أرض الجنوب، فيمنع المزارعين من جمع محصولهم. وإذا أضفنا إلى ذلك محنة الغلاء المسقل المتزايد، تكتمل الصورة!!.

* محنة العمال:

أما العمال والكادحين، الذين يتركون قراهم، ليؤمنوا قوت أهليهم ونفقات دراسة أولادهم، فإنهم يعيشون في ضواحي بيروت، في ظروف قاسية، لا تتناسب مع مستوى لبنان الحضاري بل لا مثيل لها في أكثر البلدان المتخلفة.. بيوت مزدحمة، دون تنظيم، وربما بلا كهرباء ولا ماء، وفي أحياء محرومة من المدارس، والمستوصفات

والطرق والمجارير، ويسكنها ثلاثمائة وخمسون ألف عامل تقريباً، والتدبير الرسمي الوحيد هو وضع تخطيط ورسم شوارع متقاربة، لكي تقضي على البيوت بصورة نهائية.

* أزمة السكن:

وعندما أرادت قيادة الحركة (الإمام الصدر) المبادرة، بالتعاون مع سكان حي ظهر الريحان بالحدث، حيث أقيمت كلية العلوم من الجامعة اللبنانية، وبالتعاون مع الخيرين من اخواننا، فبنينا قرية نموذجية، ومساكن شعبية، بلغت أربعمائة وستين بيتاً، وسعينا لإسكان الناس، وتسهيل مهمة بناء الجامعة، جاءت تدابير تمنع السكان عن الماء والكهرباء وغيرهما من ضرورات الحياة جزاءً لهذه المبادرات.

وأصعب ما في هذا الحقل هو إفراز هذه الأحياء مئات من المشردين كانوا لا يزالون في ازدياد نتيجة الحرب الأهلية يجوبون شوارع بيروت، ويشكلون المجال المناسب لمختلف الجرائم، رغم ذكائهم الفطري وقدبلغ عددهم سنة ٦٨ ألف ومائة طفلاً.

* أزمة المغتربين:

أما المهاجرون فإن لقمتهم المغموسة بالدم والعرق والغربة، كانت تطعم الغريب، والقريب، وجهدهم المتواصل، كان يصرف في سبيل عمران العاصمة، والقرى، ونجاحهم الجزئي ٤ بالمئة فقط، كان مستوراً. وكانوا يخفون حنينهم، ومأساة أولادهم الذين كادوا يجهلون أباءهم، وأمهاتهم، كل ذلك لكي يؤدوا واجبهم الوطني... وقد أهملهم الوطن، حاشا الوطن، لقد أهملهم المسؤولون لا من حيث الحماية أو التمويل أو التسهيلات الجمركية أو الضريبية وغيرها، لا؟ لا، بل حرموا من أبسط المسؤوليات الحكومية تجاه المواطن في الخارج وإليك بعض

الأمثال [٢]:

* أزمة العلم والمدارس:

وفي سبيل التعلم كان يعاني ابناؤنا فقدان المدارس، رغم أن بعضهم كان يقطع بضع كيلومترات، للوصول إلى مدرسته في الشتاء والصيف، وكان من المقرر أن تبنى ثمانون مدرسة في الجنوب خلال الخمس سنوات التي انتهت في سنة سبعين، شرط تقديم كل قرية أرضاً مناسبة لوزارة التربية الوطنية، ونفذوا الشروط، وتنازلنا في بعض القرى عن الأوقاف، مقابل إيجاز رمزي، ومرت السنوات الخمس ولم تكن النتيجة سوى نصف مدرسة، وفي كثير من القرى تسمى غرف متباعدة مستأجرة من قبل أهالي القرية مدرسة، ناهيك عن التجهيزات غير اللائقة، وكانت المدارس الخاصة في المناطق، وفي بيروت وبنتيجة

(٢) لقد صرح للإمام الصدر رئيس وزراء غينيا، أن رحلة واحدة من المسؤولين اللبنانيين إلى غينيا، كفيلة بخروج عشرات من اللبنانيين المقيمين هناك من السجن، كما حصل ذلك بالنسبة لرعايا فرنسا والمانيا الغربية عندما اعتقلوا بنفس الاتهام.

ومع ذلك فلم يسافر أحد، وبقي المغتربون سنوات في سجون بلاد الإغتراب، وعانى مئات من اللبنانيين في جمهورية افريقيا الوسطى أشد أنواع الإضطهاد والحجز، ولا يخرج أحدهم إلا بدفع الأموال الكثيرة ومصادرة ممتلكاته، والرئيس بوكاسا صديق اللبنانيين ونسيبهم، ينتظر مبادرة رسمية من الحكومة والألوف من شبابنا وعائلاتهم ينتظرون دون جدوى، أما مأساة الجالية في كونغو كينشاسا فقد انتهت بمبادرة شخصية من مواطن انتظر طويلاً برقية رسمية ومراجعة أو رحلة من بيروت ثم اتفق مع الرئيس موبوتو بعد إنهاء المشكلة بأنه سيسعى لإقامة سفارة لبنانية هناك شأن الدول العربية الأخرى ولكن الوعد لم ينفذ بل القنصلي الفخري يستنيب وكيلاً له والوكيل ينوب عنه وكيلاً آخر يرعى شؤون الجالية اللبنانية وهو يهودي، والوضع في أغلب المهاجر من جهة الادارة القنصلية سيء للغاية، لا يوجد أكثر من شخص واحد لعشرين ألف لبناني في افريقي الغربية، هذا، والأوضاع الإجتماعية تتغير بسرعة في بلاد الإغتراب وهذه تستدعي الحضور الدائم الذي يحل محله غياب دائم.

عدم توفر المال اللازم، كانت ولم تزل المستويات منخفضة، رغم جهاد أصحابها وجهودهم، والآن وأمام حلم المدارس المتجمعة فإننا شعرنا بكل صراحة، ودون عقدة أن مستقبل أبنائنا مهدد، ومستواهم الدراسي في الأغلب، غير متناسب مع طموح اللبنانيين،

* أزمة الموظفين :

أما عن الموظفين، وحرمانهم من حقوقهم ومن المراكز المرموقة ومن عدم اعتماد المسؤولين على الكفاءات، بل على المحسوبيات فحدّث ولا حرج حيث أننا شعرنا بتصنيف فاضح، واحتقار في هذا المجال الحيوي جداً، هذا المجال الذي يشكل مفتاحاً لمختلف مجالات التنمية والخدمات.

إن الدراسة الصحيحة التي كانت من المقرر أن تقدم أصبحت مستحيلة حيث امتنع مجلس الخدمة المدنية عن ذلك، ولكن في حدود المعلومات المتجمعة لدينا فقد بلغت نسبة الحرمان في الفئة الثانية ٦٣ بالمئة وفي الفئة الثالثة ٨٨ بالمئة والوضع في المؤسسات التابعة للدول والشركات المتأثرة بمراقبتها أمر وأدهى. ويبقى حقل العلماء الاختصاصيين من أبنائنا فهو في محنة مشتركة وفي مصيبة عامة فلا مجال للكفاءات إذا لم تسخر لرغبات الإقطاع وها نحن نجد أمام أعيننا خيرة شبابنا الذين استهلكت دراستهم العالية حياة أهلهم وآمال السنوات يتركون الوطن واحداً تلو الآخر، لأنهم يرون قسوة الإقامة في البلاد بل الغربة في الوطن أمرّ وأصعب.

البحث السادس

حركة أمل تملك كافة معالم ثورة مؤمنة إنسانية لا طائفية

محتويات البحث:

حركة أمل من مقتضيات الضرورة التاريخية:

- ظلم واغتصاب حقو ق المحرومين.
- الحريّات والتجارب العالمية.
- وجود دولة إسرائيل انتكاسة في تاريخ المنطقة.
- الإلتزامات الدولية ومصائر الشعوب.
- تشريد الشعب الفلسطيني.
- موقف الدول العربية والعالم كله من الشعب الفلسطيني.
- المحنة اللبنانية ودولة إسرائيل.
- الحركات الثورية المؤمنة.
- فشل التيارات الماركسية والتيارات المقلدة لها.
- أيديولوجية الحركة.

- التنظيم ودوره في نجاح الثورة.
- الثورة والطاقات.
- التنظيم والجسد الواحد..
- التنظيم في الكون والطبيعة.
- هدف التنظيم
- العمل التنظيمي عمل إيجابي.
- عدم التنظيم يبعثر الجهود.

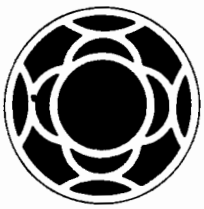

حركة أمل تملك كافة معالم ثورة مؤمنة إنسانية لا طائفية

إن حركة أمل في لبنان، تملك كافة معالم ثورة مؤمنة إنسانية لا طائفية، وذلك لأن الثورة الحقة، في مفهومها العام الصحيح هي حركة تقدمية عادلة **ترفض الوضع السائد في المجتمع الظالم المتخلف وتملك أيديولوجية كاملة متكاملة**.

أما أولئك الذين حصروا الثورة في حركة طبقية، أو في فئة معينة، فإنما نظروا إلى واقع الحركات المعاصرة لهم، فلو عاشوا في فترة أخرى من الزمن لكان لهم رأي آخر.

وقد أخرنا البحث في الشرط الرابع من شروط الثورة، وهو القيادة إلى ما بعد دراسة أبحاث ضرورية لتوضيح معالمها.

بقي هنا بعض النقاط الأساسية في بحثنا هذا.

أولها : إن هذه الحركة «حركة أمل» كانت عادلة، وباتجاه تقدم الإنسان في التاريخ، ولكن الحركة هذه كانت **من مقتضيات الضرورة التاريخية بسبب المزيد من العوامل التي تعتبر على خلاف سير التاريخ**.

* **فالظلم واغتصاب حقوق المحرومين من المسلمين الشيعة، ازداد بصورة واضحة** خلال السبعينات، وازداد بوجه خاص عدد

المحرومين لدى الطوائف الأخرى الإسلامية، والمسيحية، وارتفع مستوى الوعي والثقافة لدى المحرومين..

* ثم أن وجود الحريات الديمقراطية في لبنان، وانفتاحه على التيارات العالمية كلها، مما يضعان أمام تجربة الحركة، تجارب غنية أخرى مشجعة.

* ومن جهة أخرى، فقد زرعت إسرائيل بشكل مجحف وعلى خلاف جميع القواعد المعروفة في قلب هذه المنطقة، وقد نتجت عن هذه الظاهرة نتائج كبيرة ذات أبعاد، حضارية وبشرية وثقافية وأمنية واقتصادية، تعد انتكاسة فريدة في تاريخ المنطقة لا بل في تاريخ العالم.

* إن هذه النتائج بمضاعفاتها وتفاعلاتها جعلت مصائر الشعوب مهزوزة كما سلبت الثقة عن الإلتزامات الدولية وفاعلية الرأي العام العالمي، وغيرت المعادلات السياسية والقيم المتداولة بين الشعوب ودول المنطقة.

* ومن أخطر نتائج هذه الفاجعة، كانت مسألة تشريد الشعب الفلسطيني، ثم تجاهل حقوق هذا الشعب في وطنه، وفي العيش الكريم، مما جعل الشعب الفلسطيني يضطر لتحمل مسؤولية عودته إلى الوطن، وعودة الوطن إليه، دون أن يعتبرها أمانة في عنق أحد أو سبباً في تحرك المؤسسات الدولية، والضمائر الحية في العالم، وكانت المقاومة الفلسطينية.

* وجاء بعد ذلك موقف الشعوب والدول العربية والعالم كله أمام انتفاضة الشعب الفلسطيني، وما في ذلك من تجارب محزنة وغنية.

وهنا ندرك مدى تأثير هذا العنصر على قيام حركة أمل، وخياراتها وأبعادها، حتى أن ميثاق الحركة اعتبر قضية الشعب

الفلسطيني هي في عقلها وقلبها.

* ولا بد من اعتبار المحنة اللبنانية، وهي من نتاج وجود إسرائيل من أهم العوامل المؤثرة في ضرورة الميثاق هذه الحركة وعدالتها ونموها.

* وأخيراً فإن الحركات الثورية المؤمنة التي انطلقت مؤخراً في أقطار العالم عامة، وفي العالمين العربي والإسلامي خاصة، وإطلاع اللبنانيين جميعاً على تاريخها ونتائجها، سيما بعد أن فقدت الحركات الماركسية رونقها الثوري والتقدمي والمناقبي، بسبب التطورات العالمية وبعد أن استلمت هذه الحركات مسؤوليات الحكم في ثلث العالم تقريباً.

إن تجربة الحركات الثورية المؤمنة، الوطنية التحررية منها، أو الإجتماعية السياسية، مع تنوعها وتطوراتها أحدثت تفاعلات كبرى في نفوس اللبنانيين سيما المحرومين منهم.

وبعد نصف قرن من تجربة الثورات العالمية الماركسية ومشتقاتها العربية تبين بصورة موضوعية أن هذه التجارب لا تتناسب مع أرضنا وتاريخنا ولا تحول إنساننا إلى ثائر حقيقي بالمعنى الصحيح، ولذلك فإنها لم تقدم خلال هذه المدة أية خدمات وطنية سياسية أو إجتماعية للناس، كما لم تسجل أي موقف حقيقي لمصلحة العرب أمام إسرائيل، إن لم تكن قد ميعت في بعض الأوقات مواقف الآخرين، وساهمت بوجه أو بآخر في التراجع العربي أمام إسرائيل.

ثانيها: إن الأيديولوجية التي تعتمدها الحركة والتي استلهمت أسسها من التجربة التاريخية، تؤكد أن توفر القيادة الصالحة، والتنظيم هما عنصرا الأساس في نجاح كل حركة في العالم. وسنجد في الأبحاث القادمة درجة المسؤولية لدى القائد أنها تبلغ حد الشهادة كما

نشاهد دقة التجربة التاريخية، في انتقاء القائد حتى تكاد أن تكون القيادة واقعاً كونياً وخلقياً، وليس انتخاباً وتعييناً كما أننا سوف ندرس بعض مواصفات قيادة الحركة في مرحلة تأسيسها. «راجع بحث الإمامة والشهادة».

أما الآن فإننا نتوجه إلى مبدأ التنظيم وضرورته في نجاح الثورة.

إن الفرد كل فرد يملك من الطاقات والكفاءات درجة محدودة مهما كان عبقرياً.

والتنظيم ليس إضافة فرد أو أفراد إلى الفرد، لأن ذلك أيضاً لا يخرج الطاقات والكفاءات عن درجتها المحدودة.

ومع الكفاءات والطاقات المحدودة لا يمكن نجاح الثورة، حيث أن طاقات المنتفعين، من الوضع الإجتماعي القائم، ومصالحهم وإمكانياتهم، التي تسخر لهم عناصر وطاقات أخرى، تفوق طاقات الأفراد، مهما كثرت، بالإضافة إلى أن تملك زمام الأمور، والتحالفات القائمة بين المتسلطين على الشعوب، تجعل المعادلة في الصراع ضد مصلحة الثوار دائماً. **إن الثورة تحتاج إلى طاقات تقلب المعادلات.**

إن المطلوب في **التنظيم** (والتنظيم هو الذي يحول الفرد إلى الجماعة) **وهو أن يصبح جميع الأفراد بمنزلة جسم واحد كبير منتشر في كل مكان، وأن تتوزع المسؤوليات** على العناصر كما هي موزعة على أعضاء الجسم الواحد. فالعين، مثلاً، لم تستلم مهمة الأبصار بناء على التعيين أو الإنتخاب أو التكليف بل لأنه لا يمكن أي عضو آخر أن يقوم بما تقوم به العين، وهكذا...

وهذا هو الوضع في الموجودات الطبيعية الكونية في العالم الواحد.

ولذلك فإن المجتمع ـ كبيراً كان أم صغيراً ـ ينسجم وينجح ويستمر عندما يكون في ترابط وفي تقسيم للمسؤوليات، ومثل الإنسان الفرد ومثل الكون الكبير.

ولا شك أن درجة النجاح في إنجاز مهمة التجمع تعود إلى مدى دقة التنظيم، كما تعود إلى سلامة الهدف.

إن العمل التنظيمي بحق هو ترويض للفرد المنظم، بحيث يصبح العضو أداة لا هدفاً.

والهدف: هو الغاية التي من أجلها انشيء التنظيم.

وتتفاعل الأداة بالهدف لتكوّن وحدة منسجمة في حياة العمل التنظيمي فأنا لا أريد ـ مثلاً ـ أن أنتصر لنفسي، ولمصلحتي على حساب التنظيم بل أريد الإنتصار للتنظيم وجعله يتخطى العقبات التي تعترضه.

إذن، العمل التنظيمي عمل جماعي لا عملٌ فردي وفيه تذوب الأنا الذاتية في الأنا الجماعية.

مثلاً، إذا أخذنا العمل الرياضي، فهناك فرق بين أن تكون الرياضة بين بطلين واحد منهم ينتصر على الآخر، فريق كرة السلة أو فريق كرة القدم مثلاً، فالفريق كله هو الذي ينتصر أو ينهزم.

وهكذا لا يستطيع أي فريق رياضي، أن يحقق الإنتصار إلا بعد ذوبان الأنا الفردية، من قبل العناصر المؤلف منها الفريق، والإقتناع بأن إنتصار الفريق الجماعي هو انتصار فردي كذلك بل أنه أوسع وأكبر.

أجل إن أكثر ما يهذّب الذات هي القيم، التي تقهر لفرد طوعياً من أجل تربية الأنا وتوجيهها في الجماعة والمجتمع.

نحن نعلم نشأة الإسلام، وكيف وزع الرسول (ص) الأدوار

على المسلمين الأوائل: فهناك الهجرة الأولى إلى الحبشة ودورها في تعريف المحيط الجغرافي بالدعوة.

- الهجرة الثانية ومبيت الإمام علي (ع) على الفراش كي يسلم الرسول.
- ورحيل الرسول وأبي بكر.
- وقعة بدر ودور التنظيم والإنصهار فيها الذي خلق الإنتصار.
- وقعة أحد وضياع الإمتثال للرسول والهزيمة رغم وفرة العدد بسبب عدم الإمتثال للمنظِّم(الرسول القائد «ص»).

العالم كله يشهد تاريخياً أهمية دور العمل التنظيمي فكان الياباني أكثر ولاء للوطن وخاصة في معركة «بيرل هاربر»

الثورة الجزائرية عرفت التنظيم الصحيح، حيث كان الشعار «كل شيء في خدمة الإستقْلال».

الخلية الجزائرية كان همها تلقي الأوامر، دون أن تعلم من الآمر حتى لا يكتشف أمر القيادة، وبعد عمليات التعذيب التي كان يتعرض لها المتهم كان يقول بأن الرسالة أمرته (والحق على الرسالة).

وقول الرسول (ص): «يد الله مع الجماعة»، مع الفهم الصحيح لكلمة يد الله ومفهومها اللانهائي الشامل يلقي الأضواء على أهمية ولادة الجماعة.

أما الآية الكريمة: ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾. فإن كلمة مثنى وهي رمز للتجميع تسبق كلمة فرادى بعكس الترتيب الطبيعي.

فلنعلم إذن، **أن عدم التنظيم يخلق بعثرة في الجهود ويفقد التخطيط قوته وفعاليته**، ومن هنا كانت ضرورة الإطاعة العسكرية والتنظيمية.

ولكن المدهش هو القسم الآخر من الآية... ﴿ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنّة﴾ ذلك أن أهداف الرسول المعلنة (كما حدث في غزوة الخندق) عندما قال الرسول (ص) ما معناه: «أرى في الشرارة الصادرة عن كسر الأحجار قصور كسرى وقيصر» وغير المعلنة، كانت تجعل لسان وآراء المنافقين والضعفاء لغير مصلحة الرسول وضد النهضة المحمدية حتى بلغ ذلك درجة اتهامه بالجنون.

فيقول القرآن الكريم: إن القيام الصحيح ـ لله جماعياً ـ أي منظمًا ـ وفرادي ـ أي مع صناعة الفرد لذاته، هو الذي يحقق المعجزات، لذلك سترون أن نبيكم ليس مجنوناً في أهدافه ومطامحه.

وأوضح التعاليم القرآنية في مبدأ التنظيم هو الآية الكريمة ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان﴾ حيث جعل النظام الكوني رؤية أساسية للنظام الحياتي. ويؤكد على وجود النظام الدقيق في الكون، في السماء والأرض، ذلك لكي يحاول الإنسان أن ينظم عمله اليومي وألا يخرج عن الموازين. أما تاريخنا العام، وبخاصة سلوك آل البيت، فإنه يضم نماذج تؤكد وجود التنظيم لديهم[1].

(١) من محاضرة لسماحة الإمام الصدر ـ أمل ورسالة ـ الدرس الثقافي.

البحث السابع

بحث تمهيدي حول

الأسس العامة للأيديولوجية الإسلامية

محتويات البحث:

- تمهيد

أ ـ لماذا الأيديولوجية الإسلامية.
ب ـ الأسس العامة للرسالة الإلهية.

١ ـ تعريف الرسالة الإلهية.
٢ ـ أصول العقيدة الإلهية.
٣ ـ الخط العام في التشريع.
٤ ـ رسالتنا خالدة وشاملة ومتطورة.
٥ ـ الوسطية والإعتدال في رسالتنا.
٦ ـ الشعائر التربوية.
٧ ـ نظامنا الأخلاقي.

٨ ـ الآداب.
٩ ـ المحرمات.
١٠ ـ الأنظمة والقوانين.
١١ ـ الخطوط العريضة لنظامنا الاجتماعي.
١٢ ـ الخطوط العريضة لنظامنا السياسي.
١٣ ـ الخطوط العريضة لنظامنا الإقتصادي والمالي.
١٤ ـ الخطوط العريضة لنظامنا الدفاعي والحربي.
١٥ ـ الخطوط العامة لنظامنا في العقوبات.

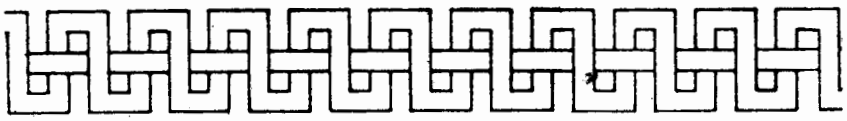

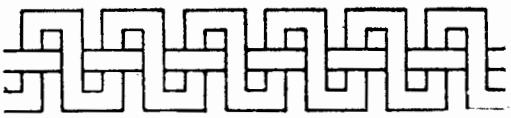

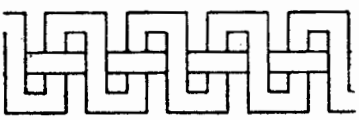

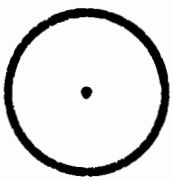

بحث تمهيدي حول الأسس العامة للأيديولوجية الإسلامية

تمهيد:

١ ـ تعاني الإنسانية من مشكلات كبيرة قد استعصى حلها بعد أن شملت مختلف الأصعدة الفردية منها والإجتماعية، ولقد كثرت الإجتهادات والآراء حول إيجاد الحل المناسب للخروج من هذه الأزمات، وأعطت العقول الحل تلو الحل، والنظام أثر النظام، وكانت الديقمراطية الرأسمالية، والإشتراكية والشيوعية، حلولاً مطروحة للمشكلة الإجتماعية. . وكشف التطبيق مساويء كثيرة تؤكد على فشل هذه الأنظمة الوضعية، باعتبار أنها لم تكن نتيجة بحث موضوعي في صلب المشكلة، بل كان النظام اللاحق هو مجرّدردّ فعل للنظام السّابق.

٢ ـ وأمام هذه التيارات من القلق العالمي، انبثقت كنتيجة طبيعية لحاجة الجماهير، حركة أمل وتبنّت الأيديولوجية الإسلامية الإلهية كحل واقعي للمشكلة الإجتماعية، وقد ركزت الحركة في ميثاقها على أساسين رئيسين: الإيمان الحقيقي بالله والإنسان، والإلتزام بالتراث باعتباره التجربة الرائدة التي حررت الإنسان وصنعت المجتمع المؤمن العادل.

أ ـ لماذا الأيديولوجية الإسلامية:

١ ـ إن كل إنسان يبحث عن العقيدة والنظام الأفضل الذي يحقق إنسانيته ويؤمن العدالة الإجتماعية ويصلح البشرية، ويصلح لها، مغيراً لمفاسد الواقع الإجتماعي، متطوراً مع المجتمع، ضامناً للمصلحة العامة والخاصة معاً موازياً بينهما، محارباً للظلم والطغيان، ملغياً للفوارق غير العادلة بين الناس، ومع اتساع الطموح تزداد الثورية في الأيديولوجية.

٢ ـ وواضح أن العقائد متعددة والأنظمة شتى فلنبحث عن المصدر الصالح لإعطاء المنهج الصالح من بعد اختيارنا للهدف الصالح.

٣ ـ والإنسان بطبيعته غير قادر على وضع النظام الصالح للبشر لأسباب كثيرة:

أولاً: الإنسان عاجز عن المعرفة الدقيقة لخصائص الطبيعة البشرية والحياة الإجتماعية بكل محتوياتها.

ثانياً: إن عقل الإنسان يتأثر بالغرائز والدوافع والعادات والوراثة والبيئة والتقاليد، وبالروح العامة للعصر الذي يعيش فيه، أي بالمفاهيم الغالبة والسائدة.

ثالثاً: الإنسان يتفاعل مع مؤثرات العمر من شباب وهرم، فالشاب يميل إلى التغيير والعنف، والهرم يميل إلى السكون والرضا بالوضع القائم.

رابعاً: أن عقل الإنسان لتفاعله مع مؤثرات الثقافة، قد يعتاد على طرق للتفكير تمنعه عن إدراك الحقيقة الكاملة.

خامساً: إن النظام الموضوع من قبل إنسان يكرس من دون شك، المصالح الخاصة أو الفئوية أو الطائفية أو العنصرية أو الإقليمية وذلك لأن الناس يعيشون التناقض المصلحي، لتحكم التجمع،

حب الذات في كيانهم سواء جنح الإنسان إلى مصلحة الأقلية أو الأكثرية مع تجاهل مصالح الآخرين.

فلا بد إذن من نظام يوفق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، ويجعل الدافع الذاتي في خدمة الجماعة..، والنظام الإلهي وحده قادراً على إعطاء الحل لهذا التناقض، لأنه من خارج التناقض الاجتماعي.. وقد ورد: «ليس بين الله وبين أحد قرابة».

- إن المنهاج الإلهى هو الإطار الذي يصوغ الحياة صياغة جديدة عن طريق العقيدة المعنوية، وتصويره للحياة على أساس أنها مقدمة لحياة أخروية، كما جاء في الحديث الشريف: «الدنيا مزرعة الآخرة» وبهذا يعوّض المؤمن، عما تخلى عنه في حياته من لذائذ، وجاه، ومال، في سبيل المصلحة العامة، بلذائذ أخروية دائمة وبهذا تتحول عقيدة الآخرة من صورة جامدة يتلهى بها خيال البسطاء، إلى عقيدة فاعلة تغير النفوس وتغير المجتمع، فالفطرة البشرية تحوي المشكلة أي مشكلة التناقض بين الدافع الذاتي والمصلحة العامة والفطرة الإنسانية نفسها تضمن العلاج لهذا التناقض، قال تعالى: ﴿وأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾.

- إذن لا بد للتنظيم الإجتماعي ان يوضع في اطار التوحيد وليس الشرك، باعتباره نتاج لمشكلة التناقض المذكورة[1]. من هذا المنطلق تبنت حركتنا الأيديولوجية الإلهية، بعد أن فشلت مختلف الأنظمة الوضعية من رأسمالية وإشتراكية وشيوعية، لعدم ملاءمتها للطبيعة البشرية، ولم يبق في الميدان إلا رسالة الله الكاملة الشاملة، الخالدة، المؤهلة لأن تحرك قوى الإبداع في النفوس وأن تبني المجتمع الثوري الحقيقي.

---

(١) راجع مقدمة كتاب فلسفتنا، للشهيد الإمام محمد باقر الصدر.

ب ـ الأسس العامة للرسالة الإلهية:

١ ـ تعريف الرسالة الإلهية:

ـ رسالة الله منهج حياة واقعية يشتمل على عقيدة معنوية إلهية ينبثق عنها نظام كامل للإنسانية.

ـ العقيدة تدرس الإنسان والكون والحياة وتحدد حقيقة الوجود الكوني، ومركز الإنسان في الوجود وغاية وجوده.

ـ والنظام الإلهي يضم التنظيمات الواقعية، المنبثقة عن العقيدة، كالنظام الأخلاقي والشعائر التربوية وغير ذلك، والنظام الإلهي ليس خاصاً فئة من الناس أو جيل من الأجيال أو شعب من الشعوب بل هو حقيقة كونية، توجد الإنسجام بين الإنسان من جهة، باعتباره جزءاً من الكون، وبين القوانين الكونية العامة من جهة أخرى ويحصل التوافق التام بين طبيعة الإنسان وطبيعة الوجود الكوني.

٢ ـ أصول العقيدة الإلهية:

أ ـ ترتكز عقيدتنا على أصول خمسة: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد.

ب ـ والمحور الذي تدور حوله رسالتنا هو التوحيد باعتباره الركيزة الأساسية في بناء الأيديولوجية والنظام، وله انعكاسات عملية تؤثر في مسيرة الحياة أشد التأثير.

جـ ـ وماهية التوحيد هي أن نوحِّد الله في ذاته وفي صفاته ونحصر العبادة والطاعة فيه، أي أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرَّع.

د ـ قال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[1] فمن أطاع غير الله فيما لا يرضي الله فقد عبده

(١) المائدة آية ٥٠.

وجعل لله شريكاً من حيث يدري أو لا يدري.

هـ ـ إن عبادة الله وتوحيده مقرونة دائمًا بالكفر بالطاغوت، والتحاكم إلى الطاغوت منهيّ عنه لأنه عبادة له والطاغوت هو كل قيادة طغت على الإنسان وأصبحت قدس الأقداس تطاع دون حساب والكفر بالطاغوت، هو التمرد على كل سلطة غير سلطة الله وسيادة شريعته[٢].

و ـ إن عقيدة التوحيد تحرر الإنسان المؤمن من عبودية الذات، وعبودية المادة، وهي من أساسها قائمة على حكم العقل الذي حكمته الرسالة في قضية الألوهية، قال تعالى: ﴿من يدع مع الله إله آخر لا برهان له به﴾[٣].

ز ـ والإيمان بوحدانية الله، يستدعي الإيمان بوحدة الأديان، وان عدم تطابقها لا يعني التناقض بينها، بل يعني التكامل، والتفسير الذي تؤكد عليه كتب السماء، هو أن كل دين يكمّل الذي سبقه حسب تطور المجتمعات ودرجة رقيّها، والتوحيد ينعكس على رؤيتنا للكون والموجودات دون أن نقدس شيئاً منها.

٣ ـ الخط العام في التشريع:

أ ـ اعترف المنهاج الإلهي بحق الفرد وحق الجماعة ووازن بينهما وإذا تعذر التوفيق قدم المصلحة العامة على الخاصة مع التعويض على الفرد.

ب ـ أما النظام الرأسمالي فالمحور عنده الفرد، وفي الإشتراكية والشيوعية المحور هو المجتمع وفي هذا وذاك إخلال بالتوازن بين الحياتين الفردية والإجتماعية.

---

(٢) راجع القيادة في الفلسفة والتشريع.

(٣) المؤمنون ١١٧.

٤ ـ رسالتنا خالدة وشاملة ومتطورة:[٤]

أ ـ لقد تناولت الرسالة الإسلامية الإنسانية من جميع جوانبها، الجسد والروح، والفرد والمجتمع، وهي تعني التطور البشري العام وترفض التغيرات الرجعية.

ب ـ ورسالتنا لا تحتاج إلى قطع غيار تؤخذ من الشرق أو الغرب بل هي خالدة في مبادئها العامة وأحكامها الإلهية ومتطورة في أحكامها التفصيلية والقواعد الشرعية لكل ما يجدّ ويحدث.

جـ ـ والإجتهاد هو الوسيلة لاستنباط القوانين الجزئية من القواعد العامة، بحيث يطبع كل جديد مناسب بطابع الرسالة.

٥ ـ الوسطية والإعتدال في رسالتنا:

أ ـ إن رسالتنا تعتمد على أساس مزدوج يجمع بين المادة والروح في وحدة تكاملية هادفة، قال تعالى: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾[٥] ولهذا فإننا ننكر المادية الصرف والروحية السلبية الداعية إلى الإنزواء والرهبنة والإستسلام بل لا بد من العمل للدنيا والآخرة في آن معاً والهدف الأعلى هو تحصيل رضا الله تعالى.

ب ـ ولا فصل عندنا بين الدين والحياة، وبين الدين والدولة، بل أن الدنيا يجب أن تساس بالدين، والسياسة بلا دين خداع وانحراف، والدين بلا سياسة، طقوس فارغة، والسياسة الحقة تحرس الدين، والدين هو السياسة، والسياسة هي الدين، قال تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾.

(٤) رسالتنا، مجلة أضواء.
(٥) القصص آية ٧٧.

٦ ـ الشعائر التربوية:

أ ـ غايتها أن تقرب الإنسان من ربه تقرباً معنوياً، وربطه بمصدر الحق والخير والجمال والكمال، فينعكس هذا على سلوكه الاجتماعي، بأن يطبق ما كسبه من صفات الله، ويتحرر من أضدادها.

ب ـ (ممارسة الشعائر التي هي برامج تربوية يومية أو شهرية أو سنوية تثويرية: الصلاة، ضبط للوقت وتربية للإرادة، والصوم، ضبط لشهوة الطعام والجنس، والخمس والزكاة، ضبط لشهوة المال وتحقيق للعدالة، والحج تضحية وطهارة وتعاون، والجهاد، تحرير للأمم من ظلم الأنظمة والحكام، والإعتكاف إرادة وصمود ورياضة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، رقابة اجتماعية، والتولي لأولياء الله، والتبرؤ من أعداء الله، فرز للأشرار وإصلاح للمجتمع.)

٧ ـ نظامنا الأخلاقي:

وهو الفضائل التي ندب إليها المنهاج الإلهي، أما وجوباً أو إستحباباً مثل: الصدق والأمانة والشجاعة والمرؤة والنشاط، ونفّر من الرذائل المقابلة، حرمة أو كراهة، مثل: الخيانة والجبن والخمول والإفساد والغيبة والسرقة والكذب والقذف والأنانية والغرور.

٨ ـ الآداب:

آداب النوم واليقظة والزواج والمجلس والسفر والحمام والضيافة...

٩ ـ المحرمات:

وهي الأعمال التي منعها النظام الإلهي، مثل شرب الخمرة

والبيرة، وأكل لحم الخنزير ولعب القمار والزنا. . .

١٠ ـ الأنظمة والقوانين:

وهي الأحكام التي تقنّن الحياة، من قبل ولادة الإنسان إلى ما بعد الوفاة، وتنظم المجتمع وتبين الشخصيات وتتقدّم بالحياة إلى الوضع الأفضل مثل أحكام البيع والاجارة والسياسة والاقتصاد والجيش والدولة والزراعة والعمارة والرهن والإقامة والسفر والأمن والقضاء والأرث.[1]

١١ ـ الخطوط العريضة لنظامنا الإجتماعي:

يقوم النظام الإجتماعي على مبادىء أساسية هذا بعضها:

ـ **المبدأ الأول: المساواة التامة بين البشر**: المساواة بين الأفراد والجماعات والأجناس والشعوب والحكام والمحكومين في الحقوق والواجبات.

ـ **المبدأ الثاني: العدالة المطلقة**: عدالة مبدئنا تتسع للصديق والعدو والقريب والبعيد والشريف والوضيع وتعتبر الضعيف قوياً حتى يرد إليه الحق، والقوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه الحق.

ـ **المبدأ الثالث: الحرية المسؤولة**: حرية الاعتقاد وحرية الفكر وحرية القول وحرية العمل. . .

ـ **المبدأ الرابع: الأخوة والإتحاد**: إن أفراد المجتمع المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. (إنما المؤمنون أخوة).

(١) استفدنا هنا من كتيب للسيد محمد الحسيني.

- **المبدأ الخامس: التعاون:** «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».

- **المبدأ السادس: خدمة الناس عبادة لله:** الدين ينظم للإنسان الأبعاد الثلاثة: البعد الفوقي (السماوي)، والبعد الداخلي والبعد الخارجي. وهذه الأبعاد والعلاقات متداخلة، متفاعلة، موجهة بالعلاقة مع الله وأن طاعته فيما يخصها عبادة له، وهي تعني الإرتباط بالله الكامل والمطلق، رصيد التقدم وبهذا يصبح كل عمل مفيد في مختلف الحقول عبادة لله.

- **المبدأ السابع: لا طائفية ولا فئوية ولا عنصرية بل أمة واحدة موحدة:** (ليس منا من دعا إلى عصبية - لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

- **المبدأ الثامن: التقوى مقياس التفاضل:** (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

- **المبدأ التاسع: المساواة بين الرجل والمرأة على أساس الطبيعة البشرية:**

- المساواة بين الرجل والمرأة في النشأة والأصل (إنما النساء شقائق الرجال)، وميدان المرأة الأساسي حسب إرادتها، ونظامنا يفضل لها البيت مصنع الأجيال، ويمنحها حق المشاركة في الميادين الأخرى ويتقاسم الزوجان مسؤوليات الحياة المشتركة بينهما، ونظامنا يفضل للرجال الأعمال الخارجية.

- والمرأة تعفى من خشونة الحرب والجهاد إلا في حالات الضرورة ولها أن تقوم بواجب الرقابة الإجتماعية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ولها أيضاً حق العمل وتختص بالنتاج.

- ليس على المرأة العمل والخدمة في المنزل ومن حقها أن تتقاضى أجراً على ذلك إن شاءت.

- وللذكر في الميراث مثل حظ الأنثين وذلك تعويضاً للرجل حيث أنه يجب الإنفاق الزوجي عليه والمهر وبذلك تتم العدالة في توزيع الثروة.

- **المبدأ العاشر: محاربة الميوعة والخلاعة والإنحطاط الخلقي:** يركز الإستعمار على عرض الأفلام الجنسية الساقطة، وفتح حانات الخمور ودور الرقص، هدفه من ذلك إلهاء الشعب عن قضاياه الحياتية، وإبعاده عن استقامته لتمرير سياسته الإستعمارية القاضية باستعباد الشعوب واستغلالها.

- **المبدأ الحادي عشر: محاربة الظالمين وعدم معاونتهم:** (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار).

١٢ - الخطوط العريضة لنظامنا السياسي: (١)

يقوم النظام السّياسي الإسلامي على مبادىء أهمها:

المبدأ الأول) وطننا هو كل أرض يسكنها المؤمنون في العالم.

أ - المواطن هو كل إنسان يسكن في الوطن الذي تطبق دولته النظام الإلهي في الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية...

ب - والصفة الإيمانية للدولة لا تنبع من اعتناق الأشخاص الحاكمين أو المحكومين لدين الله بل من إلتزام المؤسسة الحاكمة والعلاقات القانونية.

جـ - هذا في الإطار البعيد، أما في المرحلة الحاضرة فالتزامنا بلبنان والعروبة أمر محتوم من أجل وجود الصهيونية كدولة ومن أجل انحراف الحكام المسلمين.

(١) راجع مجلة أضواء.

(٢) لقد كتب هذا البحث، منذ سنوات، وعرض آنذاك على سماحة الإمام الصدر، فأضاف هذه العبارات التي بين قوسين.

المبدأ الثاني: دولتنا دولة فكرية عقائدية: إن الوحدة الفكرية هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسية المتمثلة في الدولة التي تحمل رسالة حدودها العالم، ومداها الإنسانية.

ـ إن دولتنا ليست دولة إقليمية أو قومية عاطفية بل دولة فكرية إنسانية مؤمنة تحكم بنظام الله وليست دولة كافرة تطبق النظم البشرية الجاهلية. وقد جاء في الحديث الشريف: (الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية).

المبدأ الثالث: قواعد الحكم هي: الحرية والعدالة والمساواة والشورى:

ـ الحرية:

أ ـ **الحرية الدينية**: يحق لكل إنسان أن يتدين بأي دين شاء، وله أن يقيم شعائر دينه، والدولة تحافظ على المعابد وعلى الكنائس وبيوت العبادة. جاء في الحديث: (من ظلم معاهداً ـ مسيحياً أو يهودياً أو مجوسياً ـ أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة).

ب ـ **الحرية السياسية**: يحق لكل فرد أن يصل إلى أي منصب سياسي شرط الكفاءة والعدالة، وله الحق في النقد وحريته مقيدة بأحكام النظام الإلهي. ويجب عليه أن يرفض طاعة الحاكم إذا أمره بغير ما يرضي الله (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

ـ الشورى: أن شكل الحكم في النظام الإلهي على نوعين: شكل إلهي تعييني، وشكل شوري

الشكل الآلهي: هو تعيين الله للأنبياء والأئمة حكاماً بنص إلهي.

الشكل الشوري: هو اختيار الأمة لحكامها حسب قواعد الشريعة الإلهية.

١٣ ـ الخطوط العريضة لنظامنا الإقتصادي والمالي: يستند هذا النظام على المبادىء الآتية:

الأول: نظامنا في خدمة الشعب وعدو المحتكرين والمترفين: إن جماهير الشعب هي عماد الوطن وجنوده وحاملة الفكرة التوحيدية إلى العالم، ومن هنا فإن نظامنا نظام متحيز ولكن إلى الجماهير الشعبية لأن غضب الأرستقراطيين والمستغلين لا يؤثر شيئاً بجانب غضب الشعب. (٥)

الثاني: نظامنا يحقق العدالة الإجتماعية وتكافؤ الفرص ويمنع الإستغلال والإحتكار.

ـ إن توزيع الثروة يتم بشكل عادل، وفق مبدئي العمل والحاجة في سبيل تحقيق العدالة: قال تعالى: (لكي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم).

ـ إن العدالة الإجتماعية ترتكز على أساسين:

الأول: التكافل الإجتماعي (ما آمن بين من بات شبعان وجاره جائع)،

والثاني: التوازن الإجتماعي وهو ينطلق من حقيقتين:

١ ـ الاختلاف في الكفاءات بين الناس، ٢ ـ وقاعدة العمل أساس الملكية.

ـ الدولة تؤمن تكافؤ الفرص بين المواطنين: فرص التعلم والعمل، وهي مسؤولة أيضاً عن تسديد ديون الفقراء من الزكاة وإعانة أبناء السبيل.

---

(٥) راجع عهد الأشتر ـ سلسلة التوجيه الثقافي الديني ـ سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

ـ ومن واجبها أن تمنع الإحتكار وتراقب الموازين وتحدد أسعار السلع.

الثالث: الملكة ثلاثة أنواع: خاصة وعامة وللدولة:

١ ـ الملكية الخاصة هي نتيجة للعمل والأرث والهبة.

٢ ـ وهي كل أرض فتحت بالجهاد، وهي عامرة بجهد بشري، تعتبر ملكاً عاماً، يستأجرها المزارع بموجب عقد تنتهي علاقته بمجرد انتهاء المدة.

٣ ـ ملكية الدولة: تشمل موات الأرض (أرص الصلح) والأراضي المسلّمة للدولة، والتي باد أهلها والأراضي المستجدة والأراضي الموات.

الرابع: الملكية وظيفة اجتماعية وإستخلاف من قبل الله: فليست الملكية استثمار كما هو مفهوم النظام الرأسمالي بل هي أداة: قال تعالى: ﴿ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾.

الخامس: واردات الدولة هي: الزكاة والخمس والخراج والغنيمة والفيء والعشور والجزية والأوقاف.

ـ الزكاة: الزكاة واجبة في ثلاث: في الأنعام (المعز والضأن والابل والبقر) وفي النقدين الذهب والفضة، وفي الغلات الأربع (الحنطة والشعير والتمر والزبيب).

ـ الخراج: يفرض الخراج على: الأرض التي صولح عليها المشركون والأرض التي فتحت بالجهاد.

ـ الجزية: هي ضريبة تهدف إلى إيجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ، فالمؤمنون، والذميون، رعية لدولة واحدة، والجزية على أهل الكتاب مقابل الزكاة على المؤمنين، وفي الزكاة معنى تعبدي أما في الجزية معنى قانوني دولي ضرائبي والجزية تؤخذ من ثلاثة أصناف: الأغنياء والمتوسطون والفقراء المكتسبين، ويعفى منها المسكين والمجنون

والمريض والراهب والمرأة والصبي.

ـ الغنيمة: وهو المال الذي يظفر به المؤمنون من أموال الكفار على وجه الغلبة.

ـ الفيء: وهو المال الذي أصابه المقاتلون عفواً من دون قتال.

ـ العشور: وهي ضرائب جمركية تؤخذ على بضائع التجار الكافرين.

ـ الأوقاف وهي قسمان الوقف العام: يقصد فيه الخير العام، والوقف الخاص كالوقف على الذرية[1].

١٤ ـ الخطوط العامة لنظامنا الدفاعي والحربي:

أولاً: الأصل منع الحرب وحقن الدماء إلا بالحق. ومن هنا كان الجهاد قانوناً أساسياً في النظرية الحضارية لنظامنا الإلهي.

ثانياً: الجهاد هُو تنفيذ للقانون الاجتماعي الذي يكرس حرية الإختيار التي هي إرادة الله في العالم من أجل أن يتحمل الإنسان مسؤولية اختياره.

ثالثاً: الحرب الجهادية تستتبع تقسيم الأرض إلى ثلاث أنواع من الدول:

دار (دولة) الإسلام أو(العدل): وهي التي تطبق النظام الإلهي ويسكنها المسلمون والكتابيون والمستأمنون.

دار الحرب: وهي الدول الأجنبية التي لا يسود فيها أحكام الدين ويسمى رعاياها بالحربيين.

ـ دار العهد: وهي الدولة التي عقد أهلها صلحاً مع المؤمنين على خراج يؤدونه عن أرضهم.

رابعاً: الحياد: أن معاهدات الحياد مشروعة، وكذلك الصلح

---

(١) يراجع كتاب النظم الإسلامية للدكتور الصالح.

إذا كان طريقاً «للوقوف موقف الحياد.

خامساً: «إحترام المعاهدات والمواثيق: قال تعالى: (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً).

سادساً: حربنا الجهادية حرب إنسانية: وهي أما للدفاع كما في بداية الإسلام أو حرب من أجل المستضعفين كما ينص القرآن في حرب تحرير مكة، ولسنا مسؤولين عن الحروب التي حصلت بعد الرسول (ص)[1].

الخطوط العامة لنظامنا في العقوبات:

أولاً: المساواة في العقوبة بين الناس، فلا وساطة ولا شفاعة في حدود الله.

ثانياً: الإتقان في ثبوت الجناية.

ثالثاً: مراعاة المعاقب في حال البرد والحر وتخفيفها عن المريض.

رابعاً: لا عقوبة في أرض العدو ولا عقوبة على تائب عن جرمه.

خامساً: الحدود تدرأ بالشبهات.

سادساً: عقوبة السجن نادرة في نظامنا.

سابعاً: العقوبات تقسم إلى نوعين:

الأول: الحدود: وهي العقوبة المنصوص عليها في مصادر الشريعة:

- عقوبة المحافظة على النوع الإنساني: جلد الزاني والزانية ١٠٠ جلدة مثلاً، إذا كانا غير متزوجين (محصنين)...
- عقوبة المحافظة على العقل الإنساني: جلد شارب الخمر ٨٠ جلدة.

---

(١) لمزيد من التوسع راجع: الجهاد ثورتنا المستمرة ـ النظام السياسي في الإسلام.

ـ عقوبة المحافظة على كرامة الإنسان: قتل وصلب قطاع الطرق وقتال الشاقين لعصا الطاعة دون سبب مشروع.
ـ عقوبة المحافظة على أموال الناس: قطع أصابع يد السارق طمعاً وفساداً.

الثاني: التعزير: وهي العقوبة التي يقررها الحاكم الشرعي بمقدار إصلاح حال الجاني[1].

تلك هي أيديولوجيتنا، وذلك هو نظامنا بشكل موجه. رسالة تغييرية ثورية، لا تدين بالواقع الفاسد، الذي تعيشه الأمة لأنها تبني عملها لتغييره تغييراً جذرياً، باعتبار أنها رسالة فكرية إلهية، تبشر بنظام ثوري رائد، يهدف إلى إنشاء الشخصية الإنسانية إنشاء جديداً، وبالتالي إنشاء الحياة وفق قواعدها، سواء في النظرة العامة للكون والحياة أو في طريقة التفكير أو في النظام الإجتماعي.

وتتوالى بشائر تشير إلى قرب عودة النظام الإلهي لقيادة الحياة، بعد أن تعب الناس من التفرقة الطائفية والطبقية والعنصرية ومن تجربة المبادىء والنظم البشرية.. فلنوحد الصف المؤمن لبناء المجتمع الواحد الموحد تحت لواء رسالة السماء..

(١) راجع العقوبات في الإسلام.

البحث الثامن

الأساس الأول
الإيمان بالله والإيمان بالإنسان

محتويات البحث

تمهيد

أ ـ الله بين العقل والعلم

١ ـ إن الإيمان بالله سببه الخوف والجهل.

٢ ـ إن الإيمان بالله سببه التناقضات الطبقية.

٣ ـ إن الإيمان بالله نزعة فطرية عند الإنسان.

* دور العلم ومجالاته.

* دور العقل ومجالاته.

ب ـ مرتكزت الإيمان بالله.

جـ ـ مصطلحات فلسفية.

د ـ الأدلة على وجود الله.

هـ ـ كلمات حول وجود الله تعالى.

و ـ مصدر الكون والنظام الكوني:

١ ـ الكون والصدفة.

٢ ـ النظام الكوني والطبيعة.

٣ ـ نظرية التطور (النشوء والارتقاء لداروِن):

٤ ـ نظرية التولد الذاتي.

ز ـ نعرف الله من خلال آثاره في الكون والحياة.

حـ ـ سؤال ساذج لا بدّ من الإجابة عليه: من خلق الله؟

ط ـ الأسباب الطبيعة ووجود الله.

ي ـ وحدانية الله.

ك ـ الكمال الإلهي «ولله الأسماء الحسنى».

ل ـ العدل الإلهي

م ـ الانعكاسات العملية للإيمان بالله الواحد.

ن ـ المفهوم التجريدي للإيمان بالله.

س ـ الإيمان بمعناه الحقيقي.

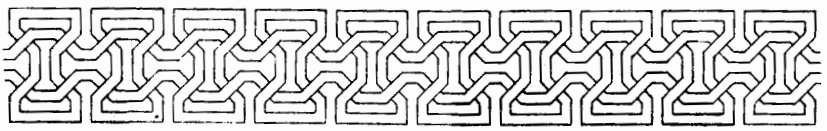

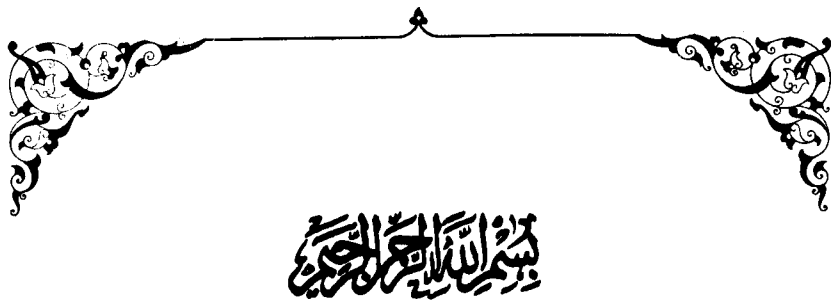

«إن هذه الحركة تنطلق من الإيمان بالله بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي فهو الأساس لجميع نشاطاتنا الحياتية ولعلاقاتنا الإنسانية، فهو الذي يجدد باستمرار ثقتنا وعزيمتنا ويزيد من طموحنا ويصون بدقة سلوكنا.

وتعتمد هذه الحركة على الإيمان بالإنسان، بحريته، بكرامته، بعظمته، وبرسالته في حياته التي هي الهدف من خلقه.

والحقيقة أن الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله، بعد لا يمكن فصله والينابيع الدينية الأصيلة تؤكد ذلك باصرار».

«الأساس الأول من
ميثاق حركة أمل»

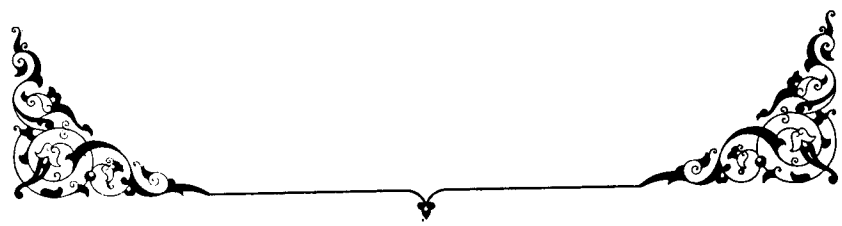

الإيمان بالله
و
الإيمان بالإنسان

إن القاعدة الفكرية التي يقوم عليها «فكرنا الحركي» انطلاقاً من الأساس الأول لميثاق حركة أمل هي التالية:

١ ـ الإيمان بالله بمعناه الحقيقي وبوحدانيته، وحاكميته، وكماله وعدله في التكوين والتشريع ويتفرع عن كل هذا:

٢ ـ الإيمان بالنبوة ودورها في تلقي الوحي، وتبليغه وصناعة الإنسان والمجتمع المتقدم.

٣ ـ الإيمان بالامامة والقيادة الإسلامية المستمرة.

٤ ـ الإيمان باليوم الآخر «المعاد» ودوره في بناء الحياة الإجتماعية المستقرة والهادفة.

٥ ـ الإيمان بالإنسان:

ـ وجوده

ـ حريته

ـ كرامته

ـ عظمته

رسالته في الحياة.

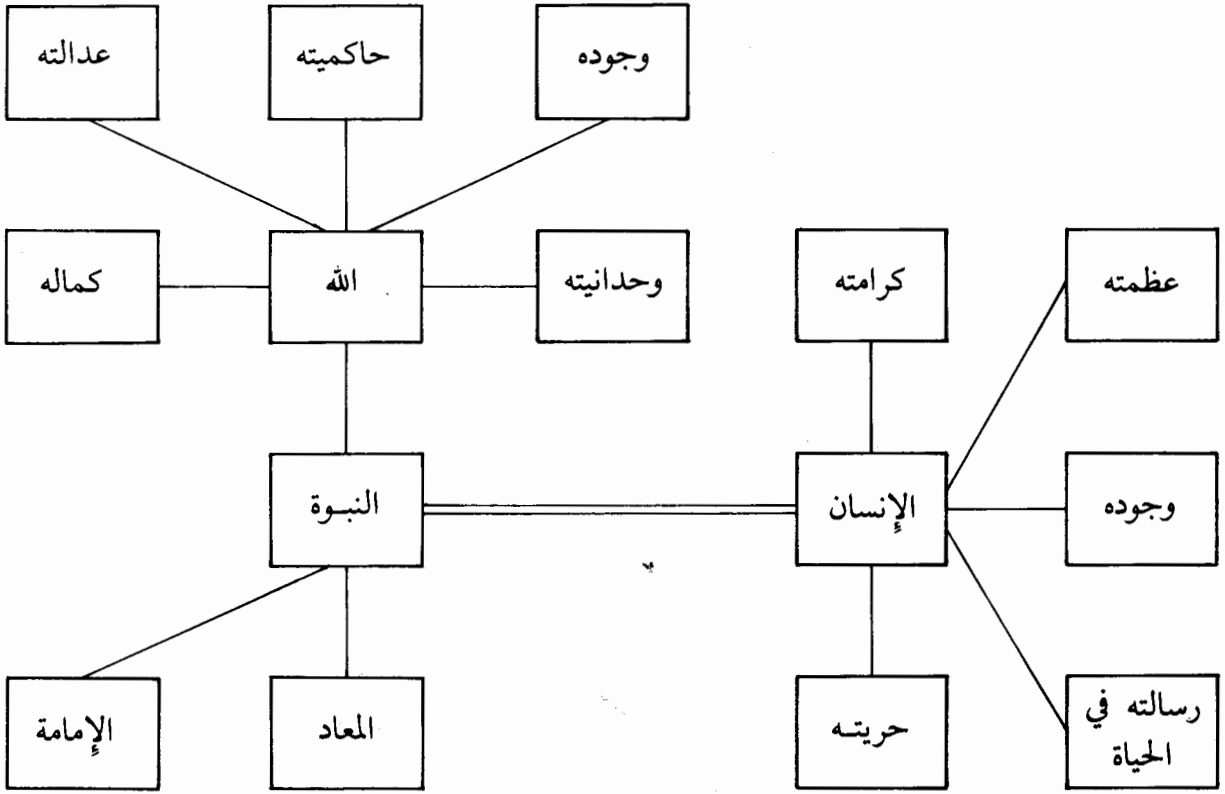
عدالته
حاكميته
وجوده
كماله
الله
وحدانيته
كرامته
عظمته
النبـوة
الإنسان
وجوده
الإمامة
المعاد
حريتـه
رسالته في الحياة

الإيمان بالله بمعناه الحقيقي لا بمهفومه التجريدي

تمهيد:

يعتبر الكثيرون من الناس، وخصوصاً أولئك الذين تأثروا بمفاهيم الحضارة الغربية، أن الحديث عن الله أمر لا نفع منه، لأنه مضيعة للوقت، وسبب لنشوء الصراعات بين المتدينين وغيرالمتدينين، وأن الله سواء كان موجوداً أم غير موجود فإن ذلك لا يؤثر على حياة الناس، لا من قريب ولا من بعيد، فلما نشغل بالنا في التفكير بوجود الله ونقاتل غيرنا من أجل ذلك؟

ولما لا ننصرف إلى الأمور المهمة في حياتنا، والتي تخدم المجتمع، وتتقدم به خطوات، في المجالات الإجتماعية والسياسية والعلمية؟

ولما لا ندع هذا الأمر، من شأن الأفراد، فمن أراد أن يكون مؤمناً بالله فله ذلك، ومن أراد أن يكون ملحداً فله ذلك؟.

تلك بعض أقوال أولئك الذين يعيشون على فتات أفكار الحضارة الغربية التي تعمل، بكل قوة ونشاط، لغرس مفهوم اللامبالاة تجاه الدين، واعتبار دوره دوراً هامشياً، لا يؤثر في صلب حياتنا الخاصة، وحياتنا العامة، بحيث أن دوره لا يتعدى تأدية عبادات

فارغة، حولت إلى طقوس، لا قيمة لها في عالم البناء الداخلي للشخصية المسلمة الواعية.

وقبل أن ننتقل للبحث في قضية التوحيد والإيمان ينبغي أن نضع أمام أعيننا أمرين أثنين:

الأول: من البديهي أنه لا مفر ولا محيص، أمام الإنسان من الإعتقاد بعيقدة، لأن العقيدة، هي كل ما عقدت عليه قلبك، والتزم به عقلك، وصدّق، وانفعل به وجدانك، وكل إنسان يعيش ضمن بيئة إنسانية معينة، وهو يتمتع بالإدراك والشعور، فإنه لا محالة معتقد بعقيدة، وإن لم تكن هذه العقيدة مرتكزة على ركائز فلسفية، وذات صفات شمولية، قادرة على تحديد النظرة إلى بداية وغاية ونهاية الكون والموجودات، الحية وغير الحية، وحتى الذي يزعم بأنه غير معتقد بعقيدة من العقائد، فهو يعتقد بأنه لا يعتقد، وقد يبدو من المستحيل أن يخلو عقل إنسان من نظرة تجاه الكون والإنسان والحياة، نظرة ساذجة أو عميقة صحيحة أو خاطئة.

الثاني: ليست قضية الإيمان بالله تعالى قضية تجريدية، لا علاقة لها بالحياة الإنسانية مع أن المفهوم الغربي للإيمان، والدين، يعتبرها كذلك، ويحصر العلاقة بين الخالق والمخلوق بطريقة تجعل الإيمان بالله بلا فعل ولا تأثير، ولا يخرج عن حدود سر الإنسان وأعماق نفسه.

وإذا كان الله هو الخالق للكون والحياة والموجودات، تترتب على ذلك أن يكون أدرى بما يصلح شؤونها، وماينفعها، لتأمين استمرارها وبقائها وتأدية وظائفها، وقدرته تعالى على خلقها وعلمه باحتياجها، وحكمته، تنعكس تدبيراً لشؤون المخلوقات والموجودات. والله هو المربي والمدبر، أي العالم بالإحتياجات والمؤمِّن لها، والراسم للخرائط الكفيلة بتحصيل سعادة الانسان الفردية والإجتماعية.

ولما كانت الحياة الدنيا، غير قادرة بطبيعتها، على أن تكون المكان الملائم للوصول إلى السعادة الكاملة، على أساس أنها دار ابتلاء واختبار للعقلاء المكلفين، لا دار استقراء وبقاء، وهذا يؤدي إلى ضرورة وجود عالم آخر يحوي وجهين من وجوه الحياة:

نعيم في الجنة أو شقاء في النار.

وإذا كان الله غير موجود (كما يزعم الملحدون)، فإن الحياة تصبح بدون غاية، وتتحول كل النشاطات والأعمال والإنجازات الإجتماعية والعلمية والحضارية بشكل عام، إلى عبث، يقتل الطموح في النفس، ويدعو إلى اليأس والتقوقع على الذات أو إلى الإنحلال الإجتماعي والجشع والفساد..

نستنتج أن قضية الإيمان بالله الواحد، قضية مصيرية بالنسبة للإنسانية، وللإنسان، وان اتخاذ موقف اللامبالاة وعدم الإهتمام تجاهها له نتائج خطيرة على جميع المستويات.

أ ـ الله بين العقل والعلم:

إن مسألة الإيمان بالله، مسألة تمتد في أعماق الزمن، حتى أنها رافقت الإنسانية، في جميع مراحل وجودها، وهي أكبر قضية عاشها الإنسان، واستأثرت باهتمامه على مدى التاريخ، وان أخذت أشكالاً مختلفة خلال مسيرة البشرية، وطرأت عليها ألوان متباينة من الإنحراف عن التوحيد.

ولقد نشأت عدة نظريات تفسر أو تحاول أن تفسر مسألة الإيمان بالله ومنها:

١ ـ ان الإيمان بالله سببه الخوف والجهل:

إن الخوف من الكوارث الطبيعية، والذهول أمام العواصف

العاتية والبرق اللامع، والرعد القاصف والظلام المطبق، جعل الإنسان البدائي لا يعرف تعليلاً لهذه الظواهر، فنسب كل ذلك إلى آلهة ذات اختصاصات مختلفة، فبعضها للخير والبعض الآخر للشر، حتى وصل الأمر بالبشرية إلى فكرة التوحيد، وهي مرتبة عالية، في مراحل تطور الفكر البشري، والآن قد غدت فكرة التوحيد ـ في نظر هؤلاء ـ غير ذات قيمة حقيقية، لأنها أدت دورها المطلوب، وأتى دور العلم ليكون هو البديل لجميع الطروحات الدينية، الوثنية منها والتوحيدية.

النقد:

وهنا لا بد من الإلتفات لقضية مهمة في هذا المضمار، وهي أن الخوف والجهل نوع من النقص ولا يعرف الناقص إلا بوجود الكامل، ولولا وجود هذا الكامل، لما استطاع الإنسان أن يحدد الناقص، فالكوارث والفيضانات والزلازل، قوتها أكبر وأكمل من قوة الإنسان، وهناك قوى في الكون أعظم من قوى هذه الكوارث، ونتسلسل لنصل إلى القوة الكاملة التي نطلق عليها مصطلح القوة المطلقة التي هي قوة الله.

ثم أن الخوف والجهل، إذا كانا السبب في إيجاد فكرة الآله في أذهان الناس، فإن المنطق يقضي أن الضعفاء الجهلاء هم أكثر الناس قرباً من الدين والإيمان بالله، مع أننا نجد العكس تماماً وهو أن الإيمان بالله يمنح المؤمن القدرة والثبات، وينطلق به في رحاب الكون ليتجاوز بتفكيره الأسباب القريبة، ويربطها جميعها بالسبب الأول، خاضعاً في ذلك لمنهج علمي أو عقلي، يحرره من الجهل وقصر النظر.

٢ ـ إن الإيمان بالله سببه التناقضات الطبقية:

ترى الماركسية في تحليلاتها، ونظراتها الفلسفية، أن الإستغلال الطبقي هو الذي أفرز مقولة الإيمان بالله، إذ أن الإنسان المستغل لم

يجد أمامه من سبيل للتنفيس عمّا يلاقيه من ظلم واضطهاد وقهر، سوى الإلتجاء إلى القوى الغيبية، التي أطلق عليها أسماء مختلفة، ومنها الآله الواحد. . ولكن تحقيق المجتمع الشيوعي كفيل بإزالة هذه الأفكار من عقول الناس، لأنه يلغي ـ حسب إدعاءاتهم ـ أسبابها المتمثلة بالاستغلال والقهر.

والمعلوم أن الدارس المتعمق في التاريخ الإنساني، يجد أن فكرة الإله قد سبقت في وجودها وجود أي تناقضات في المجتمعات.

كما أن الدين والإيمان لو كان وليد التناقض الطبقي، لما انضم إلى صفوف العاملين من أجله جماعات كثيرة من الأغنياء، والتجار وأصحاب المصالح، على مدى التاريخ، ولما تخلى هؤلاء عن مكاسبهم تحقيقاً لما يفرضه عليهم إيمانهم بالله، ولما ضحوا وصبروا وبذلوا أموالهم في سبيل الإنتصار لإيمانهم بالله والأمثلة على ذلك متوفرة بشكل كثيف.

٣ـ إن الإيمان بالله نزعة فطرية عند الإنسان:

هذا التفسير لقضية الإيمان بالله، هو في واقعه التفسير الصائب لأن الشواهد التاريخية تدل عليه بشكل قاطع، كما أن الوجدان البشري يدعمه، ويؤيده، إذ أن الفطرة الإنسانية وطبيعة الإنسان المحتاج إلى ما يكمل وجوده، تجعله يندفع إلى التعلق بمصدر الغنى المطلق لأنه يحس بحاجته المستمرة للارتباط بالسبب الأعلى للوجود. وهذا الأمر قد اتخذ عدة صور على مدى التاريخ وهذا ما يعبر عن أصالته وعن ارتباطه بالطبيعة الإنسانية، بحيث لا ينفك عن أن يكوّن غذائها الدائم الذي لا بديل عنه.

*** دور العلم ومجالاته:**

إن مجال العلم، هو الكشف الأمين الصادق عن القوانين

الحاكمة للكون والموجودات، لذلك يعمد العلماء إلى التقصي للجزئيات بغية الربط بينها، وتقديم التفسير لكيفية عملها وارتباطها وشرح وظائف الموجودات وتحديد مساراتها.

والنظريات العلمية، هي مجرد ترجيحات وافتراضات، وهناك فرق شاسع بين القانون العلمي الثابت وبين النظرية العلمية التي لم تثبت صحتها.

ونسأل: ماذا كشف العلم من حقائق الأشياء...؟ إنه لا يزال يحاول أن يفسر ظواهر الأمور، ولم يستطع تفسير كنهها، فهو يتحدث عن أثر الكهرباء ولكنه لا يعرف ماهية الكهرباء، ويتحدث عن قوانين الطبيعة، ولكنه لم يشرح لماذا تعمل بالطريقة الكذائية؟.

والغيب المجهول، هل يستطيع العلم أن يكشف عن غوامضه مهما ارتقى، والخلود ماذا صنع به العلم؟ وهل استطاع أن ينهي مسألة الموت؟ تلك هي بعض الأسباب التي تلجىء الإنسان إلى الإيمان بالله والاعتقاد به.

إن العلم سلاح جبار بدون شك، ولكنه ليس الوسيلة الوحيدة للمعرفة، ولقد قال العالم الفلكي جيمس جينز بعد دراسة علمية استمرت نصف قرن: «إن مشاكل العلم الكبرى لا يحلها إلا وجود إله». وقال سومرست موم: «... العلم كائن متقلب، فهو ينفي اليوم ما أثبته بالأمس، ويثبت غداً ما نفاه اليوم، ولذلك تجد عبّاده في قلق دائم لا يستقرون[1]».

*** دور العقل ومجالاته:**

*** إن المعارف البشرية تقسم إلى قسمين:**

الأول: معارف بديهية: وهي المعارف التي يصدِّق بها العقل.

(١) راجع كتاب: في النفس والمجتمع ص ١٧ - ١٨.

بدون المطالبة بدليل أو إثبات ـ مثلاً ـ (النفي والإثبات لا يجتمعان ـ معاً ـ في شيء واحد وفي واقت واحد) (الحادث يحتاج إلى سبب أحدثه) (الكل أكبرمن الجزء) (الواحد نصف الاثنين)، وهذا النوع من المعارف هو الأساس الذي ترتكز عليه المعارف الأخرى، ولو أنها كانت غير موجودة في الذهن البشري، فإنه من المستحيل أن يتوصل إلى معرفة نظرية على الإطلاق.

وعلى هذا فإن المقياس الأول للتفكير البشري ـ بصورة عامة ـ هو المعارف العقلية الضرورية، ويصبح بموجب ذلك ميدان المعرفة البشرية، أوسع من حدود الحس والتجربة، ويوفر للفكر البشري مجالات لمعرفة حقائق وقضايا كثيرة تمتد إلى ما وراء المادة المحسوسة.

الثاني: معارف حسية تجريبية: إن السير الفكري يتدرج من العام إلى الخاص، ومن القضايا الكلية إلى القضايا الجزئية، حتى في المجال التجريبي، وهذا لا يعني تجاهلاً لدور التجربة في شأن العلوم والمعرفة البشرية، ولكنها تحتاج في استنتاجاتها للحقائق العلمية إلى المعلومات الضرورية، وإلا فمن يستطع أن يثبت تجريبياً أن التجربة هي المقياس لمعرفة الحقائق!؟ أليست هذه المقولة (التجربة هي المقياس لمعرفة الحقائق) هي من المعارف البديهية الضرورية[1].

إن الإتجاه الحسي في واقعه العلمي وممارسات العلماء له لا يعني الإستغناء عن دور العقل، ولم يستطع أي عالم من علماء الطبيعة، أن يكتشف قانوناً من قوانين الطبيعة عن طريق الحس والتجربة إلا بالعقل.. ولقد كان بإمكان الإتجاه الحسي والتجريبي في البحث عن نظام الكون أن يقدم دعمًا جديداً وباهراً للإيمان بالله، بسبب ما يكشفه من ألوان الإتساق، ودلائل الحكمة التي تشير إلى الصانع

(١) فلسفتنا ٦٨ ـ ٦٩

الحكيم، إلا أن علماء الطبيعة لم يولوا هذه المسألة اهتماماً باعتبار أنها مسألة فلسفية حسب التصنيف التقليدي لمسائل المعرفة البشرية وقضاياها، واستغل الإتجاه التجريبي لمحاربة الإيمان بالله، على يد جماعة من الفلاسفة فسروا الإتجاه الحسي تفسيراً خاطئاً[٢].

الذات الآلهية والعقل:

من الواضح أنه لا يمكن للعقل البشري أن يعرف كنه الذات الإلهية، لأن ذلك يعني حصر اللامحدود في العقل المحدود. فهل يمكن للمحاط أن يحيط بالمحيط ؟

إن دور العقل البشري ينحصر في التدليل على وجود الله سبحانه انطلاقاً من أثاره وما خلق، لأنها السبيل إلى الله، والدالة عليه وقد ورد النهيٌ عن البحث في ماهية الله، وكنهه وذاته ووجهنا إلى التفكير في مخلوقاته. وهذه طريقة القرآن الكريم في الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد.

إن معرفة الله ـ في حقيقتها ـ معرفة وجدانيةٌ، يعيشها قلب المؤمن ـ الذي هو عرش الرحمن وهي أيضاً معرفة حياتية ـ اجتماعية يدرك الإنسان ضرورتها عندما يواجه ظلم الأنظمة البشرية وسخافتها.. وأنت ترى أنه من المستحيل أن تفهم من ليس عنده ذوق فني بجمال لوحة رسمها أشهر فنان، أو أن تري الأعمى جمال الروضة الغناء، أو أن تقنع الملحد الذي أعمى قلبه وأوصد نوافذ عقله، بوجود القدرة الإلهية، مهما أطلت الشرح، وبذلت من الجهد، ومهما قدمت من البراهين والحجج. ألم يقل سبحانه في محكم تنزيله: «إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

---

(٢) راجع المرسل والرسول والرسالة ص ١٠ ـ ١٢. من الفتاوى الواضحة.

ب ـ مرتكزات الإيمان بالله:

يقوم الإيمان بالله حسب التصور العقائدي الإسلامي، على أسس ثلاثة:

ـ أولاً: الإيمان بوجود الله تعالى.
ـ ثانياً: الإيمان بوحدانية الله تعالى.
ـ ثالثاً: الإيمان بكمال الله المطلق.

جـ ـ مصطلحات فلسفية:

١ ـ تقسم الموجودات إلى:

أولاً: واجب الوجود أو (ضروري الوجود) الذي إذا افترضنا عدم وجوده، لما أمكن لنا تصور وجود أي شيء، وقد اتفقت الفلسفتان المادية والإلهية، على هذا المبدأ، فالفلسفة المادية تعتقد أن المادة هي واجبة الوجود، وتمنحها صفة الأزلية والأبدية، أما الفلسفة الإلهية فأنها تقر أن واجب الوجود هو الله تعالى الموجود الضروري الحق الثابت، مصدر الوجود وسببه الأول:

ثانياً: ممكن الوجود: وهو على قسمين:

١ ـ ممكن بالفعل: وهو الموجود حقيقة، نتيجة سبب خارجي أوجده، وكل ما في عالم الطبيعة يدخل تحت هذا العنوان.

٢ ـ ممكن بالقوة: وهو الموجود الذي لم يوجد بعد ولكنه يحتمل أن يوجد بسبب خارجي.

والممكن هو ما إذا افترضنا عدم وجوده فإنه لا يترتب عليه إستحالة في تصور وجود أي شيء لأنه ليس السبب الأصيل في وجود الموجودات.

فالشجرة ـ مثلاً ـ هي ممكنة الوجود، ولكن عدم وجودها لا يلغي وجود الكون والموجودات، أما إذا تصورنا عدم وجود السبب الأول (الله تعالى) فإن العقل يحكم بإستحالة وجود أي شيء على الإطلاق.

ثالثاً : مستحيل الوجود: وهو ما لا يمكن أن يكون موجوداً في الواقع.

د ـ الأدلة على وجود الله:

١ ـ أنواع الأدلة على وجود الله:

أولاً: الدليل العلمي.

ثانياً: الدليل الفلسفي.

ثالثاً: الدليل الفطري.

أولاً: الدليل العلمي:

تعريفه: الدليل العلمي هو كل دليل يعتمد على الحس والتجربة ويتبع منهج الدليل الإستقرائي القائم على حساب الإحتمالات[١].

تفصيل الدليل العلمي على وجود الله:

القاعدة الأولى: إن كل ما في الكون ضروري لتأمين استمرارية الإنسان في الحياة.

أولاً: عالم الإنسان: إن تركيب الجسم الإنسان ينسجم مع

---

(١) راجع المرسل والرسول والرسالة: مقدمة الفتاوى الواضحة ـ محمد باقر الصدر ص ١٥.

(*) الإستقراء هو الإنتقال من الوقائع إلى قوانينها التي تحكمها، وذلك نتيجة لملاحظة وتحليل الحوادث الجزئية لاستنتاج القانون العام، فمثلاً يحلل العالم الماء ليجد أنه مؤلف من هيدروجين وأوكسجين فيستنتج قانوناً عاماً هو أن دستور الماء هو: $H_2 + 1/O_2 \rightarrow H_O$.

مهمة الإستمرار بالحياة وحفظها.

١ ـ الخلية والكائن الحي: إن الخلية هي حجر الأساس في بناء الكائن الحي بمجموعه العام، ومنها يبدأ سر الحياة، وهي في تركيبها ووجودها ذات طبيعة إعجازية:

ـ فمن مجموعة الخلايا ذات العمل الواحد يتشكل النسيج.
ـ ومن مجموع الأنسجة ذات المهمة الواحدة يتشكل العضو.
ـ ومن مجموعة الأعضاء يتشكل الجهاز.
ـ ومن مجموعة الأجهزة يتشكل الإنسان، الكائن الحي المعجز في حياته ووجوده.

ويبلغ وزن الخلية جزء من مليار من الغرام، ولوحظ أن مقارنتها مع بيضة الضفدع، يظهر أنها أكبر وزناً من نطفة الإنسان بـ (١٠٠) مليون مرة. والخلية الإنسانية الأولى ـ بمجرد أن تتكون ـ تبدأ بالانقسام بشكل دقيق، وسريع هادف، إلى ما يقرب من خمسين انقساماً ويصبح عدد الخلايا كبيراً جداً (ملايين الخلايا).

ولقد استطاع المجهر العادي أن يرى الخلية بشكل حجرة، وهذا ما كشف أن الكائنات الحية، تتكون من مجموعة هائلة من الخلايا، التي تتجمع لتؤلف جهازاً واحداً يقوم بوظيفة واحدة ومن ثم تكوّن الأجهزة المختلفة بتناسقها في عملها، الكائن الحي.

واستطاع المجهر الالكتروني أن يرى الذرات البروتينية الكبيرة، البالغة (١٠٠) انغستروم وهو ١/١٠٠ مليون سم، وقدرة هذا المجهر تقف عند حدود الجوهر، وقد يتغلب على هذه العوائق اختراع المجهر البروتوني الذي سيكبر أبعاد الأشياء في حدود (٨٠٠) ألف أو مليون مرة...

وعندما تتخصص الخلية، يحدث أمر بالغ الأهمية، فالخلية

نفسها تؤدي دوراً يختلف باختلاف المكان والزمان، فهي على الجلد متقرنة،تتساقط عنه بعد أن تحميه،. وفي العضلات هي ألياف متراصة تقوم بالتقلص العضلي، وفي البانكرياس تقوم بدور الإفراز الداخلي، ومن ثم بدور الإفراز الخارجي وفي الإمعاء تقوم بدور الإمتصاص. . ثم تمر المواد بدورها إلى الأوعية الدموية واللنفاوية، التي تنقل المواد إلى المركز العام وهو الكبد. والخلية في جهاز التنفس تلعب دوراً هاماً بافساح المجال لمرور الغازات لتصفية الدم، والخلية في العين، فهي الحساسة بشكل رائع للنور والمتمثلة بشكل محير في العين بشكل المخاريط،والخلية في الأذن التي تشترك في تلقي السمع ونقله بواسطة الأعصاب إلى مراكزه العليا ليفهم. . والخلايا العصبية تتوزع في قشر الدماغ على ست طبقات، وبعدها تتوزع أنواع العمل فمنها ما هو للحس،وآخر للحركة، وآخر للذوق وآخر للاشراف على الأعمال البدنية.

أما الادراك والتفكير والتخيل، فإن العلم لا يستطيع أن يجيب عل سؤال كيف يحصل هذا وفي أي الخلايا يقع هذا العمل المدهش، وذلك لأن هذا ليس من اختصاصه تماماً[1].

٢ ـ الحالات العديدة لتكامل نمو الإنسان الجسدي:

بعد أن يصبح الإنسان جنيناً في بطن أمه، نرى أن كل الوظائف التي يؤديها جسمه العجيب، في كل ما يتعلق به، يؤدي دوره في السير بالحياة إلى الأمام، لحفظها، فمن الغذاء إلى التنفس إلى الافرازات، إلى كل ما يخدم تطور الإنسان وخروجه من حالة القوة (الامكان) إلى حالة الفعل، إلى ولادة الطفل، والمواد الكيماوية التي يفرزها ثدي الأم في نهاية الحمل لوقاية الطفل من عدوى الأمراض

(١) الطب محراب الإيمان: د. خالص جلبي كنجو ـ مع تصرف كبير بالعبارة.

إلى تكوين اللبن، لبن الأم، وازدياد مقاديره يوماً بعد آخر، إلى تبدل نسب مكوناته، كل ما دعت حاجة نمو الطفل إلى ذلك، بأن تزيد النسب النشوية والكسرية والدهنية، إلى البدء بظهور أسنان الحليب لتهيئة الطفل لتناول الطعام إلى الإختلافات في أشكال ووظائف الأسنان، فمن قواطع ألى أنياب إلى أضراس، وكم كانت دهشة العلماء عندما لم يستطيعوا أن يصلوا إلى طريقة أخرى في عملية ترتيب وشكل ووضع الأسنان، لذلك قلّدوا الأسنان الطبيعية عندما أرادوا استبدالها بأسنان اصطناعية(٢).

(ويمكن أن يشبه الجسم إلى حد بعيد بالأمة والدولة فالخلايا هي أفراد الشعب (العامل) وتجمع الخلايا ـ في عمل واحد ـ يشبه المؤسسات والاختصاصات في الجسم تشبه الوزارات (. .).

فالجهاز العصبي المركزي، هو بمثابة السلطة الحاكمة المهيمنة المخلصة العاقلة، العالمة، والجسم كله يمثل الشعب المتفاني في الطاعة وتقديم الولاء.

أما جهاز الدوران فهو يجمع بين خاصية نقل الغذاء والأوكسجين إلى الأنسجة العطشى الجائعة وإرجاع بقايا الإحتراق ونفايات الغذاء، فهذا الجهاز يعبد الطرق ويشق الممرات ولذا فهو أشبه بوزارة المواصلات.

أما الجهاز الهضمي فهو ينقل إلى الامعاء النشويات والبروتينات والدسم والماء والأملاح المعدنية والفيتامينات ويلقي الفضلات والقمامة والأوساخ التي لا يحتاجها البدن، ولذا فإن هذا الجهاز أشبه بوزارة التموين.

(٢) مفاهيم إسلامية: محمد حسن آل ياسين ـ صفحة ٣١ ـ ٣٢.

وأما الغدد العرقية فهي أشبه بوزارة السياحة والاصطياف لأنها تبرد الجسم وتخفف من حرارته.

وأما الجلد والأغشية الخارجية (كالغشاء المخاطي الذي يغطي الفم من الداخل) والأظافر والأشعار فهي تمثل الإنسان من الخارج، فهي أشبه بوزارة الخارجية!!؟

وأما جهاز التنفس فهو يأتي بالغازات الضرورية للبدن مثل الأوكسجين ويطرح غاز الفحم وهكذا تحصل تصفية الدم ولذا فهو أشبه بوزارة الاقتصاد لأنه يستورد ويصدر.

أما العضلات والمفاصل والعظام فهي أشبه بوزارة الدفاع أو الحربية، لأنها تدافع عن الإنسان كما تقوم بالهجوم إذا لزم الأمر.

وأما الكبد فهو مركز الجمارك العام لأن كل ما يأتي إلى البدن عن طريق الجهاز الهضمي، يمر فيه فيحصل أبعاد المشتبه به، ويسمح بمرور المرغوب به، ويعدل المشكوك فيه ويرسل معه مراقباً حتى يلقيه خارجاً الحدود، عن طريق الكلية، وهو ما يعرف بالازدواج الكبريتي أو الغلوكوروني،لأن هاتين المادتين تترافقان مع المادة المنفية إلى الكلية.

وأما الطحال فهو المقبرة للكريات الحمراء، لأن الواحدة منها لا تعيش أكثر من شهرين ـ وسطياً ـ حيث تنتقل إلى الطحال لتقبر هناك وطريقة الدفن أشبه ما تكون بطريقة الدفن عند المسلمين حيث يدفن الجثمان ويعاد التابوت، ومظهره هنا العودة بذرة الحديد مرة أخرى ليستفيد منها الجسم في بناء كريات حمراء جديدة.

وأما النخاع الموجود في باطن العظام، وأماكن أخرى من الجسم فهو وزارة الصناعة لأنها تنتج الكريات الحمر، والبيض، وعناصر أخرى...

ووزارة الداخلية يمثلها الجهاز البولي، لطرحها للعناصر المشتبهة

خارج الحدود، وتنظم السوائل الداخلة والخارجة حتى يعم النظام والأمن في الداخل فهي مصفاة البدن، والمحافظة على الإتزان الداخلي.

والحواس هي امتدادات لوزارة الخارجية (الجلد) ووزارة الإعلام متمثلة في اللسان وأعضاء التصويت (الحبال الصوتية والحنجرة وغضاريفها واللسان وعضلاته والشفة ومقدم الفم[1]).

٣ ـ العين ودقة تركيبها

إن حاسة الأبصار «العين» فيها: ثلاث جدران ـ منطقة للأبصار ـ جدران للتغذية والحماية والجمال ـ فيها سائلان أحدهما ثابت والآخر يفرغ ويفرز ليل نهار ـ بلورتان واحدة أمامية والثانية خلفية متبدلة ـ واجهة للجمال وحماية العين من النور الساطع وهي القزحية ـ غدد من شتى الأنواع للدهن والمفرزات والترطيب والتطهير والحماية ـ أقنية وممرات شتى لتصريف السوائل والدمع ـ سبع عضلات للتحريك المتزن وإسدال الستار ورفعه أمام الرؤية وهو الجفن العلوي وهو مؤلف من سبع طبقات إحداها تشكل قالب الجفن وهو الظفر الجفني وفي العين ثلاثون شرياناً مغذياً وثلاثة أعصاب محركة وعصب ينقل الحس وعصب ينقل المبصرات عبر شريط يضم نصف مليون ليف، وفيها ١٣٠ مليون خلية كهروضوئية تستقبل النور والألياف تنقل المبصرات من ١٤٠ مليون عصاة و٧ ملايين مخروط وبعد ذلك الوسادة الشمعية والجدار العظمي والمرتفعات العظمية: قال عزّ وجل: «هو الذي انشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون». (المؤمنون آية ٧٨).

وسؤال طريف يطرح: أين تقع وزارة الأوقاف بالنسبة لتكوين الجسد الوظيفي؟.

---

(١) الطب محراب الإيمان: صفحة ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

إن الجسم وغدده واخلاطه ودمه ولفه وعروقه وأعصابه وشعره وجلده كله يسير وفق القوانين الإلهية المرسومة من قبل الخالق فهذه الأجهزة جميعها في حالة عبادة واستسلام دائم لله رب العالمين، فالدم خاضع لإرادة الله، عابد له والرئة والقلب والعصب كلها تصلي لله وتترجم إسلامها بأشكال شتى عندما تؤدي وظائفها: قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ (سورة النور آية رقم ٤١*.

ثانياً: عالم الحيوان والطير:

من القواعد الثابتة أن هناك تناسقاً بين الضوابط الحياتية من جهة، والاحياء وبيئتها من جهة أخرى والنسب، محفوظة بالقدر الذي يسمح بنشأة الحياة واستمرارها وهذه بعض الأمثلة[1]:

أولاً: ١ ـ الجوارح والطيور الصغيرة:

يلاحظ أن الطيور الجارحة التي تتغذى بالطيور الصغيرة قليلة في عددها، لأنها قليلة في بيضها وتفريخها، وهي طويلة الأعمار فلو كانت كثيرة الأفراخ مع عمرها الطويل لقضت على الطيور الصغيرة وبهذا تتعادل عوامل الفناء مع عوامل البقاء بين صغار الطيور وجوارحها.

٢ ـ الذبابة:

الذبابة تبيض ملايين البويضات، إلا أنها لا تعيش أكثر من أسبوعين، ولو كانت تعيش عدة أعوام وتبيض بهذه النسبة العالية لغطى الذباب وجه الأرض، ولغدت حياة الإنسان مستحيلة.

---

* نفسه.

(١) كتاب الله والعلم الحديث: عبد الرزاق نوفل ٤٦ ـ ٤٧ ومراجع أخرى متفرقة.

إلا أن التوازن والتقدير الإلهي وازن بين كثرة النسل، وقصر العمر

٣ ـ الميكروبات:

الميكروبات أكثر الأحياء عدداً، وأسرعها تكاثراً وأشدها خطراً ومع ذلك فإنها أضعف الأحياء مقاومة وأقصرها عمراً.

ملايين الملايين منها تموت بالبرد أو الحر أو الضوء أو احماض المعدات أو إمضال الدم، وهي لا تستطيع التغلب إلا على قليل من الإنسان والحيوان...

فقاعدة التوازن لتأمين الإستمرارية حتمت أن تكون الميكروبات ضعيفة المقاومة، قصيرة العمر، وإلا فإنها قادرة على تدمير الحياة.

٤ ـ الحيّات، الخنفساء، الظباء، الأسود، الأوز، البط، الضفدعة..

* كل حي مزود بسلاح وقائي ووسائل لاستمراره في الحياة بالقدر المناسب:

ـ إن الحيّات الصغيرة مزودة بالسم القاتل أو بالسرعة للهرب من أعدائها.
ـ أما الثعابين الكبيرة فإنها مزودة بالعضلات القوية ويندر فيها وجود السم.
ـ الخنفساء ـ قليلة الحيلة ـ قد منحت مادة كاوية ذات رائحة كريهة تصب على كل من يلمسها للوقاية.
ـ الظباء: مزودة بسرعة الجري والقفز.
ـ الأسود: تتمتع بقوة الافتراس والبأس.

* وكل حي وهب الوسائل الكفيلة بتأمين غذائه:

فالحيوانات الكاسرة من أسود ونمور وذئاب وضباع، والحيوانات المجترة، وسيلتها معروفة لتحصيل طعامها، وكذلك الطيور الجارحة كالبوم مثلاً فإنها ذات منقار مقوس حاد على شكل (شنكل) لتمزيق اللحوم.

وكذلك الأوز والبط، فإن مناقيرها عريضة منبسطة مفلطحة (كالمغرفة) تناسبها للبحث عن غذائها في الماء والطين، وعلى جانب المنقار زوائد صغيرة كالأسنان تساعدها على قطع الحشائش.

والضفدعة لسانها طويل (أطول لسان لكائن حي) إذ يبلغ نصف طولها تقريباً، ووظيفته، بواسطة مواده اللزجة، صيد الذباب، غذاؤها الرئيسي.. وعيونها بارزة قادرة على التحرك في كل الإتجاهات لأنها حرمت من العنق.

والسمك يتمتع بحاسة تمنعه من الإصطدام بالصخور، في ظلمات البحار، بواسطة خط طولي على جانبيه، يتشكل من مجموعة أعضاء حساسة دقيقة، تحس السمكة بواسطتها بالحواجز، عند اختلاف ضغط الماء فتغير سبيلها.

والخفاش لا يصطدم في طيرانه الليلي بأي شيء بارز، وقد عرف العلماء بتجاربهم اهتزازات خاصة شبيهة تماماً بطريقة الرادار.

ونقل عن عالم أراد أن يستفرخ البيض بدون حضانة الدجاج، ففشل رغم توفر الشروط الخارجية كلها، ولم يهتد إلى السر حتى نصحه فلاح، بأن يقلب البيض بين آونة وأخرى لأنه رأى الدجاجة تفعل ذلك، والعلماء يقولون أن الفرخ حينما يكون في البيضة، فإن المواد الغذائية ترسب في الجزء الأسفل من جسمه، فإذا بقي بدون تحريك تتمزق أوعيته ولذلك فإن الدجاجة لا تقلب البيض في اليوم الأول والأخير، فمن علم الدجاجة هذا الأمر.؟

ثالثاً: عالم النبات:

إن عجائب النبات لا تقل عن عالم الإنسان والحيوان والطير، إثارة ودهشة من حيث تناسق وظائفها ودقة تركيبها.

١ ـ **عدد فصائل النبات:** يقرب عدد من نصف مليون وهي مختلفة في الأشكال والتركيب والأعمار أيما اختلاف.

٢ ـ **تنفس النبات:** والنبات يتنفس فيأخذ: في النهار: ثاني أوكسيد الكاربون ويطرد الأوكسيجين ويتم العكس ليلاً، وعملية التمثيل الكاربوني كفيلة باستهلاك ثاني أوكسيد الكاربون في الكون، لكن التوازن الموجود في القدرة الربانية جعل الكائنات الأخرى، تخرج هذا الغاز والأجسام الميتة أيضاً، عندما تتحلل تخرجه، والنسبة الثابتة الضامنة لاستمرار عمر الحياة، هي أن يكون ثاني أوكسيد الكربون في الجو من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء.

٣ ـ **النباتات ذات الأجنحة:** بعض الأشجار الصحراوية لا تعيش إلا على الماء، ولما كان ماء الصحراء قليل، لذلك زودت بزور هذه النباتات بأجنحة خاصة تطير بها في حال جفاف الماء وهي تقطع آلاف الأميال بحثاً عنه.

٤ ـ **الأزهار والتلقيح:** يلاحظ أن الأزهار التي تلقح بواسطة الحشرات قد زودت بعناصر الجمال والجذب، لتيسير عملية التلقيح، أما الأزهار التي تلقح عن طريق الهواء فإنها لا تتميز بميزة الجمال في الغالب.

رابعاً: عالم الفلك:

إن الوحدات الأساسية للكون هي المجرات (تجمع هائل من

النجوم والغاز والغبار الكونيين) تتخللها مجالات مغناطيسية وكهربائية جبارة، وخارج مجرتنا عدة بلايين من المجرات، ومجموعات المجرات قد يبلغ عدد المجرات فيها عشرة آلاف، والمجموعة التي تنتمي إليها مجرتنا تتكون من ثمانية عشر عضواً، ويبلغ قطر أكبرها (١٣٠) ألف سنة ضوئية، وقطر مجرتنا مئة ألف سنة ضوئية، وتحتوي على حوالي ٣٠٠ بليون نجم وتبعد عنا بنحو ٢ مليون سنة ضوئية[١].

والكون في توسع دائم، وهذه الحركة الدائمة تحدث وفقاً لنظم كونية معقدة ودقيقة بحيث لا يحدث اصطدام أو اختلاف في السرعة.

* يقول «فرنك آلن» عالم الطبيعة البيولوجية: «لو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي، لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حتى الموت. أما لو كان قطر الأرض، ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف، وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي، وزاد الضغط الجوي من كيلوغرام واحد إلى كيلوغرامين على سم٢، ويؤثر ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض فتتسع المناطق الباردة اتساعاً كبيراً وتنقص مساحة الأراضي الصالحة للسكن نقصاً ذريعاً.

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها، لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفاً.. ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً، ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كلغ على سم٢ ولتضائل حجم الإنسان حتى صار في حجم السنجاب[٢].

---

(١) الكون والثقوب السوداء ـ اعداد رؤوف وصفي ص ١٦٤.
(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ٧ ـ ٨.

هذا الكون الذي يحير العقول يسير بموجب قوانين علمية تسمح للفلكيين بأن يتوقعوا ـ مثلاً ـ الثانية التي يمكن أن يحدث فيها خسوف أو كسوف.

يقول كاتب إسلامي معلقاً على مظاهرا التناسق والتوازن ؛ «على إن الأمر أعظم من هذا كله وأشمل في التقدير والتدبير. إن حركة هذا الكون كله بأحداثها ووقائعها وتياراتها مقدرة مدبرة صغيرها وكبيرها. كل حركة في التاريخ ككل انفعال في نفس فرد، ككل نفس يخرج من صدر.. إن هذا النفس مقدر في وقته، مقدر في مكانه، مقدر في ظروفه كلها، مرتبط بنظام الوجود، وحركة الكون محسوب حسابه في التناسق الكوني كالأحداث العظام الضخام .

وهذا العود البري النابت وحده هناك في الصحراء أنه هو الآخر قائم هناك بقدر.. وهذه النملة السارية وهذه الهباءة الطائرة.. وهذه الخلية السابحة في الماء.. كالأفلاك والأجرام الهائلة سواء.

تقدير في الزمن وتقدير في المكان، وتقدير في المقدار وتقدير في الصورة وتناسق مطلق بين جميع الملابسات والأحوال».

القاعدة الثانية: لا تفسير للتناسق والتدبير في عالم الكون والإنسان والحياة إلا بإفتراض وجود إله خالق:

١ ـ وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف نفسر هذه الحكمة السارية في عالم الوجود والكائنات والترابط والتناسق بينهما؟

٢ ـ هل هي الصدف التي صنعت ذلك؟

٣ ـ وهل يقبل العلم بهذا التعليل؟

٤ ـ إن حساب الإحتمالات يرجع إلى أن الصانع الحكيم (الله) هو وراء كل ذلك، لأنه كلما زاد عدد الصدف، كلما كان احتمال كونه الصدف، السبب الأول، ضئيلاً، ونصل إلى النتيجة النهائية، أن

الدليل العلمي يثبت أن صانع الكون هو الله تعالى وليس الصدف.

٥ ـ مع آيات القرآن الكريم في تعليل الوجود والتناسق والترابط

ـ «فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب» (الطارق آية ٥ ـ ٦ ـ ٧).

ـ «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. (الطور آية ٣٥)

ـ «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» (النحل آية ٧٨).

ـ «إنا كل شيء خلقناه بقدر» (القمر آية ٤٩).

ـ «خلق الإنسان من علق». (العلق آية ٢)

ـ «والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشيء على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء». (النورآية ٤٥).

ـ «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم». (الأنعام آية ٣٨).

ـ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن» (الملك آية ١٩).

ـ «أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاماً. (الواقعة ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥)

ـ «أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون. (الواقعة ٧١ ـ ٧٢).

ثانياً: تفصيل الدليل الفلسفي على وجود الله:

يرتكز هذا الدليل على ثلاث قضايا:

القضية الأولى: مبدأ السببية: كل موجود حادث، له سبب أوجده.

هذا المبدأ الفطري. يدرك بالبديهة وهو يعني أن كل مصنوع له صانع، وأن كل ممكن الوجود له سبب أوجده، وان الأسباب تتسلسل لتصل إلى السبب الأول (واجب الوجود) أي الله سبحانه ومما لا شك فيه أن قانون السببية في أساس جميع العلوم وفي انكاره توجيه ضربه إلى العلوم وتؤدي إلى إنهيار أسسها.

ـ ونظرة واحدة إلى المياه التي تصل إلى بيوتنا، ندرك أنها وصلت بواسطة أنابيب صغيرة تفرعت عن أنابيب أخرى أكبرمنها، حتى تتصل بالنبع الأساسي، وعلى هذا فهل يمكن تصور وجود قصر عظيم يشكل قمة الروعة في الفن والهندسة، بدون تصور بنائين ومهندسين وفنانين؟

القضيةالثانية: الدرجة الأدنى، في وجود شيء ما، لا يمكن أن تكون سبباً في وجود درجة أعلى منها:

إنطلاقاً من القاعدة التي تقول: فاقد الشيء لا يعطيه، نستنتج أن كل درجة زائدة في وجود شيء من الأشياء، لا يمكن أن تكون متسببة عن الدرجة الدنيا، أو الأدنى منها فهل يستطيع الجاهل بالقرآن الكريم وأحكام الدين الإسلامي أن يفهم الكتاب ومبادىء الإسلام؟

وهل يمكن للشمعة الصغيرة ذات الضوء المحدود أن تحدث نوراً يضيء مدينة كاملة؟.

القضية الثالثة: الدرجة الأعلى في تطور الأشياء، هي زيادة نوعية على الدرجة الأدنى.

من الواضح أن الفارق بين الأشكال، في تكامل الكائنات والموجودات، ليس فارقاً كمياً بل هو فارق كيفي: وهذا أمر تشهد به

الفطرة السليمة ويقره العقل والعلم، ولكن من أين جاءت هذه الزيادة؟

هل أتت من المادة الصماء الميتة؟

وهل المادة قادرة على أن تهب الحياة للإنسان مثلاً وهي تفقدها؟

ألا يتعارض هذا مع القاعدة القائلة: إن الشكل الأدنى درجة، لا يمكن أن يكون سبباً لما هو أعلى منه درجة؟ الواقع أن النمو الزائد والزيادة والتكامل سببه مصدر يتمتع بصفات الكمال وبما تحويه الزيادة الجديدة من فكر واحساس، انه الله رب العالمين، الذي يدبّر أمور الحياة والكائنات ويربيها ويرعاها وينميها وهذا هو التفسير المعقول الوحيد لعملية النمو والتكامل في الوجود[1].

ثالثاً: الدليل الفطري على وجود الله:

إن الإنسان السوي يدرك بفطرته، أن لهذا الكون مكوناً ولا يختلف في هذا الأمر إنسان عن آخر، شرط أن يسلم العقل من أسر الهوى، كما قال الإمام علي (ع). فهذا بدوي ساذج يقدم دليلاً بسيطاً على وجود الله ينطلق فيه من منطلق الفطرة فيقول:

«البعرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير واثار القدم تدل على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، لا يدلان على اللطيف الخبير».

وهوذا أيضاً أحد الفلاحين، يجيب على من يسأله الدليل على وجود الله، فيقول لسائله: «مه يا هذا وإلا دققت عنقك بمسحاتي

---

(١) تراجع الفتاوى الواضحة ـ محمد باقر الصدر: بحث المرسل ص ٢٨ وما بعدها.

هذه، أليس ترى الماء المرتفعة والأرض المنبسطة، أبعد هذا تحتاج إلى دليل على وجود الصانع»؟.

ويقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة: «ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعو إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة، زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما اوعوا، وهل يكون بناء من غير بان؟ أو جناية من غير جان»؟

وقد جاء عن بعضهم قوله: «أن الأنبياء إنما بعثوا لبيانالتوحيد، وزجر الكفرة عن الشرك والإلحاد، وردعهم عن عبادة الأوثان لا لإثبات المعبود ووجود الصانع، فإن في العيان غنى عن البيان ولا برهان بعد الحس والوجدان[1].

وروى أن أحد العلماء شرع يكتب كتاباً في إثبات الصانع فقالت له زوجته ما تكتب؟ قال: اكتب في إثبات وجود الله.. قالت أفي الله شك فاطر السموات؟ فتوقف هذا العالم عن الكتابة.

وورد عن الإمام الحسين (ع) دعاء جاء فيه: «إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدك عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار، هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً..

ويقول أحد المفكرين: «إن الله في غنى عن أن يبرهن عليه، لأنا نحس به ونستمد منه الحياة، وما الحياة إلا اعتقاد في الله وما معرفته إلا شعور بكل ما تقتضيه الحياة[2].

---

(١) وحي الفطرة: : مصطفى المحسن الموسوي ـ ص ٩.
(٢) نقد الفكر المادي والديني: عبد اللطيف بري ص ١٤٩.

وعن أمير المؤمنين علي (ع) حين سأله أحدهم: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته فقال علي (ع): «ويلك،ما كنت أعبد رباً لم أره. قال الرجل: «وكيف رأيته؟ قال (ع): «ويلك لا تدركه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان». ويقول الباقر (ع) عن الله تعالى: ﴿لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجوز في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو﴾. ومن الواضح أنه عندما يقع الإنسان إي إنسان، في مأزق ما، أو يصاب بمرض، ويفقد كل مساعدة،ويعجز الجميع عن إنقاذه، يشعر في أعماقه أن هناك ثمة قوة قادرة على تخليصه.. هذا الشعور الوجداني هو الشعور بالقدرة الإلهية ولقد روى أن رجلا قدم إلى الإمام الصادق (ع) وسأله عن الله تعالى، فقال (ع): يا عبد الله... هل ركبت سفينة قط؟ قال بلى. قال (ع): هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال بلى. قال (ع): فهل تعلق قلبك هناك إن شيئاً من الأشياء قادر على تخليصك من ورطتك قال: بلى قال (ع): فذلك هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث».

نزوع النفس الإنسانية إلى الكمال:

يعتري القلق النفس الإنسانية بشكل دائم، فالإنسان يعيش في صراع مع ذاته، ومع الناس، ومع مصيره.. فإنه يسعى للحصول على السعادة، السعادة الدائمة، ويطمح للخلود الأبدي مع علمه اليقيني أنه سيموت.. إلا أنه يرفض الموت، وكلما اقترب الإنسان مما يرغبه ابتعد مرغوبه عنه، فيقع في خيبة، وكلما ازدادت رغبته، ازدادت خيبته، والعكس صحيح، والإنسان يطمح بالخلود ولا يرضى بالوجود المحدود فهو يتعلق باللامتناهي، وهو في عطش دائم إلى الحرية

والعدالة والتقدم، أنه يسعى إلى ما هو أفضل وأكمل أنه ينظر إلى المطلق من خلال المحدود، وإلى الأبدي من خلال الزائل، ونزوع النفس إلى الكمال دليل على وجود الكمال المطلق، والكمال المطلق هو الله تعالى يقول كارل يسبرز: «التعطش للخلود لا يخلو من معنى ذلك أن في كياننا شيئاً لا يمكن أن نؤمن به وأن رسالة الفلسفة هي أن تلقي بعض النور على طبيعة هذا الشيء[1]».

هـ ـ كلمات حول وجود الله تعالى:

١ ـ قال عالم الطبيعة (جورج ايرل ديفيس): «لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا ننتهي إلى التسليم بوجود «الإله»، ولكن إلهنا سوف يكون عجيباً: إلهاً غيبياً ومادياً في آن واحد.. إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه ومديره ومدبره بدلاً من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات..».

٢ ـ يقول باستور: «الإيمان لا يمنع أي ارتقاء كان لأن كل ترق يبين ويسجل الإتساق البادي في مخلوقات الله، ولو كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم، لكان إيماني بالله أكبر وأعمق مما هو عليه الآن».

٣ ـ يقول ونشستر، (أستاذ الإحياء بجامعة بايلور وعميد أكاديمية العلوم بفلوريدا سابقاً): «إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل».

٤ ـ يقول نيوتن: «إن هذا التفرع في الكائنات وما فيها من ترتيب

---

(١) نهج الفلسفة ـ كارل يسبرز ـ ترجمة عادل العوا ـ ص ١٤٦.

أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الزمان والمكان لا يمكن أن تصدر إلا من حكيم عليم».

و ـ مصدر الكون والنظام الكوني:

هل هو الصدفة أم الطبيعة أم التطور أم التولد الذاتي: ؟

١ ـ **الكون والصدفة**: ان كل ما في الكون ابتداء من بناء الذرة حتى أعقد أشكال الحياة يشير إلى التصميم والقصد في بناء الكون والحياة، ولكن مع هذا فهناك شبهة ترد كل شيء إلى عامل (الصدفة). أن الصدفة أو الإحتمالات لها قانون قائم بذاته[1]...

والفرق واضح بين **خلق الأشياء وتركيبها**، وإذا كان ممكناً أن نبحث حول تركيب وترتيب الأشياء، وعلاقتها بالصدفة فإنه لا يمكن أن ندخل **حركة الأشياء** تحت تأثير المصادفة.

أ ـ قانون المصادفة (الإحتمالات): ان حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المتزاحمة. مثال على ذلك: إذا وضعنا عشرة أرقام في كيس من (واحد إلى عشرة) وأجرينا عملية السحب لافان احتمال أن يكون الرقم واحد هو المسحوب يكون بنسبة (١/١٠).

ب ـ تطبيق القانون: لا يتم ذلك إلا على المادة غير الحية، فلا يصح على الخلية، مثلاً، لأن ترابطها مع الحياة يجعل القانون غير ساري المفعول.

جـ ـ أمثلة على قانون المصادفة:

١ ـ لو عدنا إلى المثال السابق وأردنا أن نسحب رقمين متتابعين (١،

---

(١) الطب محراب الإيمان: ص ١٣ وما بعدها..

٢) فإن الإحتمال هو ١/١٠٠، سحب ١ و٢ و٣ فالإحتمال هو ١/١٠٠٠.

وإذا أردنا سحب الأرقام من ١ ـ ١٠، متتابعة فإن الإحتمال هو ١/١٠ مليارات، أي علينا أن نسحب الأوراق عشرة مليارات مرة حتى نحتمل خروج هذه الأرقام بالترتيب، مرة واحدة.

٢ ـ لو حدث زلزال ألقى حروف مطبعة عددها نصف مليون حرفاً فهل يعقل أن نجد أن هذه الحروف قد ألفت قصيدة جميلة موزونة على البحر الكامل مثلاً... وما هو قدر المصادفة في حال تزاحم (٥٠٠ ألف حرف). إن علم الرياضيات لا يؤيد هذه الفرضيات لأنه يعتمد على قوانين معروفة منها صفر = ∞ (لا نهاية).

٣ ـ مثال «العالم السويسري تشارلز يوجين جاي» على ذرة من العضويات: إن هذه الذرة يمكن أن تشترك في تركيب خلية واحدة من خلايا الكائنات، وكان احتمال المصادفة نتيجة للحسابات التي وصل إليها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة وهو (٢ × ١٠^(٣٢١)) أي مسبوق بـ ٣٢١ صفراً إلى يمين الرقم.

أما حجم المادة اللازمة لتحقيق هذه المصادفة ـ إذا حصلت فهو بحجم كرة يحتاج الضوء ليقطع قطرها إلى (١٠)^(١٦٤) سنة أي أمام الرقم (١٦٤) صفراً، ويكون هذا الرقم بالنسين الضوئية (ستة ملايين مليون ميل أي ٦ × ١٠^(١٢) ميلاً، هذا من أجل احتمال حدوث ذرة بسيطة متكونة من ألفين من الذرات، وذات نوعين فقط من الجواهر، وذات وزن ذري، وسطياً، يبلغ العشرة..

٤ ـ يقول الجيولوجيون: ان الأرض وجدت منذ بليوني سنة والحياة منذ بليون سنة(١ × ١٠)^(٩)، وهكذا فإن الإمكانية الزمنية والحجم المادي لا يساعد في تحقيق ذرة واحدة مع إفتراض وجود الذرات

في مرحلة سابقة، والكون ليس ذرة واحدة، بل هو العالم المدهش بكل ما فيه. ونصل إلى تقرير هذه الحقيقة وهي أن الإرادة الإلهية وراء تكوين الكون وليس المصادفة.

٢ ـ النظام الكوني والطبيعة:

١ ـ الطبيعة هي مجموع القوى الفيزيائية والكيميائية المتفاعلة في الكون وهي قادرة ـ بشكل ما ـ على تفسير كيفية وجود الأشياء وارتباطاتها ولكنها بحاجة إلى من يفسرها.

«إن الحوادث الكونية نتاج الأسباب الطبيعية، إلا أن هذا التفسير لا يعدو أن يكون وصفاً للحوادث الموجودة.. وهذا ليس إلا التفسير الأعمق للكون والطبيعة، وما فيهما من قوانين محكمة يقول وحيد الدين خان: فما الكون.. إلا كمثل ماكينة تدور تحت غطائها.. لا نعلم عنها إلا أنها تدور. ولكن لو فتحنا غطاءها فسوف نشاهد كيف ترتبط هذه الماكينة بدوائر ورؤوس كثيرة يدور بعضها على بعض ونشاهد حركاتها كلها وهل معنى هذا أننا قد علمنا خالق هذه الماكينة بمجرد مشاهدتنا لما يدور داخلها»؟

٢ ـ إن الطبيعة بقواها الفيزيائية والكيميائية وتفاعلاتها ونظمها، تهدف للوصول إلى نتائج معلومة، تؤدي إلى نتائج معلومة مما نشاهد وما لا نشاهد من أعمال ونشاطات ووظائف تقوم بها الكائنات والموجودات لذلك فإن دراسة الطبيعة تعرفنا على ما يحدث وتحدد سبب الحدوث.

يضاف إلى كل ذلك أن كلمة طبيعة هي مؤنث كلمة طبع والطبع هو من خصائص شيء معين بعد وجود الشيء، وليس قبله فالسكر طبعه الحلاوة، وحدوث المطبوع (السكر هنا) ثم وفق عمليات سابقة على تطبعه بالحلاوة.

٣ ـ نظرية التطور (النشوء والإرتقاء لدارون):

سنحاول أن نوجز هذه النظرية فيما يلي:

١ ـ أن نظرية التطور والنشوء والإرتقاء ترى أن الحيواناتوالنباتات، كلها نشأت في البداية من أصل واحد، والإنسان كان قرداً ثم تطور حتى صار إنساناً، ودليل دارون على ذلك أن الإنسان يجد في طبقات الأرض متحجرات النبات والحيوان والإنسان، ويجد في كل طبقة متحجرات تختلف عن سابقتها، وكلما اقترب المتحجر من قشرة الأرض اقترب إلى الكمال، والعكس صحيح، وهذا يدل في رأيه على أن الأحياء لم توجد كلها مرة واحدة، فالإنسان ـ مثلاً ـ لا نجده إلا في الطبقة الرابعة، ويرى دارون أن نفس الشيء تبدل ليصير شيئاً آخر فالاسفنج تبدل زاحفاً بعد دهور.

ومن أدلة دارون على التطور: التشابه الموجود بين كثير من الكائنات ـ تطور النوع الواحد من الحيوان والنبات والإنسان بواسطة المحيط ـ الردة أي رجوع الأشياء إلى أصولها ـ الزوائد الأثرية الباقية في كثير من الأشياء الراقية ـ تنازع البقاء بأن ينقلب القسم الرديء من النبات والحيوان والإنسان إلى قسم أفضل، وذلك لحفظ الأرقى هذه جهة، والجهة الأخرى أن يتنازع القسمان من حيوانين أو الصنفان من حيوان واحد في البقاء، فيبقى القسم الأقوى ويهرب أو ينقرض الأضعف ـ انتخاب الأصلح من الأشياء، وهكذا فإن الخلية الأولى تحولت إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان ترقى إلى قرد ثم إلى إنسان وقد يترقى الإنسان إلى غير ذلك. . والحفريات والزوائد الأثرية وتنازع البقاء والردة تدل على انتخاب الطبيعة للأصلح.

نقد نظرية داوروين:

١ ـ إن نظرية داروين هي مجرد فرضية وليست كاشفة لقوانين علمية ثابتة، لأنها لم تدحض الافتراضات الأخرى لنشوء الكائنات.

٢ ـ إن إنتقال الصفات التي حصل عليها الحيوان بالممارسة إلى ذريته بالوراثة أكد العلم خطأها، إذ أن الصفات الوراثية محتوية في الجينات التي لم تشتق من خلايا جسيمة بل من جيروبلازم الأهل والأجداد.

٣ ـ من أين يمكن لدارون أو غيره أن يثبت بأن متحجر كل طبقة متطور عن متحجرات الطبقة السابقة، وما يدري دارون أن أول حياة وجدت على الأرض كانت خلية،مع أنه لم يشاهدها ولو في المتحجرات؟ وهل حفر صاحب النظرية أو غيره جميع أطراف الأرض ولم يجد في طبقات الأرض السفلى أثراً لإنسان ألم يعلم بأن (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود) ألا يمكن أن تكون عوامل التحجير لم تتوفر للإنسان في الطبقات السفلى؟.

كما أن طائر ذي أسنان أو فرس ذي أصابع لا علاقة له بالتطور إذ ما مانع أن يكون هذا المتحجر شاذ في الخلقة؟ ألا يمكن أن تكون بعض العوامل الطبيعية قد تقشت له أصابع؟ ألا يمكن أن يكون الطائر ذي الأسنان نوع من الطير انقرض كما يعترف دارون بانقراض أنواع من الطيور والزواحف والأسماك؟.

إن التشابه لا يستلزم أن يكون أحد المتشابهين أصلاً، والآخر فرعاً وعلى هذا فمن أين يكون الإنسان قد تطور عن القرد، ولما لا يكون العكس كما تقرر نظرية أحد العلماء الألمان؟

وهل للطبيعة علم بالأصلح لتبقيه؟ وربما تكون الزوائد في الكائن الحي ناتجة عن عوامل رحمية أو منوية، والقول بأن ذلك هو

الأصل كلام بلا دليل، وكذلك القول بأن الزائدة الدودية لا فائدة فيها، فهل بلغ الطب مداه وانتهى إلى غايته، مع أنه قد عرف الطب دورها أخيراً.....

وقد قال هيرز في نقده للنظرية: «إن الإستدلال بقانون الإنتخاب يفسِّر عملية بقاء الأصلح ولكنه لا يستطيع أن يفسِّر حدوث هذا الأصلح».

وإذا كان داروين، علمياً، في نظريته ولا يؤمن بالغيبيات كما يزعم فكيف آمن بانقلاب الخلية نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً أكان ذلك نتيجة تجربة؟ أم تكهنات وخيالات؟[1].

٤ ـ نظرية التولد الذاتي:

ـ ترى نظرية التولد الذاتي أنه بواسطة التخمير، تولد كائنات حية، فذباب اللحم ينشأ من اللحم ذاته، وفطريّات واحياء دقيقة ولدت من مواد عضوية ميتة وديدان نشأت في الأمعاء، وفي مخ الأغنام بشكل ذاتي، وهذا ما يلغي دور الخالق بشكل نهائي.

* **النقد:** في نهاية القرن التاسع عشر أثبت باستور بتجاربه العلمية أن الفطريات والجراثيم ما كانت لتولد لولا أحياءسابقة، مدّتها بالحياة، وإن هذه الكائنات العضوية الحية ما كانت لتحدث لو حفظت بمعزل عن الهواء أو إذا أدخل إليها هواء معقم، واستنتج باستور (إن الحياة لا تولد إلا من الحياة) وأخيراً قبعت هذه النظرية في زوايا النسيان[1]

---

(١) يراجع كتاب بين الإسلام وداروين.

(١) نقد الفكر المادي والديني: ص ٦٦ / عبد اللطيف بري.

ز ـ نعرف الله من خلال آثاره في الكون والحياة:

ـ إن كل شيء في الكون يجبرنا على أن نعترف بوجود الله المنظم للكون والحياة والخالق للقوانين والطبيعة.. ونحن نؤمن بوجوده من خلال آثاره ومخلوقاته، كما نؤمن بوجود الموجات الصوتية من خلال أثارها (الأنغام والأصوات) ولا شك أن هذا من بديهيات البحوث العلمية.

فإننا لو أتينا بأقوى ميكروسكوب في العالم لا نستطيع أن نرى ذرتي الأيدروجين وذرة الأوكسجين الموجودات في جزيء الماء، إنما نثبت ذلك عن طريق الإستدلال المنطقي..

كما أن قانون الجاذبية لا يمكن ملاحظته مطلقاً، بل بالطريقة المنطقية نؤمن به، وهل هناك إنسان يستطيع أن يتصور الجسيمات الموجات، أو أن يعبّر عنها بغير المعادلات الرياضية.

يقول ماندير: «إن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، فكيف يمكن أن نعرف شيئاً عن الكثير الآخر؟ هناك وسيلة وهي الإستنباط أو التعليل.

حـ ـ سؤال ساذج لا بد من الإجابة عليه: من خلق الله؟

الجواب: لتفسير مصدر الكون والحياة فإنه لا بد من الإعتقاد لوجود سبب أول ضروري الوجود وهو أما: الله بالنسبة للمؤمنين أو المادة بالنسبة للملحدين، وإلا فنفس السؤال يوجه للاثنين، فالذي يقول:

من خلق الله؟ نقول له من خلق المادة؟ كما أن اعتماد طريقة التسلسل لا يؤدي إلى نتيجة لأن التسلسل باطل لا يحل المشكلة.

ـ وبما أن الكون منظم حسب أدق القوانين العلمية، كان لا بـ

للمنظم الأول أن يكون عاقلاً . . .

ـ ولما كانت المادة غير عاقلة، وجب أن يكون السبب الأول هو غير المادة وهو الذي نسميه الله.

ـ وليس المهم الأسم بل اعتقد بوجوب وجود الأول العاقل القادر وسمّه ما شئت فإن له في كل لغة اسم.

نتيجة: نستنتج أن الصدفة، والطبيعة، والمادة، كل أولئك لا يمكن لهم أن يخلقوا هذا العالم لعدم توفر العقل والعلم عندهم ولأن فاقد الشيء لا يعطيه . . .

ط ـ الأسباب الطبيعية ووجود الله:

ـ (إن بعض الناس يسندون الظواهر الكونية إلى الله مباشرة وهذا ليس معْناه إنكار الأسباب إنما هو من باب الجريان في التعبير حسب المألوف، وحذف الأسباب جهلاً بها، وهو كقولنا: الدولة عبدت الطريق فهل يعني هذا أن الدولة بنفسها قامت بذلك أم أن الخبراء والمهندسين والعمال قاموا به)؟.

ـ (ولعل المقصود أيضاً أن التنوع والتطور الظاهر والخفي في الكون، يعود إلى أسباب طبيعية هي من صنع السبب الأول (الله).)

ـ ولا شك أننا نؤمن ـ في صلب منطقنا ـ بالأسباب. قال الصادق (ع): «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً (علامة مميزة) وجعل لكل شرح علمًا (العلامة تفيد اليقين)، وجعل لكل علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله».

ي ـ وحدانية الله:

١ ـ إن الوحدة في النظام الكوني هي الدليل على وحدانية الخالق: فلو

تأملنا المجموعة الشمسية رأينا أن الشمس تقع في مركز المجموعة وبقية الكواكب تقع في الأطراف وأن بين الشمس والكواكب فراغاً كبيراً... ولو لاحظنا الذرة لعلمنا أنها تتركب من نواه وكهربائيات موجبة (بروتون) وأخرى سالبة (الكترون) ومن ثالثة (نترون)... وهم يدورون حول النواة بسرعة ٢٠٠٠ كلم في الثانية.. ولو لاحظنا أيضاً أن نسبة البعد بين نواة الذرة والالكترونيات إلى قطر الذرة رأينا أنها تساوي نسبة مسافة البعد بين الشمس والأرض إلى قطر المجموعة الشمسية.

٢ ـ من خلال الوحدة والتشابه النسبي بين أصغر الكائنات وأكبرها نعرف بوضوح أن خالقها واحد... وهكذا فأن وحدة الخلق مرآة لوحدانية الخالق.

٣ ـ قال الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن(ع) «واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ورأيت آثار ملكه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه».

٤ ـ أضف إلى ذلك، أن الترابط الكوني بين القوانين الحاكمة والإنسجام التام، يدل على وحدة الخالق يقال سبحانه: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور...﴾ (الملك آية ٣).

٥ ـ ولو كان مع الله إلهاً آخر لانعدم الترابط الكوني وواقع الاختلاف والإختلال.. لان اختلالاً بسيطاً في نظام الذرة يكفي لتدمير مدينة كاملة، قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.﴾ (الأنبياء آية ٢٢).

وكتفصيل لما تقدم يقول أحد الكتاب المسلمين: «... التوحيد

حقيقة أساسية أولية يقوم عليها الوجود كله، ويشهد بها، فوحدة النواميس الكونية المتحكمة، لا بد أن تكون واحدة وكل ما في الكون في حركة دائمة منتظمة، تبدأ بالذرة لتنتهي إلى الكواكب التي تدور حول الشمس ثم المجرات والكتل السديمية واتجاه الدورة في الكواكب وفي الشمس وفي المجرة اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق، وعناصر الأرض والنجوم والكواكب مؤلفة من ذرات، والمادة كلها وأنواع الطاقة ترجع إلى أصل واحد، فالضوء والحرارة والأشعة السينية اللاسلكية والجيمية وكل اشعاع يعود إلى القوة المغناطيسية الكهربائية انها كلها ذات سرعة واحدة، وما اختلافها إلا اختلاف موجهة ويأتي انشتين في نظريته النسبية ـ ليكافىء بين المادة والطاقة وليقول بإمكانية تحويل المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة (الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء)،وكتلة المادة = الطاقة ÷ مربع سرعة الضوء.

إن وضوح هذه الحقيقة في الضمير البشري، ذو أهمية كبيرة في تصور الكون وتجديد مركز الإنسان فيه وعلاقة النأس بما حولهم من أشياء وأحياء، ثم في ارتباطهم بالله الواحد بحيث يكون التعامل تعاملاً صحيحاً مع معطيات التوحيد في العمليات الثلاث: الذهنية، والنفسية، والاجتماعية. لكي يترجم عملياً شعار التوحيد والرسالة (لا الله إلا الله محمد رسول الله)، في الشعائر والفكر والسياسة والسلوك والأخلاق والمشاعر والعلاقات بطريقة لا تتوزع بسببها طاقات الإنسان ومشاعره بين آلهة مختلفة الأمزجة[1].

ك ـ الكمال الإلهي ـ «ولله الأسماء الحسنى»:

١ ـ لا نستطيع تطبيق المقاييس المادية على الله، لأنه ليس بمادة بل هو خالقها (لا يكيف بكيف ولا يؤيَّن بأين) كما قال الإمام علي (ع)،

(١) نقلنا النص مع تعديل كبير وإضافات شتى.

وصفاته عين ذاته، وليست خارجة عنها، وقد قال الإمام علي (ع): «لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته (فهو) الذي تشهد له أعلام الوجود».

٢ ـ فمن خلال حدوث الأشياء وفنائها نعلم أنه أبـدي أزلي، ومن خلال التشابه بين الخلق، نعلم أنه لا شبيه له ومن خلال حاجة الموجودات، ندرك أنه غني ومن خلال تنظيمه للكون ندرك أنه عاقل حكيم، ومن خلال جمال الكون وكمالـه، نعلم أنه جميـل وكامل، ومن خلال نقص المخلوق في القدرة والعلم والعدل نعلم أنه قادر وعليم وعادل.. أنه أحد لا رب معه، وصمد ليس عاجزاً عن شيء، لم يلد ولم يولد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، (بان من الأشياء بالقهر لها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه)، من وصفه فقد حده، ومن حدَّه فقد عدّه ومن عده فقد أبطل أزله. ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه؟ ومن قال أين فقد حيزه (جعل له مكاناً): الإمام علي (ع).

صفات الله تعالى واسماؤه:

١ ـ **صفة الكمال**: الله تعالى: قادر، مختار، عالم، حي فريد، مدرك، متكلم، صادق، أزلي، أبدي، باق، عادل.

٢ ـ **صفات التنزيه**: لا شريك له ـ ليس محتاجاً ـ ليس مركباً ـ ليس محدوداً ـ ليس جسمًا ـ لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة ـ لا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان (محيط مهيمن).

وقد جاء في كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين علي (ع) يقول: «إن ربي لطيف اللطافة، فلا يوصف باللطف، عظيم العظمة فلا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كل شيء لا يقال شيء

قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمة، دراك لا بخديعة، هو في الأشياء كلها غير متمازج بها ولا بائن عنها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية بائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، جاعل لا باضطرار، مقدر لا بحركة مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة».

٣ ـ **أسماء الله تعالى**: منها ما ذكر في قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى. . . ﴾ (الحشر) آية ٢٣ ـ ٢٤).

ل ـ العدل الإلهي:

أ ـ «الكون هو جدول للقوانين العادلة باعتباره يُكشف عن حالة توازن كاملة تؤكد العدالة الإلهية.

ب ـ وهنا يسألون إذن: لماذا خلق الله الحشرات المؤذية؟
إن القضية أعمق من كل هذا. . أنها قضية الفناء الذي يحكم كل شيء في الوجود، لأن الحياة جسر إلى الآخرة ووجود ما يؤدي إلى التقدم في معرفة وبلورة النفس، والإستعداد لمواجهة الصعاب. وقد اكتشف أخيراً أنه بالإمكان استخدام سم الأفعى كمخدر للمصابين بالسرطان وان هذا العلاج لا يحمل أي مضاعفات بدل المورفين. . وكثيراً ما يكون الإعتراض ناشئاً عن الجهل بحكمة وجود ما نعترض على وجوده.

جـ ـ «**إذاً، لماذا يوجد الظلم في العالم**: ولماذا يسمح الله به؟ ألا يعني ذلك أن الله ظالم؟.

د ـ الجواب: إن الله وضع سننا كونية، فمن انسجم معها كان أقرب إلى العدالة، لأن دين الله لا يعترف بامتيازات ذاتية لأفراد على حساب الآخرين، والأكثر التزاماً بمنهاج الله هو الأفضل، والله تعالى لا يسمح بالظلم ولا يحبه ولكنه لا يجبر الإنسان على السلوك العادل، لأنه شاء أن يمنحه الحرية والإرادة والعقل وأوضح له الطريق، إكراماً وتفضيلاً، وسخّر له ما في السماوات والأرض، وأمره بالتوافق مع سنن الكون، بأن يعدل معها كما تعدل هي معه فيترقى ويتكامل.

هـ ـ «ويسألون أيضاً: **لماذا خلق الله الناس مختلفين في الكفاءات والمواهب:**

لا شك أن استعدادات الناس الطبيعية، ليست دائمًا متساوية، وذلك لأن الحياة والتطور يتطلب هذا الإختلاف، وإلا لتجمدت الحياة ولتوقفت عجلة التقدم.. فالاختلاف من صميم العدالة الإلهية (ولو تساوى الناس لهلكوا) وما دمنا لا نستحق شيئاً على الله فلما نتهمه بالظلم؟..

ز ـ «**لماذا خلق الله بعض الناس مشوهين أو معتوهين؟**

ـ للإجابة على هذا السؤال يجب أن نتعرف على غاية الوجود الإنساني:

١ ـ لا شك أن الوجود الكوني هو نتيجة حتمية للوجود الإلهي لأن الله هو الخالق، والخالق من طبيعته الخلق، وبما أن ولادة الإنسان لم تكن بإرادته، وموته، لم يكن وفق رغبته، فإن هدف الحياة لن يكون بالطبع ـ بيده، أما هدف الحياة، فقد حدده الله بقوله في حديث قدسي: «يا ابن آدم.. خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» فلا بد أن يخضع المخلوق لمن خلقه وأن يسير وفق

الخريطة الإلهية من أجل القيام برسالته في الحياة ولتحقيق مفهوم الخلافة الإلهية في الأرض أي أن يقوم بدوره الإبداعي الحضاري التطوري في الجانب المادي والروحي.

٢ ـ ولكي يتمكن الإنسان من الصمود والمثابرة على إكمال المسيرة كان من المناسب أن يوضع في اختبارات لتنصهر روحه وتقوى نفسه ويمتحن إيمانه فيستحق في النهاية وسام النصر على الذات والشهوات مع العلم أن هذا الإمتحان ليس أبدياً لأن حياة الإنسان قصيرة.. ولأنه مرشح للموت في كل لحظة.

٣ ـ وفرص السعادة متوفر للجميع حتى بالنسبة للمشوهين والمعتوهين لأن من حرم من عضو من أعضائه أو من موهبة من مواهبه فإن الله عوضه عنها بإمكانية «أخرى»[1]...

٤ ـ وفي كثير من الحالات فإن المسؤولية قد تقع على عاتق الوالد أو المصاب نفسه، وذلك لمخالفته لما قدر الله من قوانين، يترتب على مخالفتها نتائج غير مرضية، فما ذنب الله إذا كان الأب سكيراً وولد الطفل مريض الكبد...؟

م ـ الإنعكاسات العملية للايمان بالله الواحد

جاء في الحديث الشريف: (أيها الناس تخلقوا بأخلاق الله، وصل الصفات أولى من وصل الأعمال). من هذا المنطلق فإن الإيمان بالله الواحد ليس إيماناً تجريدياً وهمياً كما يظن الكثيرون من الذين يكتفون باعلان إيمانهم بالله، ويقفون عند هذا الحد، لا يطالبون أنفسهم بقضية الإلتزام بأوامر الله ونواهيه بل يدافعون دفاعاً جاهلاً خبيثاً فيقولون أن الهدف هو طهارة القلب وعدم إيذاء الناس، ونحن

(١) ألف باء الإسلام ـ هادىء المدرسي.

بغنى عن الإلتزام بالتكاليف والأوامر لأن هذه روح الدين.. وغاب عن هؤلاء أنه لا إيمان بدون عمل، وآثار، وأن الطاعة طاعة الله، وعبادته، هي ثمرة الإيمان به... ولمزيد من الوضوح سنعمد إلى تبيان بعض الإنعكاسات العملية للإيمان بالله على مستوى الفرد والمجتمع.

١ ـ الحاكمية لله وحده:

أ ـ يزعم الماركسيون واضرابهم من الملاحدة أن الدين يخضع للظروف المادية وتطور وسائل الإنتاج وأنه محكوم بالتاريخ، وينسون أن الدين ـ في حقيقته ـ هو المسير التاريخي والمهيمن عليه وأن لا يتأثر بالظروف بل يؤثر فيها.

ب ـ (وإذا كان التوحيد هو محور العقيدة، فإنه أصبح من المستحيل حصر مجال فاعليته في مجال واحد.. والمتعمق في أصول العقيدة الإلهية يلاحظ إتساع المساحة التي تشملها حقيقة التوحيد، سواء أكان ذلك في مجال المعارف والفلسفة والثقافة أو في مجال الإعتقاد والأنظمة أو في مجال القوانين الكونية، والتشريعات الإجتماعية.

جـ ـ والله تعالى هو الحاكم والمالك، لأنه منح الوجود وضمن إستمرارية وأن مجرد تصور الحاكمية الإلهية كاف للشعور بالعبودية والخضوع لله، وحاكمية الله تعني حاكمية الشريعة الإلهية وحاكمية الشريعة تعني سيادة الدين. قال تعالى: ﴿إن الحكم إلا الله يقص الحق وهو خير الفاعلين﴾.

د ـ إن العبادة تعني الخضوع والطاعة باعتبار أن حالة الشعور بالتفوق تؤدي إلى الطغيان وحالة الشعور بالإنسجام تخلق المحبة وحالة الشعور بالخضوع تعني العبادة لذلك حق لنا أن نستنتج

أن من مقتضيات التوحيد أن لا طاعة إلا لله، لأن الطاعةلغير الله فيما لا يرضي الله شرك بالله الواحد)[1].

هـ ـ والشرك على نوعين[2]:

الأول: الشرك الظاهر: وهو أن يرى الإنسان أن في الوجود مؤثراً غير الله، سواء أكان هذا صنمًا أم كوكباً أم شيطاناً، أم إنساناً أم ميولاً وأهواء.. أما مراتب التوحيد فأربع:

المرتبة الأولى : **التوحيد اللساني**: وذلك بأن يقول إنسان لا إله إلا الله، والقلب غافل أو منكر.

المرتبة الثانية : **التصديق القلبي بالتوحيد**: وهو أن قلبه يخلو من التكذيب بما أعلنه لسانه وهذا اعتقاد عامة الناس.

المرتبة الثالثة : **الإعتقاد بأن لا مؤثر في الوجود إلا الله**: أي أن الرزق والخلق والعطاء والمنع والحياة والموت والعفو والذل يعود بالنتيجة إلى الله.

المرتبة الرابعة : **الإنقطاع إلى الله**: وهو أن يغفل عن غيره ولا يرى في الوجود إلا واحداً وهذه المرتبة أعلى مراتب التوحيد. وقد ورد عن الإمام علي (ع) أنه ما رأى شيئاً إلا رأى الله قبله وبعده ومعه، وهذا يبين لنا المرتبة العليا من الاستغراق في عظمة الله سبحانه، والإنقطاع إليه،

ـ والشرك من أعظم الكبائر وموجب للخلود في النار (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). (النساء ٤٨).

---

(١) القيادة الإسلامية في الفلسفة والتشريع ـ جواد كاظم

(٢) يراجع كتاب جامع السعادات للنراقي.

الثاني: الشرك الخفي: وهو الاعتقاد بتأثير غير الله في الوجود، فيطيعه فيما لا يرضي الله، وقد أشار إليه سبحانه ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف ١٠٦).

والشرك الخفي على نوعين:

النوع الأول: عبادة الأهواء الذاتية: قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ آلهة هواه (الفرقان ٤٣).

«ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله». (القصص ٥٠).

النوع الثاني: عبادة الأشخاص: لا يتحقق التوحيد الخالص إلا بطاعة الله وحده وعدم طاعته إلا بما شرع وبأفراده في تصريف حياة البشر، ومنهج الحياة ونظام المعيشة وقوانين العلاقات وميزان القيم وأن التوجه إلى مشترعي الأرض وواضعي النظم من القادة والزعماء، هو تعد على حاكمية الله وعبادة لهم.

ـ سأل أحد الأشخاص الصادق (ع) عن معنى قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.
فقال الإمام الصادق (ع): أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون﴾.

ـ وقال معلم الإنسانية محمد (ص): «من استمع إلى ناطق فقد عبده فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق عن إبليس فقد عبا إبليس». ابليس رمز الشر.
وقال الصادق (ع): «لو أن قوماً عبدوا الله ـ وحده لا شريك له ـ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت، وصامو ا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله، أو صنعه رسول الله إلا صنع بخلاق الذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين».

٢ ـ الشعور بالحرية:

أ ـ المؤمن الموحِّد يشعر بأنه قد تحرَّر من عبودية ذاته وأهوائه ومن عبودية الناس وعبودية المادية.. ومن النظريات والنظم الظالمة، لأن الإيمان بالله الواحد، يعني الرفض الكامل للآلهة المزيفة فليس الوطن أو النفس أو العشيرة أو القومية أو العلم أو التقنية هي كل شيء بل ان احترامها ينبع من ارتباطها بمصدر الوجود أي بالله الواحد، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فطاعة الوالدين، وحب الوطن وطاعة الزعماء والمبادىء، يجب أن تتم في اطار حاكمية الله وألوهيته، ومنهجه الكامل للحياة.

ب ـ(قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا الله:/تلك هي العقيدة فاعبدون، تلك هي الشريعة (لا إله إلا الله) فلسفة في العقل وإنسجام مع الفطرة وشعور بالوجدان (فاعبدون)... إنها فاعلية في النفس بالحب والخضوع والتحرر، وحركة في الأبدان بالركوع والسجود، إنها منهج الحياة الذي يحقق السعادتين الدنيوية والآخروية.

جـ ـ(فإذا كانت السيادةواحدة، والعبادة واحدة، والطاعة واحدة، فلا خضوع لسيادة أو طاعة لأحد أو نظام غير نظام الله... وعلى هذا فإن النظام العنصري القائم في أفريقيا وأميركا والذي يجعل البياض في البشرة مقياس التفاضل وأن اللون له قيمة ذاتية يعترف بها ويخضع لها هو شرك بالله.. وكذلك النظم التي تعطي الطبيعة أو البيئة أو الطائفة أو الطبقة أو الرتبة أو السابقية تلك القيمة، هي نظم شرك وألوان متفرقة من عبادة غير الله[1].

---

(١) القيادة في الفلسفة والتشريع ـ جواد كاظم.

٣ ـ الشعور بوحدة الخلق:

أ ـ إن اعتقادنا بوحدة الخالق يستتبع الاعتقاد بوحدة الخلق لأن الإنسان إنسان، حيث كان وكيف كان والإنسانية حقيقة واحدة، فلا العرق ولا النسب ولا الوراثة ولا الوطن ولا الإقليم يميز إنساناً عن أخيه الإنسان.

ب ـ وكل الناس يشتركون في التكوين الواحد، كلهم لآدم وآدم من تراب.. وهكذا تعيش الإنسانية وحدتها الحقيقية تحت راية التوحيد والإيمان.

٤ ـ الشعور بالعون والرحمة الإلهية:

أ ـ إن الإنسان ليس أصلاً في العطاء بل هو مؤتمن على كفاءاته الممنوحة له من قبل الله والأصيل هو الله، ولما كانت حياة الإنسان مليئة بالمخاطر والأزمات وكان الضعف صفة ذاتية للإنسان فإنه قد يضعف عن مواجهة الصعاب وتتلاشى إرادته، فإن كان مؤمناً بالله الواحد، فإنه يحس بالقوة الإلهية تسنده وتعينه ليستمر في مقاومة الأزمات، أما الملحد فإنه ينها أمامها لأن ما يستند عليه من قوى مادية هي في حقيقتها محدودة الأثر والفاعلية لا يمكن أن تمده بالعون، بالإضافة إلى أنها تستمد قدرتها على التأثير من غيرها.

ب ـ ومن هذا المنطلق شرع الدعاء لاستمداد العون الدائم من الله فكان «الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض[٢]».

---

(٢) من محاضرة لسماحة الإمام موسى الصدر.

٥ ـ وحدة الأديان نتيجة لوحدانية الخالق:

أ ـ إن وحدة الأديان هي نتيجة حتمية للإيمان بوحدانية الخالق.. تلك الوحدة التي نسيها البشر.. وجعلوا الإله الواحد آلهة متفرقة، واستبدلوا دينه الواحد بأديان متحاربة ومتناقضة أو دفنوه في مقابر الطائفية أو التجأوا إلى الألحاد كحل لما يعتبرونه مشكلة..

ب ـ لذلك يقولون: انترك العصبيات الطائفية تقسم الوطن وتفتك بالروح الوطنية وتضرب وحدة الشعب وتقدمه.. أليس من الأفضل أن نعتمد على الإلحاد الذي يجمع ونضرب بعرض الحائط ذلك الإيمان الذي يفرق؟.

جـ ـ نقول لهؤلاء: هل تحل المشكلة إذا ألغيت الأديان.. ألا تحل أديان الأرض ومبادئها مكان أديان السماء.. ألا تبرز إلى الساحة أحزاب الشعوب بعصبياتها وتعبث بالقيم والأوطان؟.

إن الحل الصحيح هو أن نقضي على الجهل والتعصب في عالم الأديان وأن نعود إلى جذور الإيمان الصحيح القائم على وحدة الأديان، كما يعلم الانجيل والتوراة والقرآن.. وبذلك نضمن صحة المسيرة ونسير في طريق الله القويم.

والخلاصة:

ـ إن مجتمعنا الذي يسعى للتقدم، سوف لن يصل إليه، الأبعد أن يراجع حساباته من واقعه النفسي والفكري والمادي وأن التقليد الأعمى للغرب والشرق لن يخدم مصالح هذا المجتمع بل يخدم أصحابه ومصدريه، وخصوصاً أن التقدم الأوروبي لم يشمل جميع نواحي الحياة ولذلك يقول الباحث الإجتماعي (سوركين) أن الحضارة

الأوروبية تزيد غرائز الإنسان حدة وتدفعه إلى الاعتداد نحو الحيوانية وأن حركة التقدم في العالم هي نشيطة في الماديات وبطيئة أو منعدمة في المعنويات والأخلاقيات، وهذا التأخر ينتج تأخراً اجتماعياً، وهو يعرف عند علماء التاريخ والاجتماع باسم الركود الحضاري.

وقد قال موريسون : «ان الإحتشام والسخاء وعظمة الإخاء والقيم والمشاعر السامية لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد... (و)... لسوف تقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين سوف يتحول النظام إلى فوضى سوف ينعدم التوازن وضبط النفس.. سوف يتفشى الشر في كل مكان إنها لحاجة ملحة أن نقوي صلتنا وعلاقتنا بالله».

وقال شاعر قديم:

فواعجبا كيف يُعصى الآله ... أم كيف يجحده الجاحد
وله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقال إبن عربي في الفتوحات المكية:

إنك لا تقدر أن تنكر ما ترى، كما أنك لا تقدر أن تجهل ما تعرف، وأنت تعلم به علم اليقين، وهو حروف وكلمات وسور وآيات تنطق بوجود كاتبها: وهو الله وإن لم تره، فالوجود قرآن الله الكبير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

المفهوم التجريدي للإيمان بالله:

إن حركتنا (أمل) حركة إيمانية، إذ أن ثقافتها وفكرها ونظام ممارستها يقوم على أساس إسلامي ـ كما هو معلوم ـ ولقد مضى على المسلمين حين من الدهر كان فيه هذا الإيمان الحي إيماناً ميتاً في نفوسهم موجهاً

لصنع الآخرة فقط دون ربطها بالدنيا مع أن الإيمان الواقعي يهدف إلى صنع الدنيا والآخرة معاً.

ولقد كانت حالة هؤلاء مشابهة تماماً للذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر وكانت النتيجة، أن نال هؤلاء الخزي في الحياة الدنيا (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب[1]).

إن المفهوم التجريدي للإيمان بالله يعني الفهم المشوه، الذي لا يرتكز على أسس صحيحة، قادرة على أن تتفاعل مع الحياة أو تؤثر فيها، إنه الإيمان السلبي الجامد الذي ينعكس على المجتمع تخلفاً وانحطاطاً، ولقد ساهم الإستعمار الملحد بوسائله وإغراءاته في تركيز هذا الفهم السقيم لخوفه على مصالحه وسيطرته العالمية.

إن التجريدية الإيمانية هي الفهم والسلوك غير المرتبط بمعطيات الحياة اليومية وقد نجد بعض من نسميهم اتقياء أي أنهم يصلون ويصومون ويحجون، ولكن عندما يتصل الأمر بالحياة العامة، السياسية والإجتماعية، نراهم ينسون تقواهم وإيمانهم ليربطوا تصرفاتهم وإمكانياتهم وأحلامهم وأمانيهم بالإقطاع السياسي، والدجل السياسي والهرقطة السياسية، والزعامة الإجتماعية القائمة على أسس الجاه الفارغ الموروث، أو الغنى والثروة أو القوة والكبرياء..

وهل يمكن أن نفهم كيف أن إنساناً يلتزم في جانب ما نطلق عليه مصطلح العبادات، بالشرع الإلهي، أما في حياته وعلاقاته مع الناس والمجتمع فيلتزم بنهج الكافر أو الفاسق.

إن هذا الإيمان، إيمان نجّاني، لا يكلف شيئاً، لأنه لا يتعارض مع شبكة الحياة السياسية والإجتماعية، غير الإسلامية، وهذا الإيمان

(١) البقرة الآية ٨٥

مسؤول إلى جانب اللا إيمان، عما أصاب الإسلام في لبنان والعالم من تراجع..

وذلك يرجع إلى أنه لا يملك القدرة على التغيير اطلاقاً بل أنه في بعض الحالات نجده يثبت الواقع الفاسد ويحميه أنه إيمان خامد سكوني، لوقوفه بوجه التغيير الكاشف عن جوهر الإيمان الإسلامي الحقيقي إذ (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[٢]). والإيمان التجريدي يمكن الحديث عنه من عدة زوايا:

١ ـ الإيمان الطقوسي:

وهو الإيمان الذي يحصر العبادة في ممارسات فارغة من المحتوى التثويري، لذلك ينصب على الأشكال الخارجية، مع العلم أن مجال التكامل النفسي هو الحقل الإجتماعي، وأن المعاناة الجهادية تسير في اتجاهين: اتجاه الذّات واتجاه المجتمع فيتقوقع هكذا مؤمن على ذاته مغلقاً باب روحه، على ممارساته التعبدية، كما يغلق باب بيته ليؤدي ذاك الطقس الميت الذي لا يعرف له معنى. هذا الإيمان، هو الإيمان المنفصل عن الحياة والذي هو نتيجة للمفاهيم الأوروبية عن الدين والإيمان، والتي تتمحور حول مبدأ فصل الدين عن الحياة والسياسة والمجتمع، ولقد غدا هذا الإيمان المزعوم صلاة ركعات وصيام أيام معدودات، وأفرز هذا الفهم عقلية هروبية عند ادعياء الإيمان، فرفضوا التعامل مع الناس بحجة أنه حرام، ورفضوا الإهتمام بأمور المجتمع بحجة أن لا علاقة للدين بالسياسة.

٢ ـ الإيمان الطائفي:

هذا النوع من الإيمان ينم عن عقلية ضيقة، وذهنية جامدة

---

٢) الرعد آية رقم ١١.

وعقيدة فاسدة، وهو بالتالي سبب التفرقة والتنابذ والعامل الأساسي في ضرب وحدة الأمة التي أكدت عليها الرسالة الإلهية:

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا[1]»

«ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[2]»

والواقع، أن التعصب الطائفي هو خطر حقيقي على الإيمان الواقعي، لأنه مطية الاقطاع والمحتكرين والمستغلين والمتزعمين وأن هناك فاصلاً أساسياً بين الإيمان الحق وبين إيمان المتسترين بالشعارات والشعائر.

٣ ـ الإيمان الوراثي:

بعض الناس يفهمون الإيمان، لا على أساس أنه صفة تلازم النفس وسلوك يجسِّد المبدأ، وينسجم مع الخريطة الإلهية المرسومة للبشرية، بل على أساس ما ورثوه من آبائهم، وما حصلوا عليه من اسم يكتب على هوياتهم الشخصية مع تناقض سلوكهم وعقيدتهم، وتضاربها مع أصول وقواعد السلوك المطلوبة، لذلك فإيمانهم إيمان عنصر إيمان وراثي، وليس صفة تلتصق بشخصياتهم[3]...

ونضرب الآن مثالاً على الفهم التجريدي للنصوص الإسلامية:

جاء في الحديث الشريف: «ومن أحبنا فليعد للفقر جلباباً».

هذا الحديث يفهم عند المؤمن التجريدي بأن هناك تلازماً بين النهج الإسلامي وبين المظلومية الدائمة والفقر والضعف و«الدروشة»، وهذا التفسير يكشف عن نوعية الوعي الإيماني، إذ أن هناك حالتين للمعرفة:

---

(١) آل عمران ١٠٣.

(٢) الانفال آية ٤٦.

(٣) أضواء على ميثاق حركة أمل

الأولى: خزن العلم والمعرفة.
والثانية: هضم المعرفة والوعي.

ـ والعلم الصحيح هو العلم الذي يغير الشخصية ويصنعها، ويخلق الوعي وينميه، والفهم الصحيح لهذا النص لا يكرس التلازم بين الإيمان والفقر قرب إنسان غني، عنده كامل الاستعداد لأن يكون فقيراً، ويتحمل المآسي والعذابات، بسبب إصراره على عدم الإنحراف عن النهج الإسلامي.

س ـ الإيمان بمعناه الحقيقي:

الإيمان بالله يعني التسليم والخضوع للخالق في كل شيء، فكراً وسلوكاً، ويتمثّل بتنفيذ أوامره والابتعاد عن نواهيه وعدم الإستهتار أو إدعاء المرونة، فلسنا أعلم من الله في خلقه، ولسنا أرحم من الله بعباده يقول تعالى:

«وإن هذا صراطي مستقيمًا ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبله[1]».

وبطريقة أخرى نقول إن الإيمان بالله هو (الإرتباط الكامل بالله الكامل الباعث على الحركة التقدمية للإنسانية والتي هي نتيجة حتمية للإيمان بالكامل المطلق). ـ والمؤمن الحقيقي لا يرى انفصالاً بين المسألة الإجتماعية والمسألة الآخروية، التي هي من وجهة النظر الواقعية في خدمة المسألة الإجتماعية، والسعائر التعبدية أيضاً تهدف إلى تكوين الصمود الثوري والإرادة الواعية المطمئنة للارتفاع بنفس المؤمن فوق الاغراءات والمصالح الذاتية للقيام بالمهمات الإجتماعية، وتحقيق العملية التغييرية، في النفس والخارج.

---

(١) الانعام آية ١٥٣.

وهكذا يغدو شعار «الدين علاقة فردية بين الإنسان وربه» شعاراً فارغاً، لأن الإيمان الحقيقي لا يفصل بين الدين والدنيا والدين حقيقة واحدة لها وجهان: روحي واجتماعي، وكلاهما لا ينفصلان وبتفاعلهما يتحول الدين إلى أداة ثورية. ـ والإيمان الحقيقي هو الإلتزام الكامل بالمبادىء الإلهية وتجسيدها في الواقع الإجتماعي وفق الخرائط السماوية، المعدة لبناء الحياة الإنسانية والتي تشمل:

ـ قواعد لبناء الشخصية (ممارسة الشعائر التعبدية التربوية)
ـ قواعد لبناء الأسرة (قوانين تنظيم العلاقات الأسروية)
ـ قواعد لبناء الحياة الاجتماعية (الجانب الإنساني ـ الجانب الفكري ـ الجانب السياسي ـ الجانب الإقتصادي).

ولا بد للمؤمن من ملاحظة الأمور التالية عند تطبيقه لأوامر الله تعالى:

١ ـ تعزيز الرقابة الذاتية، ومحاسبة النفس مما يوثق العلاقات بين الناس ويصون سلوكهم.
٢ ـ الأخذ من الدنيا بقدر على أن لا تستعبدنا، وفي إطار فعل الحلال وإجتناب الحرام على أن تكون الدنيا محطة عمل واختبار لا مكان استقرار.
٣ ـ رؤية الأهداف البعيدة (الآخرة) التي تشكل الدافع للعمل والاخلاص دون الارتباط بسفاسف الأمور والمطامح الدنية، أو اليأس من الوصول إلى ما يبتغي الإنسان وذلك أملاً بالفوز في الآخرة.

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى يصيبك من الدنيا». ولإيضاح الفكرة تعود إلى القرن الثالث الهجري، حيث تكرس مفهومان للإسلام والإيمان:

١ ـ إسلام الدولة وهو يعطي لأصحابه الأمان والشرعية السياسية.

٢ ـ الإسلام الصافي (إسلام ثورة أهل البيت[٥]).

أما إسلام الدولة، فقد أخذ يتحول شيئاً فشيئاً إلى إيمان تجريدي ويقابله الوجه الثاني أي الإيمان الحقيقي، ولكن في القرون الأخيرة سرت العدوى إلى الإسلام النقي، فأصبح الإيمان التجريدي شائعاً بين الناس، وأصبح الإسلام منعزلاً عن حياة الناس. وحركة أمل لا تقوم على الإيمان التجريدي بل على الإيمان الحقيقي الحي، وهو الذي يدخل المعاناة اليومية للناس في صلب إيمانهم وإسلامهم. هذا هو إيمان أهل البيت[٤] الذي تتوحد فيه كل الأشياء، فلا يعود هناك ثمة فاصل بين جامع ومدرسة، وبين دين وحياة، بل تتوحد فيه جميعها ويتوحد فيه الإنسان أيضاً.

مثال من السيرة:

ونحن نعلم جميعاً أن الرسول (ص) عندما بدأ في مكة بدأ في بيت الأرقم وكان هذا البيت أول مركز لتخريج الروّاد (الكوادر) في الإسلام، إذ أنه كان يحضر بينهم ليثقفهم ويدربهم ويعلمهم، واستمر في عمله ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنوات في المدينة، خرج خلالها الكوادر المؤمنة التي حكمت الأرض لفترة زمنية طويلة جداً.

فإلى أين يقودنا هذا الإيمان الحقيقي:
وكيف يغير واقعنا؟

نحن نعتبر أن وجودنا وعملنا في حركة أمل هو من أجل التغيير، فالحياة في المجتمع تارة، تكون حياة فردية أنانية وتارة أخرى تكون حياة رسالية.

---

(٢) من بحث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين حول الميثاق.

فكل تجمع بشري لا بد له من مضمون، ولقد وضعت بدل الإسلام في مجتمعاتنا المضامين العلمانية، وأعطيت خصوصية القومية حتى تكون جامعة للناس، والملاحظ أن عامل الخوف هو الذي يدفع إلى هذا التجمع، وهذا عامل سلبي، كما أن القومية عامل سلبي أيضاً لأنه يرفض الآخرين ويجمع نفسه، إلا إذا أعطيت بعد إيمانياً وربطت بالمفاهيم الدينية التي لا تصنِّف ولا تميِّز.

والعلمانية لا تتنافى مع الإيمان التجريدي، بل أنها في مواجهة الإيمان الواقعي العملي.

إن وظيفة حركة أمل في لبنان، باعتبارها حركة تتمثل بالإيمان الحي، بناء المسلكية المؤمنة للقيادة والأعضاء والجمهور.

إنها حركة وليست جموداً، إنها حياة وليست صنمًا، إنها تؤمن الفرصة ليتحول الإنسان إلى إنسان قيادي ، ومصدر حياة حقيقية لمجتمع متخلف، وهذه هي قضيتنا الكبرى ومسؤولياتنا العظمى، ونحن محاسبون عليها أمام الله سبحانه.

ولا شك أن كل إنسان منا، قادر على بلوغ هذا المستوى، إذ وفَّر لنفسه شرطين:

١ ـ المعرفة والعلم والثقافة والممارسة الصحيحة
٢ ـ الاخلاص لله سبحانه وتعالى.

وواضح أن التغيير البشري هو فعل إلهي، وهو هدف نبوي وخط للتابعين لهم بإحسان، أن التغيير هو في طريق العمل النبوي الرسالي:

قال الرسول (ص) لعلي (ع): «يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت».

وعلى هذا فإن التدين التجريدي هو حالة مرضية في داخل المجتمع المؤمن، وكما كانت الماركسية ـ مثلاً ـ ظاهرة مرضية وأزمة داخل المسيحية أسقطت منها الجانب الروحي، فإن التصوف، والسلبية في الإيمان، تحاول إسقاط الجانب المادي والحياتي من الإسلام ومن هنا فإن واجب الحركة أن توجد حالة التكامل والتوازن، فلا حياة بلا إيمان ولا إيمان بلا حياة.

وخلاصة الكلام أن الإيمان التجريدي هو الإيمان الذي لا يلتمس ولا يتفاعل مع المشكلات اليومية للناس، والذي يبقى في حدود النظرية وفي حدود الممارسة الشخصية الأنانية ولا يتعداها إلى الإلتزام الحقيقي بقضية المستضعفين في الأرض.

قال تعالى: ﴿ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً[1]﴾.

فالإيمان التجريدي، هو الإيمان الذي ساد طوال قرون طويلة بين المسلمين، ونتيجة له انحسر الإسلام عن كونه قوة محركة في الحياة اليومية للمسلم، في المجتمع، ومن هنا حدث أمران،

أولاً: أنه أتيح للطغاة أن يكبروا ويستكبروا، (طغاة كبار أو صغار أو أقزام)، لأنه بانحسار الإسلام تفقد المقاييس الإيمانية للعمل، وتحل مكانها مقاييس مادية وبذلك يسيطر الخضوع والذل على المجتمع.

ثانياً: وجدت حالة العبودية والإستضعاف في الناس وهذا كله بسبّب الخمول والإنهزامية والسلبية في المجتمع، وبقي هذا كله ينخر

(١) النساء آية ٧٥.

في صميم الشخصية الإسلامية، إلى أن جاء العصر الحديث، وجاء الإستعمار فسيطر على عالم إسلامي مهزوم من الأساس. . وحصلت اليقظة الإسلامية نتيجة لهذه الصدمة، ونتيجة لجهاد والمجاهدين، فبدأ العالم الإسلامية، يستعيد عافيته، ونرى الآن الذروة العظمى في إيران، إيران الثورة الإسلامية التي تطرح الإسلام كصيغة مقابل الصيغة المادية الملحدة بشكليها الماركسي والعلماني.

إن الإيمان هو الأساس لنشاطاتنا الحياتية وعلاقاتنا الإنسانية:

إن النشاطات الحياتية للإنسان تقسم إلى قسمين:

١ ـ نشاطات شخصية (النشاطات المتعلقة، بالأكل، والشرب، واللباس والزواج والسكن)

٢ ـ نشاطات عامة (التعامل مع المجتمع ـ التعامل مع الأنظمة ـ التعامل مع الأفكار ـ إنشاء العلاقات والتعامل على أساسها).

إن جميع هذه النشاطات الشخصية والعامة محكومة بهذا الإيمان الذي يجدد باستمرار ثقتنا وعزيمتنا، حينما ندرك أننا لسنا منسلخين عن حقيقتنا، ولسنا مبتوري الجذور، ولنتذكر سورة الكوثر، يقول سبحانه:

﴿ إن أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر ﴾. الحديث موجه، هنا من أبي لهب، إلى الرسول محمد (ص) عندما اتهمه بأنه ابتر لا عقب له، والبتر له مفهومان:

أ ـ المفهوم المادي: الأبتر بالمعنى المادي أي الذي لا ذرية له.

ب ـ المفهوم المعنوي: أن يكون بلا جذور حضارية وفكرية وعقيدية.

ونحن لسنا مبتورين، لأننا نشكل موجة حضارية ظاهرة،

مقدسة من موجات الحركة الإنسانية الإيمانية، على مدى التاريخ، والثقة المتجددة نستمدها من الله تعالى، ربنا مانح القوة والإرادة وعزائمنا تقوى بالارتباط بالله.

إن جذورنا تمتد إلى أعمق أعماق التاريخ البشري وإيماننا بالله يزيد من طموحنا، لأن طموح الإنسان يقاس، بعظمة الغاية، وقربها وبعدها، وبمدى الإمكانات والوسائل المتوفرة. **فالإيمان بالله هو الذي يجدد باستمرار ثقتنا وعزيمتنا، ويزيد من طموحنا ويصون بدقة سلوكنا** وذلك لأن الإنسان المادي الذي يستمد ـ كما يزعم ـ مقومات نضاله من معطيات مادية فإن طموحه محدود، ومحكوم بمقاييسه المادية، كما أن طموح الإنسان المؤمن، فلأنه موصول بالله القادر على كل شيء، هو بلا حدود لأن الله تعالى غير محدود. ولإيضاح الفكرة نرى أن مفهوم الإستحالة بالنسبة للإنسان ليس موجوداً في القرآن والإسلام بشكل عام، فالإنسان في التصور الإسلامي قادر على كل شيء بإقدار الله له.

جاء في الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي، أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون». والقول هنا ليس باللسان، إنما هو (بالفعل).

وهكذا فالإيمان كما يزيد الطموح، فإنه يصون السلوك، والسلوك الذي لا يكون محكوماً بحدود، لا يقف بوجه شيء، وكل المحرمات محللة عنده، وهذا ما تتصرف على أساسه القوى الأساسية الإلحادية والعلمانية، إذ لا حدود شرعية أو أخلاقية لسلوكيتهم. أما السلوك الإيماني فإنه محكوم بالحكم الشرعي سواء كان سلوكاً فردياً أو اجتماعياً، وعلى هذا فإن الإيمان بما له من مظهر تشريعي يصون بدقة سلوكنا، باعتبار أن المؤمن لا يستطيع بحال، انطلاقاً من إيمانه أن يفكر بأن (الغاية تبرر الوسيلة) أو أن يقدم على أعمال تضر بالنفس أو بالغير.

الإنسان مقياس التشريع:

إن حركة أمل تؤمن بالإنسان، لأنها تنطلق من الإيمان بالله. إذ أن المقياس الرئيسي للتشريع الإلهي هو الإنسان، والاهتمام بشؤونه وتأمين:

١ ـ وجوده.
٢ ـ وحريته.
٣ ـ وكرامته.
٤ ـ وعظمته.
٥ ـ ورسالته في الحياة.

والمخطط الإيماني ينظم للإنسان عدة علاقات:

١ ـ علاقته مع الله.
٢ ـ علاقته مع نفسه.
٣ ـ علاقته مع الناس والمجتمع.
٤ ـ علاقته مع الكائنات والموجودات.

والهدف هو تحقيق الإطمئنان النفسي، وتحصيل السعادة الفردية والإجتماعية في حياته بسلامة المسيرة، بحيث يرتاح إلى مصيره في الآخرة. وإذا كان المنهج الإلهي يهتم بالإنسان فإنه يحث على الإهتمام به كإطار للطاعات التي تؤثر على قبول الأعمال كلها في بعض الأعمال والأحيان وقد جاء في القرآن الكريم:

«أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين[1]».

فالإيمان بوجود، وحرية وكرامة الإنسان، هو من مقتضيات

(١) سورة الماعون

الإيمان بالله الذي يعني الإتصاف بصفاته الكمالية، وكسبها، والتحرر من أضدادها، إن المنهج الإيماني يعتمد على الخامة الإنسانية التي تتجاوز في قيمتها كل شيء، لأن العناصر المادية، وما ينتج عنها، وما يتعلق بها بموجب القرآن، هي مسخرة للإنسان.

قال تعالى: ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً[٢] ﴾.

أما المادية الإلحادية أو العلمانية، فإنها تعتمد على المعطيات المادية غير الإنسانية، وعلى المواد الخام..

وفي حكاية الله سبحانه عن قول الكافرين المعاندين لبعض الأنبياء، في معرض الإستهزاء بهم:

«فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذ لنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين[٣]». هؤلاء الأرذال أليسوا أناساً؟ هؤلاء الفقراء والمساكين بشراً؟!.

إن الكفرة من الملاحدة والعلمانيين لا ينظرون إلى الإنسان كجوهر، بل ينظرون إليه كعرض، والجوهر في رأيهم هو العرض.. فهؤلاء أراذل لأنهم من المستضعفين ومن الفقراء. ولو كانوا من الأثرياء (أو الأقوياء أو ينتسبون إلى عائلات تزعم أنها شريفة لكانوا غير أراذل».

وقال تعالى: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾[٤].

---

(٢) الجاثية آية ١٣.
(٣) هود آية ٢٧.
(٤) الأنبياء آية ١٠٥

إذن فالإنسان هو الرأسمال الحقيقي، ورسالته في الحياة هي أن يتكامل أي أن يكون مظهراً للتكامل الإلهي الذي وضع الله صيغته في القرآن الكريم والسنة الشريفة «يا أيها الإنسان أنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه[٥]».

إنه سير مستمر تصاعدي في سبيل الكمال، والحقيقة أن الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله. فحينما نؤمن بالله الإيمان الحقيقي الملتزم بقضايا البشر لا يبقى لدينا شيء على الأرض نؤمن به غير الإنسان، إذ أن الترجمة العملية لارتباطنا الصادق والحي بالله، هو التزامنا الصادق والحي بالإنسان.

وهذا البعد غير قابل للفصل لأنه بعد عضوي وحيوي، وجميع الأديان السماوية تؤكد على هذه الحقيقة، وتهدف إلى إسعاد الإنسان[٦].

ونؤكد أخيراً أن الإيمان لا ينفصل عن التطبيق، والعمل، فقد جاء في الحديث الشريف: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». وقال الصادق (ع): «الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل».

(٥) الانشقاق آية ٦

(٦) من بحث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين حول الميثاق.

البحث التاسع

مبحث النبوة والإمامة

محتويات البحث

تمهيد

١ ـ ضرورة ارسال الرسل

٢ ـ معنى النبوة والرسالة وغايتهما.

٣ ـ ظاهرة الوحي.

٤ ـ التجديد في الرسالات السماوية.

٥ ـ دليل النبوة.

٦ ـ صفات الأنبياء.

٧ ـ الإمامة امتداد للنبوة.

٨ ـ شروط الإمامة.

٩ ـ استراتيجة العمل السياسي والعسكري عند الأئمة «ع».

١٠ ـ الإمامة مسؤولية وقيادة نحو الأكمل.

١١ ـ الإنسان والكمال.

١٢ ـ الدعوة الإلهية.

١٣ ـ شمولية الدعوة.
١٤ ـ خط الأئمة «ع» ايديولوجية القادة
١٥ ـ رسالة الدين واحدة
١٦ ـ الحركة الحسينية
١٧ ـ مرحلة التأويل.
١٨ ـ مفهوم بيت المال
١٩ ـ الشهادة مسؤولية أصيلة في القادة.
٢٠ ـ استمرار عاشوراء.

مبحث
النبوة والإمامة

تمهيد:

قال تعالى: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن، قال اني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين[1]﴾.

لقد حان للأمة أن تتحسس بقضاياها المصيرية، وأن تضع نفسها أمام مسؤولياتها التاريخية المتجسدة في عملية تغيير ناجح، وفق مخطط ثوري واقعي، يبتدأ بالمحاسبة الذاتية، وينتهي بعزل القيادات الفاسقة أو الملحدة.. بعدما ذاقت الأمة عظيم الويلات من مناهج، ليس فيها من الثورية إلا الشعارات، مع الإلتفات إلى رفض الزعامات الفارغة من آلهة الجاه والمال والاقطاع، من الساسة وتجار الأحزاب والمبادىء والأديان.

ـ ولا بد للمؤمنين، أصحاب المصلحة في التغيير، من التحرر من تأثير الدعاية المغرضة والأفكار الرجعية الجاهلية المعلبة، وأن يعودوا إلى الفكر والنفس لتحقيق المنهاج الثوري المحدَّد من قبل العالم بالحياة والمشكلات، والذي هو في مفهوم العلم الصحيح، تجذرّ إلى روح الحياة والتعامل معها تعاملا يخلق الإنسجام مع قوى الكون

(١) البقرة آية ١٢٤.

لتأمين ضمانات المجتمع المتقدم الراسي على قواعد ثابتة ضامنة لإنسانية الإنسان وحقوقه في الحياة.

ـ إنطلاقاً من هذه القناعات، كان البحث في مسألة النبوة والإمامة، من الأبحاث التي تتعلق، بشكل صميمي، بقضية التغيير المرتقب، لأنها الكشاف المنير، الذي يشير إلى النقاط المميزة، وسيتناول البحث النقاط التالية: ضرورة إرسال الرسل معنى النبوة والرسالة وغياتهما ـ ظاهرة الوحي، التجديد في الرسالات ـ دليل النبوة ـ صفات الأنبياء ـ الإمامة كامتداد للنبوة ـ شروط الإمامة ـ استراتيجية العمل السياسي والعسكري عند الأئمة ـ مسؤولية الإمام القائد (ع) والشهادة.

أ ـ لقد كان إرسال الرسل ضرورياً لحياة الإنسانية لسببين:

الأول: تأمين سعادة الإنسان الآخروية:

١ ـ قال سبحانه في حديث قدسي: (قل لعبادي، لم أخلقكم لأربح عليكم ولكن لتربحوا عليّ) أي للحصول على سعادة الآخرة.

٢ ـ وقد بين الأنبياء تأثير الأعمال الدنيوية على وضع الإنسان الآخروي المحكوم بمقاييس تختلف عن المقاييس الأرضية.

الثاني: تأمين النظام الإجتماعي العادل لتحقيق السعادة في الدنيا: ويطرح هنا السؤال التالي:

أ ـ(هل نعتمد على العقل البشري في وضع النظام الأصلح؟

ب ـ الجواب: إنه ليس بمقدور العقل الإنساني أن يدرك النظام الصحيح المنسجم مع طبيعة الإنسان والكون لمحدوديته وتأثره بسلسلة الظروف والملابسات المحيطة به.

ـ والنظام المنبثق عن الإنسان لا يطور الإنسانية لأنه يعكس الواقع النفسي لواضعه، فيستحيل عليه:

١ ـ إيجاد التوازن العادل بين حاجات الأفراد.

٢ ـ تحديد علاقات الأفراد التي تسمح باشباع تلك الحاجات، ويشبِّه أحد العلماء حال واضعي النظم البشرية، في تحقيقهم للعدالة بحال الرجل الذي يزن مجموعة من الضفادع، فما أن يضع عدد منها في كفة حتى يجد أن ضفادع الكفة الثانية قد قفزت إلى الماء مرة أخرى.

جـ ـ وقد يقال نأخذ النظام من **الفلسفة**:

د ـ الجواب: إن للفلسفة مذاهب شتى، فهل تعتمد المادية أم المثالية، وبأية مثالية نأخذ بالفلسفة القائلة بوجود الواقع الموضوعي الذي لا نستطيع إدراكه أم القائلة بعدم وجوده.. وأي مادية نتبنى، المادية الميكانيكية أم الديالكتيكية)[1]

ـ يقول الدكتور الكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): إن مبادىء الثورة الفرنسية وأفكار ماركس ولينين لا تطبق إلا على الإنسان العقلي المثالي).

هـ ـ ويقولون نأخذ الشريعة من **العلم**:

و ـ ونقول: إن محدودية الإنسان تتعدى الحياة الإجتماعية الحسية التجريبية لذلك يقول سوليفان: (إن الكون الذي كشفه العالم الحديث هو أكثر غموضاً من التاريخ الفكري كله فنحن نواجه اليوم الإبهام والمتناقضات من كل ناحية).

ز ـ وقد أثبت العلم أن مدى فاعلية الحواس محدودة ومقيدة فالأذن تستطيع سماع الأصوات التي تتراوح ذبذبتها الصوتية بين ١٥ و ٢٠ ألف ذبذبة في الثانية، ولا يمكنها أن تسمع فوق ذلك أو دونه.

---

(١) راجع النبوة والعقل ـ محمد جواد مغنية.

والعين البشرية لا تقدر إلا على رؤية الأجسام التي تتذبذب ٢٠ و ٤٠ ذبذبة في الثانية والتي تتحرك بسرعات أقل من سرعة النور وكل جسم يتحرك بسرعة النور (٣٠٠ ألف كلم في الثانية) يختفي عن الأنظار، ولا يمكن للعين مراقبته بأي نوع من أنواع الأجهزة، ولو أن العين كانت تدرك، مثلاً موجات الأشعة السينية لبدت لها الدنيا مختلفة عما تراها الآن[٢].

حـ ـ أمام هذه الحقائق تحتم أن يكون النظام الإجتماعي ممن ليس خاضعاً للوراثة أو الظروف أو المحدودية. بحيث يكون مهيمناً على كل شيء، محيطاً بكل شيء، يعلم المصلح من المفسد، ذلك هو الله رب العالمين، الذي أثبت وجوده ووحدانيته وكماله بالدليل العقلي والبرهان العلمي والشعور الفطري.

ط ـ إن العدالة الإلهية هي القانون العام الذي يحكم الوجود وكل موجود، ومن هنا كانت قضية بعثة الأنبياء قضية تتعلق بالعدل واللطف الإلهي، الذي يقصد به تقديم العون للإنسان لاداء تكليفه، أو إيجاد المناخ المناسب، والفرص المؤاتية والإمكانات اللازمة، للإنسان من أجل قيامه بواجباته الربانية والإنسانية. واللطف، واجب على الله، أي أن لطفه من كماله المطلق، وصفة، اللطف لازمة لذاته سبحانه، لزوم صفة الخلق والعلم والقدرة.

ق ـ ولما كان الخالق محجوب عن خلقه، لا يشاهد ولا يلمس، ولا يحاجج، كما قال الصادق (ع): (ثبت أن له سفراء في خلقه وعباده، يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه عز وجل ـ وهم الأنبياء).

---

(٢) راجع الإسلام يتحدى.

٢ ـ معنى النبوة والرسالة وغايتهما:

أ ـ إن النبوة عملية وصول التعليمات الإلهية إلى الشخص المختار، بكل دقة ووضوح، عن طريق رابط يربط النبي بالخالق، وهذا الرابط نطلق عليه اسم الوحي.

ب ـ أما الرسالة فهي الأحكام والتشريعات التي ألقاها النبي من ربه بواسطة الرابط (الوحي) وهي تشتمل على ثلاثة أسس:

أولاً: عقيدة فكرية تحدد الغاية والبداية والنهاية للإنسان والكون والحياة.

ثانياً: نظام تربوي أخلاقي يبني الشخصية الإنسانية الواعية المؤمنة.

ثالثاً: نظام اجتماعي إنساني شامل متطور يحقق سعادة البشرية[١].

جـ ـ **وللرسول وظيفتان رئيسيتان:**

الأولى: وظيفة تلقي الوحي من الله وتبليغ الرسالة.

الثانية: وظيفة الحكم وفق الشريعة الإلهية.

د ـ وتستعمل كلمة نبي للتعبير عن العلاقة بين الله وبين شخص النبي، وكلمة الرسول لتبيان الحالة القائمة بين النبي والناس.

٣ ـ ظاهرة الوحي[٢]:

أ ـ إن ظاهرة الوحي متشابهة عند جميع الأنبياء وذلك لإتحاد المصدر والغاية. قال تعالى: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾. (النساء آية ١٦٣).

---

(١) فلسفة الصلاة

(٢) مباحث في علوم القرآن ـ د. صالح.

ب ـ والوحي ـ في حقيقته ـ هو نوع من الاعلام الخفي السريع الذي ورد في القرآن الكريم بأشكال عدة نذكر منها:

١ ـ الإلهام الفطري للإنسان: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (القصص آية ٧).

٢ ـ الإلهام الغريزي للحيوان: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وممّا يعرشون) (النحل آية ٦٨).

٣ ـ الإشارة الإيمائية الرمزية السريعة: (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) (مريم آية ١١).

٤ ـ الوساوس الشيطانية وتزيين خواطر الشر: (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) (الأنعام آية ريم ١٢١).

٥ ـ أوامر الله لأنبيائه بواسطة جبرائيل: (فأوحى إلى عبده ـ أي جبرائيل ـ مًا أوحى ـ أي جبرئيل إلى الرسول). (النجم آية رقم ١٠).

٦ ـ أوامر الله إلى ملائكته: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا). (الانفال آية ١٢).

جـ ـ وللوحي ثلاثة أشكال جمعها الكتاب في آية واحدة قال سبحانه: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء، أنه عليم حكيم) (الشورى آية رقم ٥١)].

د ـ وقد يحاول بعض المتفرنجين من المثقفين أن يعطوا للوحي الإلهي معنى يشبه معنى الكشف والحدس الباطني والشعور الداخلي وعمليه اللاشعور وفي هذا تمويه للحقيقة وضحالة في الرأي، وتقليد مقيت.

هـ ـ إلا أنه ما كشفه العلم الحديث، من أن بعض الأجهزة العلمية تستطيع إدراك أو سماع وقائع كثيرة تجري حولنا، ينير لنا الطريق لتقريب ظاهرة الوحي إلى إفهامنا القاصرة:

ـ وكمثل على ذلك، فإن بعض هذه الأجهزة يسجل صدام الأشعة الكونية كما أن بعض الحيوانات تتمتع بقوة (الاشراق) فالجندب يحك رجليه وجناحيه ويصوِّت فتسمعه زرجته على بعد نصف ميل، وهو يحرك في هذه العملية ٦٠٠ طن من الهواء[١].

ـ وبعض الناس يتمتعون بهذه القوة الإنكشافية لذلك يقول د. كاريل: «إن حدود الفرد في إطار الزمان والمكان هي مجرد افتراض». وهذا ما سماه العلماء بنظرية الموجة المخيمة.

ـ وهكذا فإن قدرة الإنسان على تحويل أفكاره بدون أية واسطة مادية هي قرينة تجريبية تجعلنا نفهم الرابطة بين النبي والإله عن طريق الوحي.

ـ «ولكي لا نخلط بين شخصية النبي المتلقية للوحي والشخصية المتعالية الآمرة، فقد تكررت لفظة (قل) في القرآن أكثر من ٣٠٠ مرة من أجل الفصل بين الشخصيتين».

٤ ـ التجديد في الرسالات السماوية[٢]:

أ ـ إن هدف الرسالة السماوية يتدرج وفق ثلاثة مراحل:

الأولى: مرحلة توعية الإنسان على عقيدة التوحيد.
الثانية: مرحلة إقامة المجتمع الإنساني على أساس المنهاج الإلهي
الثالثة: مرحلة السيطرة على الكون والطبيعة.

ب ـ في ضوء هذه المرحلية ندرك أن كل رسول كان يكمل رسالة

(١) الإسلام يتحدى
(٢) راجع كتاب فلسفة الصلاة.

سابقه ويجددها ويطورها، وهنا لا بد من التمييز بين عدة رسالات: رسالة آدم (ع). رسالة نوح (ع) ـ رسالة إبراهيم (ع) ـ رسالة موسى (ع) ـ رسالة المسيح (ع) ـ رسالة محمد (ص).

جـ ـ ويلاحظ أن التحديد الذي تم بالنسبة لهذه الرسالات كان يسير وفق خطين:

الأول: خط العقيدة: إن التفصيل والتوضيح، كان من جهة المفاهيم والأسس، فالعقيدة التي أتى بها محمد (ص) هي نفسها عقيدة جميع الأنبياء، مع تحقيق التفصيل والشمول.

الثاني: خط النظام والشريعة: في هذا الخط عمد إلى التفصيل والإتمام والتبديل، في جانبين.

١ ـ ففي الجانب الثابت حددت الشرائع والإحتياجات والإطار العام لأسلوب تنفيذها مع إفساح المجال أمام جميع أنواع التطوير.

٢ ـ أما التبديل فكان في جانب بعض التشريعات المؤقتة. قال تعالى: ﴿ومصدقاً لما بين يدي من الكتاب ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم﴾.

د ـ ولا شك أن توالي الأنبياء كان ضرورياً من ناحية قيادية، لإحداث الانعطافات التاريخية وهذا يشبه في تأثيره ما تتوخاه وزارة التربية من نقل الطالب من صف إلى آخر حتى ينتهي إلى مرحلة التخرج.

هـ ـ وعودة إلى النصوص، تظهر بجلاء هذا التطور فقد ورد عن المسيح (ع) قوله: (لا تظنوا أني أتيت لأنقص الشريعة والأنبياء، أني لم آت لأنقص بل جئت لأتمم) ويقول الرسول (ص): «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فاحسنه وأجمله إلا

موضع لبنة من زاويته، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.

٥ ـ دليل النبوة:

أ ـ لا يقبل السفير في أية دولة من دول العالم دون تقديم أوراق اعتماده التي تثبت تمثيليه لبلاده ولا تقبل من أي إنسان دعوة النبوة إذا لم يكن مزوداً بأوراق اعتماد خاصة تتناسب مع سفارته الإلهية وهي ما نطلق عليه مصطلح المعجزة.

ب ـ ومعجزات الأنبياء على نوعين:

١ ـ معجزات آنية مؤقتة: كانقلاب العصى إلى أفعى على يد موسى (ع) أو إحياء الموتى على يد المسيح (ع) أو غير ذلك مما يجعل هذا، النوع من المعجزات دليلاً غير أبدي على صحة دعوى النبوة، لكونها حوادث تاريخية ماضية. بل أنها تحتاج إلى إثبات، وذلك عن طريق معجزة خالدة تؤكد حصول تلك المعجزات المؤقتة.

٢ ـ معجزات خالدة دائمة: وهي من النوع الذي أتى به محمد (ص) وتتخلص بـ ٣ معجزات:

الأولى: القرآن الكريم، الثانية: النظام الإلهي، الثالثة: شخصية الرسول (ص).

القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله، ومعجزة الرسول (ص) مدى الزمان، حتى أنه خلب ألباب العرب والأعاجم وإنحنت أمام عظمته هام العلماء الكبار، من جميع أقطار الدنيا فهوذا الأستاذ ستايس يقول: «إن القرآن هو القانون العام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه، فهو صالح لكل مكان وزمان، فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب تعاليمه وأحكامه لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا وبالأقل لصار حالهم حال الأقوام المتمدنة». ويقول أورلوهارت: «اشرق القرآن بصقعهم نوراً، يا له من نور هو نورحكمة، دستوراً لن يضلوا به أبداً، وهو القرآن الجامع لمعالم دنياهم ولخير أخراهم».

والآن كيف يمكن أن يكون القرآن الكريم الدليل الأكبر على نبوة محمد (ص)؟.

وما هي الأدلة الأخرى على نبوته (ص)؟

ولكي نجيب على هذه الأسئلة سنتبع الخطوات التالية:

أولاً: بيئة الرسول (ص):

إن الرسول (ص) كان ابن بيئة شبه الجزيرة العربية، وابن الحجاز ومكة، وبيئته وكانت جد متخلفة، من جميع الجوانب الفكرية والسياسية والإجتماعية والدينية والإقتصادية، وكان الشرك والوثنية مسيطران على عقول الناس، والروح القبلية هي القانون المعمول به بحيث تنعكس علاقات الأفراد والجماعات، صراع وغزوات، عدا عن ذلك، فإن الأوضاع الإقتصادية كانت في أقصى درجات تخلفها، والمجتمع كان أمياً، إلى درجة أن العارفين بالقراءة والكتابة كانوا لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة. والرسول (ص) كان أمياً وقد أخبر القرآن عنه فقال: «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون». ولو كان الأمر غير ذلك لاعترض عليه المعترضون، ولاعلن ذلك المشركون، وخصوصاً أنهم كانوا يفتشون عن ما يرمونه به من نقص وغير ذلك، فما وجدوا، بل كلهم كان يعترف بصدقته وأمانته.

ولم يعرف عنه (ص) أنه عرف شيئاً من النصوص الدينية

المسيحية أو اليهودية، ولو أن ذلك حصل لعرف عنه (ص) شيئاً ولأظهره أعداء الرسالة.

ثانياً: رسالة محمد (ص) والقرآن الكريم:

١ ـ إن القرآن الكريم قد جاء بعقيدة إلهية، نقلت الفكر البشري من طور البدائية والتخلف والانحطاط إلى آفاق المجرد والمطلق، وجعلت الإيمان بالله سبيلاً لتطوير الحياة الإجتماعية، وبناء العلاقات الإنسانية، وتحرير المظلومين، ومساعدة المستضعفين والغاء الإمتيازات والفوارق غير العادلة بين الناس. (وهذه الثقافة الإلهية لم تكن أكبر من الوضع الفكري والديني لمجتمع وثني منغمس في عبادة الأصنام فحسب بل كانت أكبر من كل الثقافات الدينية، التي عرفها العالم يومئذ، حتى أن أية مقارنة تبرز بوضوح أنها جاءت لتصحح ما في تلك الثقافات الدينية من أخطاء وتعدل ما أصابها من إنحراف وتعيدها إلى حكم الفطرة والعقل السليم وقد كان ذلك على يد إنسان أمي في مجتمع وثني شبه معزول لا يعرف من ثقافة عصره وكتبه الدينية شيئاً يذكر فضلاً عن أن يكون بمستوى القيمومة والتصحيح والتطوير[1]».

إعجاز القرآن الكريم:

لقد تحدى القرآن الناس كلهم أغرب وأعظم تحد، حصل على مر العصور، فهل يجرؤ إنسان ـ في عصرنا أو في غير عصرنا ـ على كتابة كتاب ثم يتوجه إلى الناس ليأتوا بمثله، ولقد توجه هذا التحدي إلى أرباب الفصاحة والبلاغة المتقنين لفن الخطابة والشعر. وقد كان التحدي ثلاث مرات:

---

(١) موجز في أصول الدين ـ الفتاوى الواضحة ـ السيد محمد باقر ص ٦٢.

الأولى : قال تعالى: ﴿أم يقولون تقوله؟ بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾. أي أنه طلب إليهم أن يأتوا بمثل القرآن.

الثانية : قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

الثالثة : قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

وأخيراً، وإن كنتم في شك من أمره القرآن فأتوا بسورة من مثل القرآن الكريم مهما كانت قصيرة.

أوجه إعجاز القرآن الكريم:

الإعجاز التاريخي: لقد أخبر القرآن الكريم عن الكثير من أخبار الأمم الماضية.

وجاء ذلك عن رجل لا يعرف القراءة والكتابة. وليس هذا فحسب بل أنه صحح الأخبار والقصص الرائجة في التوراة والانجيل التي حرفتها الأيدي بأن نسبت الخداع والكذب إلى الله تعالى أو انتقصت من كرامة أنبيائه، وأورد القرآن أموراً تاريخية، وربما كانت ستبقى في طي النسيان لو لم يكشف عنها.

٢ ـ **الإعجاز التشريعي**: إن النظام الإلهي الذي أتى به القرآن الكريم قد بلغ الذروة في تبيان الحق والعدل والقوانين الإنسانية الموصلة سعادة البشر في المدنية والاجتماع والسياسة والإقتصاد والإدارة والعائلة والحياة الزوجية والفردية والشهادات والعقوبات.

٣ ـ الإعجاز الأخلاقي: لا ينكر الإنسان أن النظام والمبادىء الأخلاقية التي أتى بها القرآن كفيلة بتأمين الاستقرار النفسي والإجتماعي لشموليتها ولكونها تعمد إلى تغيير النفس الإنسانية ـ من داخل ـ فينعكس ذلك صلاحاً في الخارج[1].

٤ ـ إعجاز النبوءات: بعض العلماء وفلاسفة العالم حاولوا، إنطلاقاً من تحليلاتهم ونظرياتهم أن يتنبؤوا بأحداث إجتماعية قد تقع في مكان ما من العالم، ونضرب مثلاً على ذلك ما جاء في البيان الشيوعي الصادر عام ١٨٤٨، والذي ورد فيه التنبؤ بأن البلاد التي ستقود الثورة الشيوعية هي (المانية) المتقدمة صناعياً، ولكن الثورة قامت في روسيا، المجتمع الزراعي المتخلف آنذاك.

كما أن ماركس قال عام ١٨٤٩: «إن الجمهورية الحمراء تبزغ في سماء باريس». وإلى الآن لم تبزغ الشمس الحمراء في سماء باريس ولا في أرضها. أما نبؤوات القرآن فإنها ـ في الواقع ـ لا تخضع للمصطلحات المادية:

أ ـ لأن الرسالة الإسلامية واجهت في بدايتها ولا تزال اعتى القوى، التي وقفت لمحاربتها فاليهود والمشركين والمنافقين والفرس والروم والقبط، كل أولئك حاولوا القضاء على الرسالة والقرآن والرسول، وقد كان المسلمون في اسوء حالات البؤس الإقتصادي، والقوة العسكرية ومع ذلك فقد بشرهم القرآن بالنصر، وقد قال أحد أعداء الإسلام المعروفين السير «وليم ميور» عن الرسول (ص): «لقد دفن محمد مؤامرات أعدائه في التراب، وكان يثق بانتصاره ليل نهار مع حفنة من الأنصار والأعوان، رغم أنه كان مكشوفاً عسكرياً في كل ناحية».

---

(١) راجع مقدمة تفسير آلاء الرحمن ـ محمد جواد البلاغي.

ويقول سبحانه عن حتمية انتصار الإسلام الذي حدث فعلاً وسيحدث من جديد ان شاء الله ـ في سورة المجادلة: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾. (التوبة ٣٣).

ب ـ **الأخبار بغلبة الروم على الفرس**: عندما انتصر الفرس ـ المجوسيين ـ على الروم النصارى عام ٦١٦م، سخر المشركون من المسلمون وقالوا لهم: «لقد غلب اخواننا اخوانكم وهدَّدوهم بالقضاء عليهم إن لم يصالحوهم وكان المسلمون في أسوأ حالتهم المادية وفي هذه الظروف نزلت هذه الآيات: ﴿ألم، غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله﴾ (الروم).

٥ ـ **الإعجاز في عدم التناقض والاختلاف**: **كل ما يكتبه أي إنسان قد** يكون ناقصاً أو غير مكتملٍ في معانيه أو مبانيه، إلا أن القرآن يختلف عن غيره لأنه كلام الله، فليس فيه اختلاف ولا تناقض ويحدثنا القرآن عن نفسه مبيناً هذا المعنى: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء /٨٤).

٦ ـ **الإعجاز العلمي**: القرآن الكريم ليس كتاب علم بل هو كتاب بناء الإنسان الحق والمجتمع الصالح إلا أنه قد ورد في طياته إشارات علمية دقيقة، لم يكشف العلم الحديث عنها إلا في الآونة الأخيرة من هذا القرن وهناك أمور أخرى لا زالت غير مكتشفة والقرآن يتحدث مثلاً عن:

ـ الجاذبية فيقول: «الله الذي رفع السموات، بغير عمد ترونها».

«وعن بداية الكون: «أو لم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما». (الأنبياء ٣٠).

«وعن نهاية الكون: «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب». يقول علماء الفلك إننا لو طوينا الكون بدون أن نترك مجالاً للفضاء فسيكون حجم الكون كله (٣٠) ضعفاً من حجم الشمس..

- وعن توازن الأرض وحركتها: «والقى في الأرض رواسي أن تميد بكم».

- وينوه إلى الكشوف العلمية بقوله تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». (فصلت ٥٣).

٧ - **الإعجاز الأدبي واللغوي**: يقول مصطفى صادق الرافعي: «ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيء بعضها لبعض ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوية لها في النظم الموسيقي»... ويقول أيضاً إن القرآن كان: «نمطاً واحداً في القوة والإبداع وإن مرد ذلك إلى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الإلهي، وهذه الروح لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس[1]» (تاريخ آداب العرب للرافعي).

٨ - **إعجاز الحروف المقطعة**: قام أحد العلماء المصريين - في أميركا - وهو الدكتور رشاد خليفة بدراسة استخدم فيها العقل الألكتروني حول الحروف الهجائية في أول بعض السور وكانت النتائج كما يلي:

- سورة (ق) فيها ٥٧ قافاً وسورة الشورى هي ضعف سورة (ق) في الطول وفي فواتحها حرف (ق)، ونجد أن فيها ٥٧ قافاً ولو جمعنا

(١) الرتق: منظم الأجزاء متماسكاً.

٥٧ + ٥٧ = ١١٤ وهو عدد سورة القرآن. وكأن (ق) ترمز إلى القرآن.

ـ ويقول العقل الالكتروني إن أعلى المتوسطات والمعدلات موجودة في سورة (ق)، وإن هذه السورة قد تفوقت حسابياً على كل الصحف في هذا الحرف.

ـ وسورة الرعد تبدأ بالحروف (أ ل م ر) وقدم العقل الألكتروني احصائية بتوارد هذه الحروف في داخل هذه السورة كالآتي:

أ ـ تردد ٦٢٥ مرة.

ل ـ تردد ٤٧٩ مرة.

م ـ تردد ٢٦٠ مرة

ر ـ تردد ١٣٧ مرة.

ثم قام العقل الالكتروني باحصاء معدلات توارد هذه الحروف في المصحف كله، وكانت النتيجة إن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هي في سورة الرعد وانها تفوقت حسابيا على جميع سور المصحف.

وكذلك في (أ ل م) في سورة البقرة..

وكذلك في (أ ل م) سورة آل عمران ومثلها في سورة العنكبوت والروم.. ولو فرضنا أن النبي أراد أن يؤلف القرآن فهل يستطيع أن يؤلف مثلاً سورة الرعد من حروف (ال م ر) وان يورد بها هذه المعدلات من هذه الحروف؟!..

إن هذه مهمة العقل الالكتروني، مع كون القرآن قد نزل مفرقاً على ٢٣ سنة[1]

---

(١) معجزة القرآن ـ بالانكليزية.

٩ ـ الإعجاز في شخصية الرسول: (لم يقدر لأية شخصية في العالم أن تجمع ما جمعته الشخصية النبوية، فقد كان للناس رسولاً نبياً ومرشداً ودليلاً وفرداً في أسرة، وواحداً في قبيلة، ورجلاً في أمة، وأمة في رجل، وزوجاً وأبا وتاجر وراعياً ومربياً وواعظاً، وخطيباً وجندياً، وقائداً، وقاضياً، وحكيمًا، وإماماً وسياسياً، ورئيساً ومسالماً، ومحارباً ومجاهداً وعابداً وزاهداً، كل هذه الصفات العالية جمعت في شخصية واحدة هي شخصية الرسول الأعظم (ص)...)

* * *

٦ ـ صفات الأنبياء:

إن من أهم الصفات التي يتحلى بها النبي، بالإضافة إلى كمال العقل وسمو النفس وسلامة الجسم والأمانة والشجاعة والزهد والبلاغة صفة العصمة في أمور ثلاثة:

١ ـ العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي.
٢ ـ العصمة عن الخطأ في تبليغ الرسالة.
٣ ـ العصمة عن الخطأ في القول والعمل المنافي لأمر الله

٧ ـ الإمامة امتداد للنبوة:

أ ـ الإمام هو من يتبع ويؤتم فيه، سواء في حق أم في باطل. قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ (الأنبياء ٧٣) ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم ﴾ (التوبة ١٢).

ب ـ والإمامة المقصودة هنا، هي الولاية العامة للمؤمنين في الشؤون العقائديدية والحياتية العملية.

جـ ـ ولتعيين وجه الحق في قضية الإمامة، لا بد من دراسة منهجية

تاريخية اجتماعية، لذلك سوف نقتصر على إثارة نقاط قليلة:

النقطة الأولى: لقد اصطدمت الرسالة الإلهية التغييرية، بعدم نضج رسالية وبارث جاهلي وبخطر المنافقين والانقسامات الإجتماعية، بعد وفاة الرسول (ص) وهذا بطبيعته يؤثر على مستقبل الرسالة، إذا لم يكن النبي قد عين القائد من بعده.

النقطة الثانية: إن الرسول (ص) لم يجعل القيمومة للأمة على أساس الشورى، التي لا يمكن تطبيقها إلا بعد توفر عنصر الوعي العام للرسالة، لذلك لم يقم بعملية توعية الأمة على هذا النظام، لأنه سابق لأوانه ولعدم عيش العرب لأي أوضاع شورية سابقة.

النقطة الثالثة: ولم يبق أمام الرسول إلا اختيار القائد بأمر من الله وكانت الشخصية المرشحة لهذا المنصب كما تدل النصوص، شخصية علي بن أبي طالب (ع)، القائد الثاني الذي أعده الرسول (ص) اعداداً عقائدياً ورسالياً لمدة طويلة جداً. لذلك فإن القيادة المنبثقة عن الإنتخاب في تلك الظروف، تخالف الجذور الفكرية للرسالة. التي تؤكد على أن الحاكمية لله، يختار من يشاء.

د ـ ولإتمام الصيغة القيادية لضمان استمرار الرسالة، فقد نصب النبي (ص) بعد الإمام علي (ع) إحد عشر قائداً أي أئمة أهل البيت (ع) قال (ص): «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

٨ ـ شروط الإمامة:

يشترط في الإمام شرطان:

الأول: العلم الكامل بالشريعة: وذلك لأنه مسؤول عن صيانة

الشريعة وتطبيقها لأنه القائد والقدرة.

ـ قال الإمام الرضا (ع): «الإمام... تام العلم، كامل الحكم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة.

الثانية: العصمة: وهي العدالة الثابتة المستمرة في أرقى الدرجات، التي تجعل الإمام يلتزم بتطبيق الشريعة في سلوكه العام والخاص. وليكن واضحاً أن مبدأ العصمة ليس خاصاً بفئة عقائدية معينة، بل تؤمن به كل الاتجاهات الإيديولوجية القديمة والحديثة، وذلك بأنها تحتم أن يكون القائد معصوماً أي على مستوى المسؤولية. فالقائد حسب مبدئنا معصوم، ومقياس عصمته مقياس رسالي إلهي، والقائد الماركسي يفترض أن يكون معصوماً ولكن بمقاييس ماركسية مادية طبقية.

والعصمة في الحالين: هي التفاعل الكامل مع الرسالة والتجسيد الشامل لكل مبادئها الروحية والفكرية والعلمية.

٩ ـ إستراتيجية العمل السياسي والعسكري عند الأئمة[١]:

أ ـ من القواعد الأساسية في رسالتنا، قاعدة الإقناع وعدم فرض المبدأ (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة ٢٥٦).

ب ـ لذلك فإن منهج الأئمة في العمل السياسي والعسكري كان يتخلص في نقطتين:

النقطة الأولى: مسؤوليتهم في المحافظة على الرسالة لأنهم: (أمناء الرحمن وسياسة العباد، وخلفاء الرسول).

النقطة الثانية: مسؤولياتهم في توضيحها ونشرها بين الناس

(١) راجع استرتيجية الثورة عند أهل البيت.

لأنهم (محال معرفة الله ومعادن حكمته وحفظة سره وحملة كتابه).

جـ ـ إنطلاقاً من هاتين النقطتين فإننا نستطيع أن نستكشف استراتيجية الثورة عند الأئمة وفق الخطة التالية:

أولاً: ضرب المخططات التحريفية للقيادة: بأسلوبين اثنين:

الأسلوب الأول: يتبع الإمام أسلوب (الجهاد المسلح) في حال وجود القوة الكافية لتصحيح الإنحراف.

الأسلوب الثاني: يتخذ الإمام موقفاً سلبياً تجاه الإنحراف ويمارس أسلوب (الجهاد... بالصبر).

ثانياً: ضرب المخططات التآمرية للقضاء على الرسالة، وذلك بأسلوب الثورة المسلحة وهذا يعني أن الإمام يقوم بواجبه في صيانة الرسالة من الفناء، بأن يفجر ثورة مسلحة سواء أكانت النتيجة النصر أو الموت، ليكشف الزيف ويفضح المنافقين ويهز الضمائر من أجل تصحيح المسيرة.

١٠ ـ الإمامة مسؤولية وقيادة نحو الأكمل

في تحليل، لغوي، عند العلامة العلائلي في كتاب المرجع، واستناداً إلى دراسة له طويلة يفسر الإمام بميزان خشبي كان يستعمله البناؤون لمعرفة استقامة البناء أو إنحرافه، والذي تحول فيما بعد إلى ميزان الزئبق. هذا هو المعنى الأصيل.

وفي مصطلحنا المعاصر يطلق الإمام على علماء الدين القادة في التفكير والقول والسلوك، مع ما يشوب الألقاب في مجتمعاتنا من المحاملات والتمنيات.

ولكن الغاية من هذا البحث تفرض أن نفسر كلمة الإمام

بمعناه المصطلح عندنا، هو أنه الإنسان لا إله ولا نصف إله بلغ الكمال الذي يريده الإسلام، الإنسان الفائق وليس ما فوق الإنسان، إنسان بلغ الكمال وبنفس الوقت القائد المسؤول لتوجيه الأمة. الإمام حجة الله على الأرض، كتاب الله الناطق، المرآة التامة للإسلام، الإسلام المتجسد، الإنسان الذي تحول في أحاسيسه وفي تفكيره وفي أحكامه وفي أقواله وفي أعماله وحتى في سكوته، الإنسان الذي تحول إلى مستوى الميزان كما ورد في الحديث عن النبي (ص): «أنا ميزان الأعمال وعلي لسانه». وبكلمة أنه الإنسان الفائق، القمة، وليس ما فوق الإنسان. أنه وصي وليس نبياً.

الشهادة

نحن في هذه الدراسة، أمام عاملين قائمين حيين فاعلين، ولسنا أمام حدثين تاريخين، فالإمام كما عرفناه تجسيد للرسالة، فهو باق في مركز القدوة، وفي مركز القيادة، حيا كان أو ميتاً، قوله وسلوكه وسكوته، ورضاه، سند نستند عليه في كتبنا الفقهية. فالإمام حكم متجسد وإيمان متجسد، انتصر في المعركة أو هزم أو عزل لا فرق، عامل فاعل مستمر حتى الآن. والشهادة في منطق القرآن خلود وتحرك وقيادة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) . والانتباه إلى البقية ـ (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ـ الضوء المستمر ـ (فرحين بما أتاهم الله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم). (آل عمران ١٦٩).

القيادة والدعوة

إذاً نحن أمام عاملين قائمين لا أمام حدثين تاريخين فنصل إلى تفاعل العاملين الموجدين في عنوان هذا الحديث لكي يقرر هذا التفاعل لنا عناوين ثلاثة:

شهادة الإمامة.

* إمامة الشهيد.

* الشهادة الإمام.

أما شهادة الإمام فهي الترابط العميق بين الإمام وبين الشهادة، حتى أن الشهادة جزء أساس من مسؤولية الإمام القيادية.

الثاني: إمامة الشهيد، فالشهيد في سبيل الله إمام. ومعنى ذلك أن الشهادة بحد ذاتها قدوة وقيادة وهما أساسان لمفهوم الإمامة. والشهيد العادي يتمتع بصفتين أساسيتين من صفات الإمام فهو موكب الإمام.

أما الثالث، الشهادة الإمام، وأعني بها، أن مستوى شهادة الحسين في عاشوراء إذا درسناها بأسبابها ودوافعها النفسية وتفاصيلها ونتائجها تفوق الشهادات كلها، ولذلك نسمي الحسين (سيد الشهداء) أو على حد تعبير العقاد (أبو الشهداء) والحديث يقول: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)، كلمة وردت في كثير من الآثار الدينية. إذاً الشهادة الحسينية يوم عاشوراء إمام الشهادات، الشهادة الإمام.

إن المطلوب في هذه الدراسة هو العنوان الأول فحسب، شهادة الإمام.

أما العنوان الثاني وهو إمامة الشهيد، فإنه بحث اجتماعي وديني مستقل تطرق إليه الكثيرون من الباحثين بالتفصيل وقد نكتفي في ذلك بالآية التي تليت حول دور الشهيد في الدعوة وفي الإثارة وفي الخلود وفي التحول إلى القيم.

فلندخل في صميم بحثنا، شهادة الإمام وصورته وأبعاد معنى الإمام. ولأجل أن ندرك تسلسل الفكرة ونصل إلى صورة واضحة عن الإمام، نقف عند هذه المبادىء:

أولاً: الحياة في مفهومها الديني حركة دائمة نحو الكمال والقرآن الكريم يلخص هذا بقوله (إنا لله وإنا إليه راجعون) أي نحن في رجوع مستمر إلى الله أي الكمال المطلق، وهذا المفهوم نجده في كثير من التعاليم الدينية التي تأمر بالحركة الدائمة، والسعي الدائم حتى الرمق الأخير.

ثانياً: الحركة تغيير مستمر واتجاهها نحو الكمال اللانهائي الذي هو الله، إذ الحياة في مفهومها الديني سير دائم وتغيير مستمر نحو الأفضل، وبالتالي رفض الوقوف والجمود والتراجع.

ثالثاً: والتحول الواجب نحو الأفضل ـ بما في ذلك التجارب والانتكاسات طبعاً ـ هادىء أحياناً وعنيف أخرى حسب ظروف الحركة.

رابعاً: وجود الخير والشر في الإحساس أو في الحياة يخلقان الصراع الدائم في نفس الإنسان قبل الصراع في الخارج وبالتالي فإن هذا الصراع هو الدافع المتجدد نحو الكمال.

١١ ـ الإنسان والكمال

الإنسان يتحرك نحو الكمال، دافعه وجود عنصر الخير والشر في نفسه وفي الخارج، وإلا فلو لم يكن الشر في الخارج، لم يكن الإختيار أي الصراع أو الرياضة الدائمة وبالتالي، الكمال الدائم. وهذا مفهوم قرآني، ففي سورة الشمس يقول: (فالهمها ـ يعني الله الهم النفس ـ فجورها وتقواها ـ يعني أن الله الهم الإنسان وخلقه بحيث يحس بالشر كما يحس بالخير ـ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ـ الفلاح أي الكمال يحصل بعد الصراع) ـ وأية أخرى: (وهديناه النجدين) أن الخالق علّم الإنسان طريقه إلى الخير والشر وتضيف الآية (فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة فك رقبة) تحرير إنسان فرداً كان في يوم

من الأيام أو جماعة في يومنا هذا. (أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا مقربة).

الإطعام يعني خلق العيش للإنسان فردياً كان حسب طاقات الإنسان نحو الكمال مع وجود عنصر الخير والشر المستمر في الذات، والصراع في النفس والصراع في الخارج، من أجل تأمين العيش السعيد للجماعة.

١٢ ـ الدعوة الإلهية

خامساً: أما الدعوة الإلهية فلها مراحل ودرجات.

المرحلة الأولى: الضمير، أو على حد تعبير القرآن الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها. أن الضمير هو المرحلة الأولى للدعوة الإلهية نحو الكمال والضمير هو النبي الباطن، يأتي بعد ذلك النبي من الله، والنبي من الله والنبي ضمير الكون والوجود، يساعد الإنسان في صراعه هذا ويخرجه إذا أراد من الظلمات إلى النور. هذه خلاصة دعوة الأنبياء جميعاً. (قد جاءكم) من الله نور وكتاب مبين يدعو به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور (المائدة ١٥)، إنهم الأنبياء بعثوا من الأميين، من عامة الناس، ليزكوهم وليعلموهم الكتاب والحكمة كما ورد هذا في القرآن بالنسبة للنبي محمد (ص) فالمرحلة الأولى من الدعوة هي الضمير والثانية دعوة الأنبياء.

أما المرحلة الثالثة للدعوة فلعلها لا تخلو عن غرابة ولكنها مليئة بالتفاؤل والتربية وخلق القوة من الضعف. والقرآن الكريم له منطق خاص في هذا المجال لأنه يجعل المصيبة دافعاً مساعداً لانتباه الإنسان ووعيه وحركته كما أن التفاعلات الإجتماعية وظهور الفساد في البر والبحر حسب تعبير القرآن عامل آخر لتنبيه الإنسان إلى أخطائه في اتجاهه. يقول القرآن: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي

الناس ليذيقهم بعض الـذي عملوا لعلهم يرجعـون (الروم ٤١)) نلاحظ أن هناك أثاراً اجتماعية سيئة نتيجة لعمل الإنسان جاءت لكي تنبه الإنسان فهي نوع من الدعوة الجديدة والتذكير.

هذا بالنسبة للأحداث الإجتماعية ويسري نفس المنطق بالنسبة للمصائب (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) (البقرة ١٥٥). حتى المصيبة في الرؤية القرآنية مرحلة من الدعوة.

١٣ شمولية الدعوة

سادساً: ثم أن الدعوة شاملة لجميع البشر، ولكل قوم هاد، والقرآن يؤكد خلال آيات متعددة وجود الدعوة بواسطة الأنبياء لجميع شعوب الأرض وبالتـالي يثبت أن دعوة الله لإنقـاذ الإنسان عـامة بواسطة الأنبياء ومستمرة بواسطة الهادين (الأئمة) والأوصياء. هذا الإستمرار والشمول في الدعوة الإلهية عناية من الله لإنقاذ الإنسان من سيطرة الأهواء عناصر الشر في داخله، وفي الخارج. والتي تظهر خلال دعوة الأنبياء وبعدهم، وتتراكم حتى تصبح خطراً على الدعوة ذاتها.

ومن هنا يبدأ دور الإمام لمنع تحول المفاهيم والأحكام الإلهية عن طريق عناصـر وأناس يشـوهون الفكـرة ويحرفـون الكلام عن مواضعه. فالإمام له دور حفظ الدعوة والقيادة عدا أنه ليس نبياً ولا يوحى إليه، ولكنه معصوم عن الخطأ والذنب، ومعنى ذلك أن الإمام (الإمام المعصوم طبعاً لا الإمام في مصطلحنا المعاصر) يمثل الإرادة الإلهية في سير الإنسان نحو الكمال، ومن أجل ذلك نقول إن إختيار الإمـام يجب أن يكـون حسب النص، وليس حسب الإنـتخـاب

والإختيار. فالإمام يمثل الارادة الإلهية أي مساعدة الإنسان في صعوده نحو الكمال وهو يصطدم بعراقيل وعقبات، والصدام خفيف تارة وعنيف تارة أخرى وطالما أن الإمام يمثل هذه الإرادة يتضح معنى الحديث (أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء) باعتبار مسؤولياتهم عن دعوتهم المستمرة ونعرف معنى الحديث (من مات ولم يعرف أمام زمانه مات ميتة الجاهلية) لخطر الإنحراف وسيطرة الشر. هذه الإستمرارية في القيادة ومساعدة الناس على صراعهم الداخلي والخارجي ودفعهم نحو الكمال تعبير صادق عن سنة الله تبديلاً. فالتغيير والتطور والتكامل هنا يلتقي مع الثبات والإطلاق ويصبح أمراً لا يتغير في الأساس ومتغيراً في المضمون. فالسنة الأزلية المطلقة تتطلب التغير الدائم. هنا يلتقي التغيير والثبات. لذلك فإن النبي، كل نبي، ومن بعده الإمام الوصي، ومع الإمام ممثلوه كما ورد في الحديث (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه عاصياً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) أصحاب هذه الصفات، الإمام يعبر عنهم فيقول: (فإنه حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم) وهؤلاء القادة: النبي إمام وممثل الإمام مسؤولون أمام الله عن سلوك الناس واستمرار تحركهم نحو الكمال مهما كان الثمن وكيفما كانت الظروف حتى لو استلزم ذلك تضحيات (أي الشهادة) فالإمام مسؤول عن تقديم الشهادة عند الإقتضاء، حتى يصون سير الإنسان نحو المكال الذي يصطدم بعراقيل وعقبات خفيفة أحياناً وعنيفة أخرى.

خط الأئمة (ع) ايديولوجية القادة:

ومن هنا فإن بعض المفكرين يميلون إلى رفض تصنيف خط الأئمة (ع) مذهباً في الأصل منفصلاً عن المذاهب الأخرى. بل انهم يقولون إن هذا الخط، بمعنى المسؤولية، هو أيديولوجية القادة، وسلوكهم القيادي، المعتمد على الإجتهاد والجهاد،

هو الدرس الصحيح للمرحلة الطائشة، والسعي حتى الشهادة في سبيل تحويلها إلى الأفضل. وهنا نصل إلى التلاقي في العميق بين الإمامة والشهادة، لأن الإمامة مسؤولية لصيانة تحرك الناس، ومن الطبيعي أن المسؤول قد يحتاج إلى درجة الشهادة. فالشهادة جزء من الإمامة وندرك مفهوم الحديث الوارد عن الأئمة (ما منا إلا شهيد أو مسموم) حيث يلقي الأضواء، على أبعاد النضال الذي كانوا يمارسونه لتحمل مسؤولياتهم. وهنا نصل إلى الخط العريض لتاريخنا، والذي تشكل عاشوراء صفحة بارزة من هذا التاريخ، ذلك الخط الشاق المأساوي الذي أصبح رغم قلة أصحابه، مذهب الرفض أو المعارضة، في اطار الإلتزام الإسلامي العام بالنصوص والمتجدد بالإجتهاد.

١٥ ـ رسالة الدين واحدة:

إن رسالة الدين واحدة في سلسلة واحدة متصلة الحلقات. كما ذكرنا سابقاً، والهدف لا يتحقق إلا بتحرير الإنسان من عبادة الذات، ومن التأثر بنزعات الشر ومن عبادة ما حوله ومن حوله.

إن التحرر من عبادة الذات يحصل خلال الصراع النفسي، وهو أمر ذاتي، يخصنا، رغم أنه يكلف جهداً كبيراً، وقد عبر عنه بالجهاد الأكبر ولكن عندما يصل الإنسان إلى التحرر عن عبادة الآلهة الأرضية، ورفض عبادة من حوله، يعني تحرير الإنسان من عبادة الناس والأصنام، آلهة الأرض الذين يستعبدونه ويستضعفونه، عندما يصل الأمر إلى التحرر من الطغاة يصطدم بمصالح هؤلاء وتحتدم المعركة.

وهنا نجد أن الأنبياء، والأئمة، والأوصياء جميعاً، في ساحة واحدة. بحيث يمكننا أن ندرس موقف كل منهم في إطار عام، ومن جملة هذه المجاهدات، بل قمة هذه التضحيات، استشهاد الحسين (ع) يوم عاشوراء فليست الشهادة الحسينية حلقة معزولة عن

الحلقات الأخرى، ندرسها من خلال تاريخ نضالي طويل، أوجد شهادة الحسين التي أوجدت شهادات أخرى. ولكن شهادة الحسين (ع) هي القمة. ولذلك فالروايات في الزيارات تؤكد وتقول: (السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل تلله. السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله (يربط بين الحسين وبين آدم) السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله. السلام عليك يا وارث عيسى روح الله. السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله).

١٦ ـ الحركة الحسينية:

هذه الأحاديث تركز على ربط الحركة الحسينية، بالحركات القيادية، لتحرير الإنسان من عبادة آلهة الأرض، ودوره في أنه يحمل أعباء التاريخ كلها، ضمن معارك جرت منذ الأزل في وجه الطغاة، ولخدمة المعذبين في الأرض، منذ أن كانت الأرض، وهذه المعارك استمرت وسقط شهيد تلو شهيد في الطريق، حتى جاء الحسين وهو سيد الشهداء، فهو حلقة مترابطة مع هذا الماضي. وبنفس الوقت هذا يعني أن حركته نابعة من حركتهم، وهي بدورها أم الحركات، والحسين بدوره أبو الشهداء.

إن آلهة الأرض (الطغاة) في المصطلح الديني، هم آلهة المال وآلهة القوة، وآلهة الاغراء وآلهة الجاه، والطغيان، والظلم. إن هذه الآلهة وزبانيتهم الذين يقومون باستعباد الإنسان أو على حد تعبير القرآن، استضعاف الإنسان (طبعاً كلمة الإستضعاف في القرآن كلمة شاملة، تعني أن يتخذ إنسان أخاه الإنسان ضعيفاً، لكي يأخذ منه عقله وماله (وهذا استثمار في مصطلحنا المعاصر) أو حريته، (وهذا نسميه الإستعمار) أو يأخذ منه عقله، الإستضعاف هو الاستثمار والإستعمار والتسلط والاغراء

والارهاب والتضليل. وجميع العناصر التي تسلب الإنسان سلوكه الصحيح، وحريته المسؤولة. ومن الطبيعي أن هذه الآلهة تصطدم مع رسالة الدين، المتجسدة في دعوة الأنبياء، والأئمة، ويحصل الصراع وتراق الدماء وتمتلىء السجون ويضطهد المستضعفون في الأرض.

١٧ ـ مرحلة التأويل

ثم نبدأ المرحلة الثانية: التي تسمى بمرحلة التأويل، ذلك لأنه عندما ينتصر نبي في المعركة، سرعان ما يغير الطغاة أدوارهم، فيلبسون ملابس الدين، ويقوون سلطاتهم بأحكام الدين، وشعائر الدين فيأخذون صدور المجالس، ومراكز المعابد، ويعود الخطر، ويبقى المعذبون في الأرض تحت الأعباء الجديدة، التي اكتست لون القداسة من خلال المؤسسات الدينية، ورجال الدين أيضاً الذين يساعدون هؤلاء الطغاة هم من آلهة المال والجاه والطغيان.

والمستضعفون يتألمون، وتستمر المأساة، ويعود الصراع بقيام نبي أو وصي، وتراق الدماء وتمتلىء السجون وتسقط الضحايا وهكذا.. والحسين الذي عاش الرسالة الإسلامية، وشاهد جهود محمد وعلي وأصحاب محمد، شاهد جهودهم في سبيل تحرير الإنسان، من قيوده ودفعه الرائد نحو الكمال. ان الحسين عاصر تحطيم الأصنام في المجتمع، وسقوط الشاهنشاهية الفارسية، والقيصرية الرومانية، والتمييزات الطبقية القريشية، وتحرير الإنسان اليمني، والحبشي، وعاصر ولادة المجتمع الجديد، مجتمع الأخوة الذي أسسه محمد (ص) على أسس العدل والكرامة الإنسانية والقيم، الحسين (ع)، عاصر تلك المعارك، فشاهد أيضاً النتائج، وميز الصفوف، فوجد أنصار الحق مقابل أنصار الباطل. ويرجع البصر كرة أخرى، فيرى أن الذين كانوا يحاربون الحق بالأمس القريب ويستضعفون الناس، بأساليب طاغية، أصبحوا حماة الدين

الجديد وأدعياء حماية هذا الدين، فيحكمون من خلال المنابر والمساجد فيقول متألماً: (أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً) الحسين يشاهد أن على منبر الرسول، ومن خلال مركز القيادة الجديدة، مركز تحسين الإنسان، وإنقاذه، يتحكم ساسة الارهاب والتجويع في العالم الإسلامي، عدا جيوش الحاكم المرتزقة (راجع شرح نهج البلاغة ـ المجلد الثاني، والطبري ـ المجلد السادس، والإستيعاب وابن الأثير والمسعودي) تشاهد العصابات التي كانت تكلف من قبل الخليفة المزعوم، لكي تغير على أطراف العالم الإسلامي، عصابات السلب، والقتل، وإبادة أرزاق الناس، ومنع الناس عطاياهم وأجورهم ونهب بيت المال) وإلى جانب ذلك سيف المستضعفين أي (سيف محمد)، وصل إلى يد الطاغين من جديد، وهذا هو الخطر الدامي الأمر. ثم يشاهد الحسين أن سياسة التفرقة بين القبائل، وتشتيت الأمة والتفرقة بين الشعوب، وبين العناصر تتحكم في المجتمع. (لاحظ كتاب الصفين لنصر بن مزاحم، والطبري، وتاريخ الإسلام السياسي) لكي تشاهد كيفية خلق الفتن بين اليمني والقيسي، وبين فئات من اليمنيين، وبين والشام، والحجاز، العراق، والشام واليمامة واليمن، وكان هناك أناس ممتهنين يأخذون رواتب لكي يزوروا الأحاديث ونقل الروايات في فضل القبائل (راجع شرح النهج وقد جمع ذلك أحمد أمين في كتاب نهج الإسلام، حتى أصبح في الأحاديث مدرسة، باسم مدرسة معاوية في الأحاديث).

ثم يشاهد الحسين أن المحنة، محنة المستضعفين، أصبحت أكثر خطورة فقد تكونت أيديولوجيات خطرة لإستمرار المعذبين في تحمل الأعباء والصبر فكانت فرقة المرجئة (والمرجئة كا يقرر ابن حزم تعتمد

على القاعدة القائلة لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع من الكفر طاعة، فإذا كان الإنسان مؤمناً بقلبه كفى ذلك، مهما ارتكب من ظلم فلا يضره شيئاً).

هذه الفلسفة تكونت لخدمة الطغاة الذين كانوا يتحكمون باسم الإسلام، كما أن الجبرية انتشرت في هذا الوقت بالذات، وتركت الأمور للتقادير، وسلب الإنسان إرادته: إرهاب في الحياة الفكرية، وتجويع، وقيود. وشاهد الحسين، أيضاً، نتيجة هذه الأمور، فقتل الأبرياء وترحيل القبائل (ان حصة لبنان من قضية ترحيل القبائل حصة وافرة، لأن كثيراً من القبائل الذين انتقلوا ورحلوا إلى لبنان كانوا من القبائل الشيعية في العراق) ونفي الصحابة والتابعين وتسفيرهم نتيجة ذلك. ويرى الحسين «ع) تحولاً عميقاً في مفاهيم الجيش، فالجيش كان جيشاً رسالياً، فصار جيشاً مرتزقاً.

١٨ ـ مفهوم بيت المال

أما بيت المال، فكان للأمة فصار لمصلحة الطاغين، وشاهد الإمام الحسين (ع) الفرق في الحكم، في مفهوم الحكم، الذي هو تنفيذ حكم الله، لا تنفيذ رغبات الناس، والتغيير في الشعائر الدينية، فالمسجد المتواضع، والصلاة البسيطة، أصبحت ضخمة في الشكل، يهتمون بشكلها وأبنيتها، كما يقول الرسول (ص): «مساجدهم عامرة بالبناء خراب من الهدى» وحصل تغير في مفهوم البيعة، فالبيعة التي كانت تعبر عن رضى الناس، واختيارها، وتصويتها، أصبحت مفروضة، تؤخذ مسبقاً بالاغراء والتهديد. أن الأمة كانت تذبح كالنعاج دون اعتراض، وإن اليأس واللامسؤولية والخوف والطمع، كل هذه العوامل مسيطرة على الناس، والحسين مسؤول عن سلامة تحرك الناس، وهو المسؤول، لأنه الإمام. ولكنه لا يملك جيشاً ولا قوة فاختارا أن يحول نفسه إلى سلاح

في الميزان، فخرج مع أولاده وأهل بيته وأصحابه وعائلته، ويقف لكي تتحقق المأساة بأفظع صورها، فتكشف خصومه وتعزلهم عن ادعائهم تمثيل المفاهيم الدينية وتؤكد للناس أن هؤلاء الحكام ليسوا هم القديسون، ولكي يهز ضمائر الأمة من جهة أخرى، وهكذا كان . . .

وكانت نتائج الأمر كما قدرها الحسين: اعتراض بعد اعتراض، وتمرد وثورة، فحركة التوابين جاءت بعد فترة وجيزة، من مشهد الحسين، وقتله، كما يقول الطبري ثم جاءت ثورة المدينة ثم ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، في سنة ٦٦ هـ، أي بعد خمس سنوات، فاشتعل العالم الإسلامي في كثير من أجزائه، في حركات دموية قاسية، وجاء مطرف بن المغيرة بن شعبة، فثار على الحجاج في سنة ٧٧هـ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث فثار على الحكم في سنة ٨١هـ، وزيد بن علي بن الحسين في سنة ١٢١، حتى انتهت إلى ثورة بني العباس التي قلعت جذور بني أمية. وهنا نشاهد انه في جميع هذه الثورات، وكانت شعاراتهم «يالثارات للحسين!».

١٩ ـ الشهادة مسؤولية أصيلة في القادة

وملخص الكلام أن الشهادة مسؤولية أصيلة في القادة، وفي الإمام، الذي هو سيد القادة، في المصطلح الأصلي الشرعي ان المعركة معركة رسالية، جزء من كل، مرتبطة بالماضي، واصلة المستقبل إلى الماضي، طبيعية وناجحة، وهكذا نجد الترابط الواضح بين كلمة الإمام في مفهومه الأصيل وبين كلمة الشهادة . ونصل إلى أن الذين يريدون أن يسلكوا هذا السبيل عليهم الاستعداد، لمثل هذه المسؤوليات، وتحملها وأن في ذلك أضواء على الأبعاد التفصيلية الموضوعية التي سنشاهدها.

٢٠ ـ استمرار عاشوراء

واستمرار عاشوراء في التاريخ كما قلنا لكي يبعد الموضوع عن كونه حدثاً تاريخياً،ننظر إليه كقصة في التاريخ، بل أنه المتجدد مع كل سنة. واختيار صورها أمر وطني بشري فني. فقد عبر عن عاشوراء بتعابير مختلفة فمن معبر بالشعر أو بالنشر أو بالكلمة وبالإحتفالات أو بالمسرحيات أو بصور أخرى متكاملة. فالغاية إبقاء اللوحة في وجه الإنسان لمساعدته في صراعه مع الشر، ولكي يتجسد ويفهم ما يقوله النبي عن الحسين في كلمتين: الكلمة الأولى: أنه يعبر عنه بـأنه «مصباح الهدى»، المصباح الذي ينير الطريق للهداية. ويقول ثانياً: «حسين مني وأنا من حسين»، فالحسين منه أمرا واضح لأنه ابنه أما هو من الحسين فهنا يأتي دور عاشوراء في التاريخ، لأن الإسلام الذي جاء لتحرير الإنسان، أصبح من جديد أغلالاً في أيدي الناس المستغلين، فولد الإسلام في شكله الحقيقي المتحرر والمحرر للمستضعفين، في إطار القيادة على يد الحسين (ع) مرة أخرى، ولذلك يقول النبي (ص): «أنا من حسين».

البحث العاشر

مبحث المعاد

محتويات البحث

١ ـ تمهيد
٢ ـ حتمية الموت
٣ ـ نهاية العالم والقيامة
نظرية فقدان الطاقة
ـ الزلازل. . قيامة صغرى
ـ السيارات والنجوم في الفضاء.
ـ القيامة واقع نشاهده يومياً.
٤ ـ الإمكانية العلمية للحياة بعد الموت
ـ النظريات المادية
ـ النظرية العلمية الصحيحة
٥ ـ الهدف من المعاد
٦ ـ لا معنى للتاريخ الإنساني بدون المعاد
٧ ـ الإمكانية العلمية للحساب في الآخرة

- علم النفس والنية
- التجارب العلمية والقول والعمل

٨ - شبهات حول الآخرة
- هل يعذب الله المخترعين في النار؟
- هل يعذب في الآخرة، الجسم أم الروح؟

٩ - الانعكاسات العملية للإيمان بالمعاد
- إيجاد التوازن بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة
- الشعور بالرقابة الإلهية
- الشعور بالتوازن النفسي

١٠ - كيف نربح حياتنا في الآخرة.

المعاد

١ ـ تمهيد:

١ ـ إن الإنسان يعيش واقع القلق على الحاضر والمستقبل، متجاذباً بآلآم ومآسي الماضي، أنه يرغب في أن يحصل على الإجابة الصحيحة على الأسئلة الكبيرة.. ويتيه في العوالم الكثيرة، عالم الروح، عالم المادة، وعالم الجهل.. وتتنافس القوى، وتتصارع المتضادات، وتهبط النفس.. وتتسامى وتتوجه إلى السماء، مفتشة عن الجواب الصحيح لأسئلة مصيرية:

من أنا؟ من أين أتيت؟ وكيف؟ ما هي الغاية؟ وكيف النهاية؟ وما المصير؟ ما هذه الحياة؟ ولماذا وجدت؟ ومن أوجدها؟ ولماذا أوجدها؟ وكيف أوجدها؟ ما هذا الكون؟ وما هي غاية وجوده؟ وما هي علاقتي به؟ ومن أين أتى؟وهل سيفنى؟ ولماذا؟....

.... ويسلم الإنسان بوجوده ويستغرق فيه؟؟.. وتأتي الإجابات سقيمة وسخيفة. ويرفض العقل ولا يطمئن الوجدان..

ويبأس الإنسان ويهرب من نفسه، ويرى أن الحياة بدون غاية، وأن لا مبرر لوجودها، كما أعتقد أصحاب النظريات الوجودية أمثال سارتر.. وفي خضم الظلمات، يسمع صوت الأزل، يتردد صداه في أعماق الزمن، حاملاً إلى الإنسان الجواب الكبير، على أسئلة

المصير. . (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل. . بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤون بما عملتم، وذلك على الله يسير) (التغابن ٧) وقال أيضاً:

الله يحييكم ثم يميتكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾. (الجاثية ٢٦).

ـ ـ من هذا المنطلق، كان المعاد، (الإيمان باليوم الآخر)، أصلاً رئيسياً من أصول العقيدة الإلهية، التي أجابت على الأسئلة الفطرية المصيرية بدراستها الواقعية للإنسان والكون والحياة، فحددت البداية والنهاية ولكي نكون موضوعيين في بحثنا، سنعمد إلى إيضاح عدة جوانب.

ب ـ حتمية الموت:

ـ قال الله تعالى: ﴿ قال إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، ثم تردون ألى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (الجمعة ٨).

ـ والآن، لماذا الموت؟. إن ما يقرب من مئتي إجابة قد قدمها العلماء كتخمينات، وليس كحقائق منها: فقدان الجسم لفاعليته ـ انتهاء عملية الأجزاء التركيبية ـ تجمد الأنسجة العصبية ـ حلول المواد القليلة الحركة مكان الكثيرة الحركة، ضعف الأنسجة الرابطة ـ إنتشار سموم بكتيريا الأمعاء في الجسم.

ـ إلا أن النتائج العلمية الحديثة، لا تؤيد هذه الإجابات، قال الدكتور بالنج، الحائز على جائزة نوبل في العلوم: «إن الإنسان أبدي إلى حد كبير، نظرياً، فإن خلايا جسمه آلات تقوم باصلاح ما فيه من الأمراض، ومعالجتها تلقائياً. وبرغم ذلك فإن الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال على هذه الظاهرة أسراراً تحير العلماء».

ـ الإنسان يشعر بعطش كبير إلى الخلود وهو يحلم بدواء يمنحه عمرا لا

متناهياً، وقد أحدث اكتشاف مصل بوغملتز، ضجة عالمية.. مع أن العلماء يؤكدون أنه قد يكون باستطاعه الإنسان أن (يوقف الزمن الفسيولوجي لاعضاء الجسد حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة، كما قال الكسيس كاريل، ولكنه لن يتغلب على الموت أبداً).

ولا شك أن الموت، هو الحقيقة الوحيدة، التي اتفق عليها الجميع ولكن الكثيرين من الناس يتناسون مع أنهم يرون قافلة الموت تقل المسافرين إلى العالم الآخر وقد شاركوا أو شاهدوا الأموات تحمل على أكتاف الأحياء، ولكن الدنيا تغر وتضر وتمر، كما قال الإمام علي (ع) إلا أن الدنيا تحلو في أعينهم ويكرهون مجرد التفكير في الموت.. وفجأة تتوقف مضخات القلوب عن النبض، ويحمل هؤلاء على آلة حدباء، ويتذمر منهم الأقرباء، ويسرعون إلى مواراتهم التراب.. وينطلق صوت الحق ليقول: يا من بدينا اشتغل... قد غرّه طول الأمل.. الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل.

ـ فإذ كان وجود الإنسان، هذه على الأرض مؤقتاً، وكانت الدنيا زائلة، فلما لا يبني الإنسان حياته على أساس أنه مسافر.. فيعد العدة، ويهيء الزاد.. ويعمل لما سيلقى..

٢ ـ نهاية العالم والقيامة:

د ـ نظرية فقدان الطاقة:

يقول مبدأ كارنو: «إن القوى الموجودة ضمن مجموعة مغلقة، تتحول إلى أشكال متعددة، وفي أثناء تحولها، يتحول قسم منها إلى حرارة، لا يمكن إسترجاعها كلها، باستثناء جزء ضئيل منها، وتستمر هذه الحالة حتى تصل إلى درجة التوازن الحراري.. إلى أن تأتي اللحظة التي تصبح جميع الطاقة الكامنة في المجموعة قد تحولت إلى حرارة.. وتفقد في النهاية إمكانية كل عمل وكل حياة».

ـ وإذا كان الكون بأسره مجموعة مغلقة شاملة فإن التدني مستمر في الطاقة الكونية، يؤدي إلى أن الكون ليس أبدياً، وأنه سوف يأتي الزمن الذي يتلاشى فيه، ولقد حاول العلماء استنادا إلى مبدأ كارنو، أن يقدروا عمر الكون، وكان تقديرهم يتراوح بين عشرة ومئة مليار سنة.

ـ والذين يحاربون هذا المبدأ يستندون إلى نظريات فلسفية غير علمية، أمثال الماركسين الذين قالوا بعدم فناء العالم والمادة، وهي فكرة قديمة، وقد كشف «انجلز» في كتابه ديالكتيكية الطبيعة /ص ١٣٠، عن السبب الجوهري لرفضه تطبيق مبدأ كارنو على الكون فقال: «إن هذا التطبيق معناه الإقرار بالخالق»، فرفض الماركسيين للإيمان بالله، هو الذي دعاهم لرفض ما توصل إليه العلم بهذا الشأن.

ـ يقول الدكتور غاندي: «يؤكد علماء الفلك جميعاً أن الشمس كأي نجم آخر، لا بد أن يعتريها ازدياد مفاجيء في حرارتها وحجمها واشعاعها، بدرجة لا تصدقها العقول، وعند ذلك يتمدد سطحها الخارجي بما حوى من لهب ودخان، حتى يصل القمر، ويختل التوازن المجموعة الشمسية كلها، وكل شمس في السماء لا بد أن تمر على مثل هذه الحالة قبل أن تحصل على إتزانها الدائم... ولم تمر شمسنا بالذات في هذا الدور بعد.

قال تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ (سورة الدخان آية ١٠) ﴿فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر، يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ (القيامة ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠)

ـ الزلازل ـ قيامة صغرى:

إن الظاهرة الأولى التي تنذرنا بإمكان القيامة هي الزلازل..

فالإنسان يعيش فوق مادة حمراء ملتهبة، لا يفصله عنها سوى قشرة رقيقة من الأرض، لا يزيد سمكها عن خمسين كلم، ويقول العالم الجغرافي «جاموف»: «إن هناك جهنم طبيعية تلتهب تحت بحارنا الزرقاء، ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبكلمة أخرى نحن واقفون على ظهر لغم عظيم من الممكن أن ينفجر في أي وقت، ليدمر النظام الأرضي بأكمله».

السيارات والنجوم في الفضاء

إن في الفضاء الخارجي ملايين الملايين من النجوم والسيارات الملتهبة، والتي هي أشبه بالطائرات المحملة بالقنابل الذرية والتي يمكن أن تصطدم مع بعضها البعض، والغريب هو عدم إصطدامها لأن الدراسات الفلكية تشير إلى ذلك.

ـ القيامة واقع نشاهده يومياً:

١ ـ يجد الإنسان أن النبات والشجر والتراب، كل أولئك يمرون بقيامات مستمرة، فالتراب يتحول إلى نبات، ويموت النبات ويتحول إلى تراب، ويأكل الإنسان النبات فيتحول إلى لحم وعظم وأعصاب، ويموت الإنسان فيتحول إلى تراب.. قال الحق تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون﴾ (الروم ١٩)

٢ ـ والموت هو التحلل من مقاييس معينة، والدخول في مقاييس أخرى، وكما ورد في الحديث: «لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون».

٣ ـ أما منكري القيامة، فهم متجاهلون لأبسط الحقائق وأوضحها؛ لقد نسوا أنهم كانوا مواد متفرقة، في مواضع عديدة، ولزيادة

الإيضاح ننقل ما يقوله العلم عن تركيب الجسم: «إذا أتينا بإنسان يزن (١٤٠) رطلاً، نرى أنه يتألف من: قدر من الدهن يكفي لصنع ٧ قطع الصابون، وقدر من ملح المنغنيزيوم، يصح جرعة واحدة لأحد المسهلات، وقدر من الكاربون يكفي لصنع ٧ أقلام رصاص وقدر من الفوسفور يصنع به ١٢٠ عود ثقاب، ومن الحديد ما يصنع مسمار متوسط الحجم وقدر من الجير يكفي لتبييض بيت من الدجاج، وكمية من الكبريت يمكن أن تطهر جلد كلب واحد من البراغيت الساكنة في جسمه، وكمية من الماء تملاء برميلاً سعته ١٠ جالونات».

٤ ـ فالذي صنعني من هذه المواد الحقيرة، ألا يقدر أن يعيدني بعد تفرقها أليس صانع السيارة من قطع الحديد بقادر على إعادتها مرة ثانية بعد تلاشي أجزائها قال تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال: من يحي العظام وهي رميم، قل يحيها الذي انشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليهم﴾ (٧٨ سورة يس ٧٩)

ق ـ الإمكانية العلمية للحياة بعد الموت:

١ ـ النظريات المادية: يرى الماديون، ان التركيب الكيماوي مفقود بعد الموت، ويقولون أن علم الأعصاب يقرر أنه لا يمكن معرفة العالم الخارجي، والاتصال به إلا عندما يعمل الذهن الإنساني، وهذه المعرفة مستحيلة، نظراً لاختلال التركيب الذهني بعد الموت.

٢ ـ النظرية العلمية الصحيحة:

أ ـ تؤكد هذه النظرة أن بعثرة الذرات المادية في الجسم لا يقضي على الحياة، لأن الحياة مستقلة عن المادة وتغيراتها، فالجسم الإنساني يتألف من خلايا معقدة، يزيد عددها على (٢٦٠)

مضروبة بـ (١٥) صفراً، وهو يغير نفسه بنفسه باستمرار، كالنهر الجاري الذي تتجدد مياهه دائمًا ويبقى النهر كما كان مع تجدد مياهه.

ب ـ أما معدل التجدد والتغير في الخلايا فإنه يحدث مرة كل عشرة سنوات، ويتغير الجسم المادي للإنسان، والإنسان لم يتغير في داخله، بل يشعر في كل وقت أنه هو نفسه، (الإنسان السابق)،في عاداته وأمانيه، وأفكاره، مع أن كل شيء فيه قد تغير ابتداء من أظافر رجليه حتى شعر رأسه...

جـ ـ وهذاالأمر يؤكد أن الحياة الإنسانية هي شيء آخر غير الجسم، لا تتأثر بفنائه وبتغييره، ولو كان الموت فناء للإنسان لوجب أن نقول: بعد كل مرحلة من مراحل هذا التغير الجسماني، أن الإنسان قد مات، وأنه يعيش حياة أخرى جديدة وإن الذي بلغ الخمسين من العمر قد مات خمس مرات، فكيف اعتقد أنه مات في المرة السادسة أو لا يمكن أن يحيا بعد ذلك، أو ليس حياً الآن...؟

د ـ ورداً على منكري هذا الأمر، نقول لهم: جربوا أن تخلقوا إنساناً حياً ذا سعور مع العلم أن جميع عناصر الجسم صارت معروفة، وهي موجودة، أما في الأرض أو في الفضاء.. وسوف ننتظر حتى تتحقق هذه المعجزة الإلحادية..

لـ ـ الهدف من المعاد:

أ ـ إن الحياة الآخروية ذات هدف كبير، يتلخص بالمثول أمام الحاكم الأعلى العادل، من أجل الحساب على كل صغيرة وكبيرة، فمن عمل صالحاً في دنياه نال الجنة، ومن ظلم وعمل شراً، نال عقوبته في الجحيم.

ب ـ وبهذا يغدو للحياة معنى، وهدفٍ، لا كما يزعم الفيلسوف الألماني (نيتشه) الذي يتصور الحياة (ذهاباً ومجيئاً) فقط، وعقيدة الآخرة، تستجيب لحاجة نفسية عند الإنسان، الذي يتطلع إلى عالم غير هذا العالم، تتحقق فيه السعادة، المفقودة على هذه الأرض، وخصوصاً أن التقدم التكنولوجي لم يقدم للإنسان ما كان يحلم به، من هناء، في ظل الحضارة المادية، وقد اعترف (راسل) بهذا قائلاً: «إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح، على حين كان الناس أجدر من الحيوانات بهذه السعادة، ولكنهم محرمون من نعمتها في عالمنا الحديث... وأصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة».

جـ ـ ويتسائل الأستاذ (ريد): «... هل هناك عالم غير عالمنا هذا؟ وهل سنلقى جزاء أعمالنا في ذلك العالم؟... أنه سؤال تتعلق به مصالحنا الكثيرة فحياتنا الراهنة قصيرة جداً، أفراحها عادية موقوتة، إذ أننا عندما نظفر بما نحلم به يفاجئنا الموت، ولو استطعنا الإهتداء إلى طريق خاصة لتصبح أفراحنا دائمة أبدية، فلن يرفض العمل به أحد غير البله والمجانين منا».

د ـ لا معنى للتاريخ الإنساني بدون المعاد:

١ ـ إن الدراسة الموضوعية لتاريخ البشرية، تقودنا إلى حقيقة واضحة، هي أن الظلم هو الميزة الرئيسية لهذا التاريخ وإذا كنا نجد في التاريخ أضواء العدالة والحق، إلا أن الجزء الأكبر منه حافل بقصص الظلم والفساد والعدوان.

٢ ـ ويقول فولتير: «إن التاريخ الإنساني ليس إلا صورة للجرائم والمصائب». ويقول أدوارد جين: «إن تاريخ الإنسان لا يعدو أن يكون سجلاً للجرائم والحماقة وخيبة الأمل».

٣ ـ إن الفطرة البشرية، والضمير الإنساني، بما فيه من دواعي العدالة والخير يقضيان أن يكون هناك يوم يميز فيه بين الخير والشر، والحق والباطل... وإذا لم تكن هناك قيامة وآخرة، فمن سوف يكسر رؤوس الطغاة من جبابرة الأرض وشياطين البشر.. من سوف يكشف عن التزوير، وعمليات النهب والخطف، والتدجيل الإجتماعي والسياسي، والدعايات الباطلة، والقتل والسجن والتشريد.. من سيحاسب أولئك الذين يعذبون الضعفاء، باسم المحافظة على المكاسب الثورية، والأمن القومي.. من سيعاقب مغتصبي أرض الشعب أولئك الذين يرفعون شعارات العدالة والحرية، والعلمانية والثورية ويرتكبون أبشع الجرائم.. وأشنع أنواع التسلط والديكتاتورية. قال الحق تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، ساء ما يحكمون، وخلق الله السماوات والأرض بالحق لتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (الجاثية ٢١).

م ـ الامكانية العلمية للحساب في الآخرة:

إن نظرية الآخرة ترى أن أعمال الإنسان تسجل وتحفظ بصورة دائمة مستمرة:

أ ـ **علم النفس والنية:** أثبتت التجارب العلمية أن الشخصية الإنسانية لها جانبان: الأول: الشعور، الثاني: اللاشعور. وهذه النظرية تعني أن كل ما يخطر في بال الإنسان من خير وشر، ينقش في اللاشعور، ولا يزول أبداً، ولا يؤثر فيه تغير الزمن، وهذا يحدث رغمًا عن إرادة الإنسان، نرى هذه الأفكار رؤية خلال النوم.. هذا الواقع يؤكد، إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان يحمله معه إلى العالم الثاني.

ب ـ التجارب العلمية والقول والعمل:

١ ـ القول: إن نظرية الآخرة ترى أن الإنسان مسؤول عن أقواله سواء كانت في سبيل الخير أو الشر، وكل ذلك يحفظ في سجل كامل، ليعرف في محكمة الآخرة.. قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

إن الإنسان عندما يتكلم، يحرك موجات في الهواء، تبقى في الأثير إلى الأبد ويمكن سماعها مرة أخرى، إلا أن العلم الحديث لا يزال عاجزاً عن ضبط هذه الموجات، مختلفة كما هو الحال بالنسبة للإذاعة التي تقوم بالبث على موجات مختلفة في طولها وقصرها.. ولو نجح العلماء في اختراع آلة قادرة على تسجيل الأصوات المبثوثة في الفضاء وتمييزها عن بعضها لسمعنا تاريخ كل عصر بأصوات أصحابه... كما أن هذا الحديث لا ينفي وجود (مسجلين) غير منظورين، يسميهم المصطلح القرآني (ملائكة)، ينقشون على صفحة الفضاء كل ما ننطق به من كلام.

٢ ـ العمل: إن العلم يثبت بشكل مدهش إمكانية حدوث الآخرة، وذلك أن جميع أعمالنا في أي وقت موجودة في الفضاء في حالة (صور)، ومن الممكن تجميع هذه الصور، إذ أن كل عمل يحدث تصدر منه حرارة بصورة دائمة وهي تعكس الأشكال والأبعاد تماماً. وقد تم حديثاً اختراع آلة دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج من أي كائن، وتعطي صورة فوتوغرافية.. إلا أن هذه الآلة لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلا خلال ساعات قليلة من حدوث العمل المعين.. وهذه الآلة سوف تغير ـ مستقبلاً ـ أفكارنا عن التاريخ من جذورها.

وهكذا فإن حياة الإنسان كالقصة التي تصور في الأستديو، ثم

تشاهد على الشاشة بعد زمن طويل، ومن هنا نعلم أن ما سيحدث في الآخرة شبيه بفلم تلفزيوني، نشاهده كما ذكر القرآن الكريم: «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها»

جـ ـ نتيجة: ويتضح من هذا أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل لكامل أعمال الإنسان، فكل ما يدور في أذهاننا يحفظ إلى الأبد، وكل ما ننطق به من كلام يسجل بدقة. وكل ما نعمله من عمل ينقش على صفحات الفضاء بأمانة.. وهنا يقف الإنسان مبهوتاً أمام: الحق المتمثل في المحكمة الآلهية، التي لا رشوة فيها ولا تزوير[1]

شبهات حول الآخرة

ن ـ سؤال: هل يعذب الله المخترعين في النار؟

أ ـ «هل يحق لله أن يدخل العامل البسيط، أو الفلاح الجاهل الجنة لأنه يؤمن بالله، ويحرم منها العباقرة والمخترعين، الذين قدموا للإنسانية خدمات جلى لأنهم لا يؤمنون بالله؟.

ب ـ الجواب:

١ ـ ليس هناك أية قيمة للأشياء إذا لم توضع في خدمة الله، لتنعكس على الناس فائدة وأعماراً، فالقنبلة الذرية، لا تساوي في الواقع شيئاً وأن كان ثمنها ملايين الدولارات، لأنها تخدم المصالح الشخصية..

٢ ـ إن قيمة الأشياء بقدر نفعها في الآخرة، وهذا مترتب على نفعها

(١) لمزيد من التفصيل راجع كتاب الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان.

في الدنيا، لأن الدنيا مزرعة الآخرة، ومقياس النفع، هو تحقيقها لإنسانية الإنسان. فما قيمة حجر ثقيل يحمله المسافر على ظهره إن لم ينتفع به عندما يحط رحاله؟

٣ ـ إن قيمة أي عمل تتبع لنوعية القصد الذي حركه (إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى) فللقصد الطيب نتيجة طيبة والعكس صحيح، فالذي يصافحك باليمنى وينوي أن يسرقك باليسرى، يستحق صفعة من الطراز الرفيع، أما الذي يصفعك خطأ في الزحام، وهو يريد مصافحتك يستحق التقدير والاحترام.

والعمل لله يعني: الاخلاص في العمل، لأن العامل من أجل مصالحه وجاهه وشهواته فإنه قد نال أجره ولا يستحق من الله شيئاً.

إن حق الله هو أن يعاقب المسيء، ويجازي المحسن بإحسانه، ولا فرق بين كبيرٌ وصغير، وبين مخترع وغير مخترع، ومن أنكر هذا فمثله كمثل الذي ينكر على قيادة الجيش حين تمنح وساماً لجندي بسيط لأنه برهن عن إخلاصه وتضحيته، وتعدم قائداً كبيراً لأنه ارتكب جريمة الخيانة العظمى»[٢].

ص ـ هل يعذب في الآخرة، الجسم أم الروح:

أ ـ لا سبيل لنا إلا العودة إلى النصوص، التي يتبادر منها ان المعاد هو العودة بالجسم الحي الحساس المدرك للنعيم ولذته، وللعقاب وألمه.

ب ـ قال تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم، وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (يس ٦٥).

---

(٢) عدالة الله ـ هادي المدرسي

١ ـ إن تكليم الأيدي وشهادة الأرجل دليل على أن العودة بالجسم والروح.

٢ ـ وقياس ذلك ما يفعله الإنسان، في تسجيلاته إذا استطاع أن يحفظ كلامه في أشرطة من البلاستيك، فهل يعجز الله، أن يجعل من الأيدي والأرجل أدوات تسجيل لما يفعله الإنسان؟.

جـ ـ قال تعالى: ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » (النساء ٥٦).

١ ـ وفي هذه الآية دلالة على المعاد الجسماني، أما المقصود بعملية تبديل الجلد فقد ذكر علماء الطب «أن أعصاب الألم هي في الطبقة الجلدية وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية، فالاحساس فيها ضعيف، فالله تعالى يقول: إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب نجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع ليذوقوا العذاب الأليم.

د ـ قال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بل قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ (القيامة ٣).

١ ـ هذه الآية تنكر على الكافرين بالمعاد عدم اعتقادهم به ثم تؤكد قدرة الخالق على إعادة لبنان هو التنظيم الهندسي العجيب الموجود في خطوط الأنامل فلماذا خصص ألبنان؟ يقول العلم: إن البنان هو التنظيم الهندسي العجيب الموجود في خطوط الأنامل، وان كل إنسان يملك خطوطاً تختلف عن غيره، مهما كان قريباً إليه في النسب. وقد استفيد كثيراً من ظاهرة البنان والبصمات في عملية كشف المجرمين واللصوص، وتثبيت الأشخاص.

ع ـ الانعكاسات العملية للإيمان بالمعاد:

أولاً: إيجاد التوازن بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة:

١ ـ ترى بعض الفئات والأحزاب أنه لا علاقة للآخرة وعالم الغيب، بالحياة الإجتماعية وأنه لا يجب الخلط بين الدين والنظام، وبين الدين والسياسة لكون موضوع كل منهما يختلف عن الآخر.

٢ ـ إلا أن النظرة الواقعية تظهر لنا العلاقة الوثيقة بين الإيمان بالحياة الآخروية والحياة الإجتماعية، باعتبارها أن الدنيا مجال العمل للآخرة، وبهذا يتم ضبط وتنظيم غريزة حب الذات، إذ أن تركها بدون ضوابط، من شأنه أن يحدث الفوضى، والاستغلال والإحتكار، وجميع صنوف المآسي التي يضج بها العالم الرأسمالي.

٣ ـ كما أن كبتها ومحاولة تجاهلها يعطّل قوى الإنسان الإنتاجية، ويشل دافع تقدمه.. ولما كان ذلك مستحيلاً فإن هذه الغريزة سوف تتحين الفرص لتظهر بشكل فظيع، فتصل إلى ما منعت عنه بشتى الوسائل كما في المجتمعات الإشتراكية.

٤ ـ أما على أساس عقيدة الآخرة فإن الغريزة سوف تنال إشباعها، بما توحيه لها هذه العقيدة، من نعيم خالد ولذة دائمة، وسوف تكون أداة اجتماعية فاعلة، لأنه السبيل لنيل النعيم الأخروي، إلا بالعمل الإجتماعي.

٥ ـ وبهذا الأسلوب العبقري، تحافظ عقيدتنا على فاعلية هذه الغريزة، دون أن تطلقها أو تكبتها، بل تعمل لتنظيمها فقط.

ثانياً: الشعور بالرقابة الإلهية:

١ ـ إن الحكام في العالم، الذين لا يخضعون للرقابة الذاتية ويحتالون على رقابة المحاكم والشعوب والقوانين، هل يتراجعون عن

استغلالهم للضعفاء، وظلمهم للأبرياء بمجرد مناشدتهم واستصراخ ضمائرهم، أو هل تردعهم القوانين وهم الذين وضعوها؟ أم تمنعهم المحاكم والقضاة وهم الذين عينوهم؟!.

٢ ـ إن الخوف من العقاب في الدنيا لن ينجح في قمع الإنحرافات، بسبب وسائل الكذب والرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ، الذي يحول دون تنفيذ العقوبات..

٣ ـ ولن ينجح أبداً، شيء غير الدافع المنبعث من أعماق النفس (الضمير) والذي يتبلور ويقوى، عن طريق الإيمان باليوم الآخر، الذي ينميه، ويخرجه من القول إلى الفعل، ويجعل من اتقاء الجرائم مصلحة ذاتية لكل إنسان، بحيث يشعر في كل ظرف أنه ملاقٍ ربه، وان الله يراقبه وانه سوف يحاسبه حساباً عسيراً. ولهذا قيل: «إن القول بأن الدين خدعة هو بمثابة إبطال لجميع المسؤوليات التي تقع على عاتقنا لاستقرار النظام الإجتماعي[1].

ثالثاً: الشعور بالتوازن النفسي:

١ ـ إن الإيمان بالمعاد يجعل الإنسان يعيش الأمل في الحصول على الحياة السعيدة، حيث (لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) فالآلام لا تؤذيه والفشل لا يثبط عزيمته، والظلم لا يجعله خانعاً، والموت لا يجعله يائساً، والمرض لا يفقد صبره، أنه يعيش الحياة بروح الإنسان المسؤول الذي لا يهمل واجباً ولا يتقاعس عن تكليف، جديّ في تصرفاته قد عرف حدوده وجعل لكل ممارساته أهدافاً.. ان خاف فمن مخالفة أمر الله، وان فرح فبنعمة يسر، يشكر الله بلسانه وعمله، لا تخدعه المظاهر،

(١) راجع الإسلام يتحدى.

ولا تثنيه المشقات، يتفكر في مخلوقات الله، وفي نفسه.. يطمح لنيل سعادة الأبد ويعرض عن لذائذ فانية لا ينال منها إلا التعب والنصب، متوازن في قواه النفسية، متفائل بالخير، مدفوع بالأمل طامع برحمة الله وغفرانه.

٢ـ والمؤمن بالله وباليوم الآخر، رافض لليأس، الذي لا مبرر له في عالم يسيره الرب الرحيم، رافض للضجر، لأنه يعرف أن الصبر هو طريق الجنة، رافض للكسل، لأنه يشعر بالمسؤولية تجاه ربه، رافض للقلق، لأنه قد قلع من ذاته حب الدنيا بما فيها من مال وجاه ولذائذ، هدفه إرضاء الله وخدمة الناس، يذكر الموت وزوال الدنيا وأهوال القبر ومواقف القيامة، فيعلم أن محرمات الدنيا لا تستحق منه هذا الاهتمام، ويعود إليه توازنه، وهو يردد ما قاله الإمام علي (ع): «لما الجزع مما لا بد منه».

ف ـ كيف نربح حياتنا في الآخرة:

١ ـ «الإنسان مخير بين أمرين، أما أن يرجِّح الدنيا على الآخرة، وأما أن يرجِّح الآخرة على الدنيا، واختيار أحد الموقفين ليس أمراً سهلاً، ليؤخر اتخاذ قراراً بشأنه، بل القضية ترتبط بمصيره وسعادته وشقائه، لذلك سوف نحاول معرفة القيمة الحقيقية للآخرة من ناحية تفوقها على الدنيا:

أولاً: التفوق من ناحية الكم: إن الحياة الآخروية أبدية خالدة والدنيا زائلة فانية قال تعالى: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار» فالأيام والسنوات تساوي في ميزان الآخرة ساعة من نهار.

ثانياً: التفوق من ناحية الكيف: إن نعيم الدنيا ولذاتها محدودة، لا تعدو اللذات الجسدية والنفسية المشوبة بالآلام والأحزان، أما

نعيم الآخرة فلا يمكن تصوره والنصوص تعطي: أمثلة موضحة عن ذلك النعيم. قال سبحانه: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن...﴾ (محمد ١٥) مثل الجنة وليس حقيقتها.. والدنيا بالنسبة للآخرة مجرد متاع (إن هذه الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار). (غافر ٣٩). وإذا كان عابدوا الدنيا يريدون السعادة، فليعلموا أنهم في الشقاء واقعون، لأنه كما قال الصادق (ع) «من تعلق قلبه بالدنيا تعلق منها بثلاث خصال: هم لا يفنى ٢ ـ وأمل لا يدرك، ٣ ـ ورجاء لا ينال».

ولا يشعر الإنسان بلذة الإيمان، وحقيقته، ولذة الجهاد في سبيل الله إلا إذا قطع علاقته مع الدنيا وفضل الله تعالى على المال والجاه واللذائذ والولد والأهل.

كما قال تعالى:

﴿قل إن كان آباؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (التوبة ٢٤). ويخاطب الإيمان بالحسن (ع) الشباب قائلاً: «يا معاشر الشباب عليكم بطلب الآخرة، فقد ـ والله ـ رأينا قوماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة والله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة[1]».

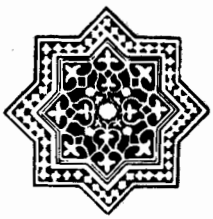

(١) راجع كتاب كيف تربح الحياة.

ملاحظة:

يعد مكتبُ العقيدة والثقافة في حركة أمل مجموعة من الأبحاث، وسيصدر منها، قريباً، باذن الله، ما يلي:

١ ـ دراسات في ميثاق حركة أمل (الكتاب الثاني)
٢ ـ نقد الأسس الفلسفية العامة للرأسمالية والماركسية
٣ ـ بحوث ودروس قرآنية
٤ ـ مسائل في الفقه الميسَّر
٥ ـ دروس تحضيرية في الثقافة الحركية.
٦ ـ دروس في العقيدة والثقافة.

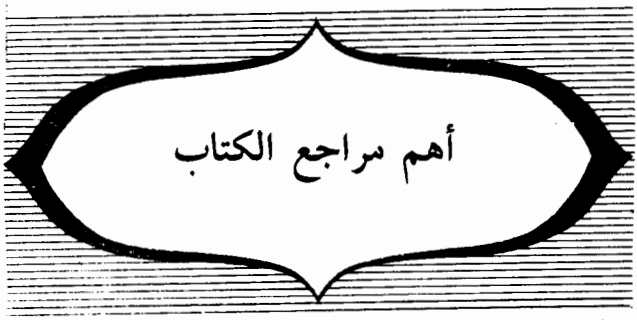

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ ميثاق حركة أمل
٣ ـ محاضرات الإمام الصدر وأبحاث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
٤ ـ ماركس وانجلز ـ المؤلفات المختارة ـ.
٥ ـ لينين ـ المؤلفات.
٦ ـ اقتصادنا ـ للشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر
٧ ـ تفسير التاريخ ـ عبد الحميد صديقي
٨ ـ التفسير الاشتراكي للتاريخ
٩ ـ حياتي والتحليل النفسي ـ فرويد
١٠ ـ مقدمة في علم النفس ـ د. عبد السلام عبد الغفار
١١ ـ الوسيط في القانون الدستوري العام ـ د. ادمون رباط
١٢ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ ـ د. عمار الدين خليل
١٣ ـ مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن ـ الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر.
١٤ ـ دور الأفكار التقدمية في تطوير المجتمع

١٥ ـ جريد أمل
١٦ ـ النظم الإسلامية للدكتور الصالح
١٧ ـ فلسفتنا ـ للإمام الشهيد محمد باقر الصدر
١٨ ـ في النفس والمجتمع.
١٩ ـ العقوبات في الإسلام
٢٠ ـ القيادة الإسلامية في الفلسفة والتشريع
٢١ ـ نهج البلاغة
٢٢ ـ الفتاوى الواضحة ـ الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر
٢٣ ـ الطب محراب الايمان ـ د. خالص جلبي كنجو
٢٤ ـ مفاهيم إسلامية ـ محمد حسن آل ياسين
٢٥ ـ مجلة الجهاد
٢٦ ـ الله والعلم الحديث ـ عبد الرزاق نوفل
٢٧ ـ الكون والثقوب السوداء ـ اعداد رؤوف وصفي
٢٨ ـ الله يتجلى في عصر العلم.
٢٩ ـ نقد الفكر المادي والديني ـ عبد اللطيف بري
٣٠ ـ نهج الفلسفة ـ كارل بسبرز
٣١ ـ بين الإسلام وداروِن ـ السيد محمد الحسيني
٣٢ ـ جامع السعادات للنراقي
٣٣ ـ النبوة والعقل ـ محمد جواد مغنية
٣٤ ـ الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان.
٣٥ ـ فلسفة الصلاة
٣٦ ـ مباحث في علوم القرآن ـ د. الصالح
٣٧ ـ تفسير آلاء الرحمن ـ محمد جواد البلاغي
٣٨ ـ معجزة القرآن (بالانكليزية)
٣٩ ـ استراتيجية الثورة عند أهل البيت (٤) (ع)
٤٠ ـ كيف تربح الحياة

فهرس الأبحاث

عنوان البحث — الصفحة

الإهـــداء ٥
تقديم «الإمام الصدر الإنسان القضية» بقلم سماحة
الشيخ محمد مهدي شمس الدين ٩
ميثاق حركة أمل ١٧
الميثاق، إيديولوجية كاملة ٢٥
الفروقات العامة بين الحركة المؤمنة والأحزاب الوضعية ٢٩
أنواع الأحزاب ٤١
الميثاق وتفسير التاريخ (نظريات في تفسير التاريخ) ٤٩
التفسير الإسلامي للتاريخ والميثاق ٦٥
ولادة حركة أمل في لبنان وظروف نشأتها
وأبعادها التاريخية والجغرافية ١٠٥
حركة أمل تملك كافة معالم ثورة مؤمنة إنسانية
لا طائفية ١٢٥
بحث تمهيدي حول الأسس العامة للإيديولوجية الإسلامية ١٣٥
الأساس الأول: الإيمان بالله والإيمان بالإنسان ١٥٣
الإيمان بالله بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي ١٥٩
مبحث النبوة والإمامة ٢٢١
مبحث المعاد ٢٥٧
أهم مراجع الكتاب ٢٧٧
فهرس الأبحاث ٢٧٩

وزارت امور خارجه
کتابخانه تخصصی

کتابخانه تخصصی
وزارت امور خارجه